فهـــرس العـــــدد

تنبيـــــه

سنــنشر بقيـــة المحاضرات فى أعـــداد قادمــة قبـــل صـــدور كتــاب الملتــقى .

« الأصالة »



فى لحظة انشاد « قسما » عند الافتتاح

منسيين لستم، يا بني رُسْتُم ! (1)

مولود قاسم نايت بلقاسم
وزير التعليم الأصلى والشؤون الدينية

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على خاتم المرسلين

صاحب المعالى الدكتور آمادو كريم غاى، آمين عام مؤتمر الدول الإسلامية،
السيد محمود منصور، ممثل جامعة الدول العربية،
السيد سالم عزام، أمين عام المجلس الإسلامى الأوروبى،
حضرات الأساتذة الأفاضل،
حضرات السادة والسيدات،
إخوتى الطلبة والطالبات،
ابتدئ هذه المرة أيضاً بما أنهينا به فى السنة الماضية، وافتتح الملتقى الحادى عشر للفكر الإسلامى فى وَرَجْلاَنَ بخاتمة الملتقى العاشر فى عنابة، وأقول :
مرحباً بكم وبكن جميعاً فى مدينة البئر والحاسى،

(1) كلمة افتتاح الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى بورجلان (ورقلة) .
(17 ـ 26 صفر 1397/06 ـ 15 فبراير 1977 م) .

التى تذكّر بماضيها الغافل والناسى، معين النفط والغاز، التى كانت فى ماضى القارة الصلة والبوغاز، فى منبع العلم والطاقة، اللذين يزيلان عن الشعب الجهل والفاقة، فى دار الوَرَجْلانى، الذى نافس أمثال سحنون، وبطوطة، والورتلانى، فى مدينة النور والدقلة، المجيدة الأثيلة، ورقلة!

حضرات السادة
لنا فى جدول أعمالنا نقاط أربع:

أيام أن أفلح أفلح، وكان الإمام إماما!

1) النقطة الأولى هى: "مساهمة الرستميين فى حضارة الإسلام وفكره"، ونحن فى عاصمتهم الثانية وَرَجْلان - سدراته، التى وصل سلطانها الدنيوى حينًا من الدهر إلى ونيبا غربًا، وهى المدينة الثانية فى غانا، وإلى قرطبة شمالاً، وامتد إشعاعها الروحى برهة إلى بحر عمان شرقًا، وزنجبار جنوبًا، وأعطت للفكر الإسلامى أمثال الوَرَجْلانى، بعد أن اضطرت الدولة الرستمية الى ترك تيهرت[1] حيث كان عبد الرحمن قد نشر الرحمة، وأين أفلح أفلح، وكان الإمام إمامًا!

لكن للدول أيام تداولها بينها، ونريد، كعادتنا فى كل ملتقياتنا، أن نلقى نظرة على ما لكل منها وما عليها، كيف

---

1) يقال إن معناها بالأمازيغية الزناتية: "اللبؤة".



السيد مولود قاسم نايت بلقاسم ، وزير التعليم الاصلي والشؤون الدينية، يلقي كلمة الافتتاح .
ويرى من اليسار الى اليمين السادة :
سالم عزام ، أمين عام المؤتمر الاسلامي الاوروبي (لندن) ، عبد الوهاب القدماني ، والي ورجلان ، (ورقلة) جلول شاشوه ، رئيس المجلس البلدي الشعبي لمدينة ورجلان ، الدكتور ماما دو كريم غاي ، أمين عام مؤتمر الدول الاسلامية (جدة) .

نشأت وازدهرت ، ثم ماتت واندثرت ، ولكل شئ إذا ما تم نقصان ، وتلك سنة الله فيمن سبق !

كفى مؤامرات ومناورات في إفريقيا !

2) والنقطة الثانية هي : « الإسلام في إفريقيا اليوم » وفعلاً كيف ونحن في الجنوب لا نستعرض وضع الإسلام اليوم في بلاد السودان ، كما كان يسميها ابن خلدون ، بل وإفريقيا كلها ، وهي المتعرضة لما هي متعرضة له من مناورات ومؤامرات ، ومن محاولات تسرب ونفاذ رغبة النفوذ ، أو لبقاء وتشبث ، ومساعي إحاطة وتطويق ، وهيمنة واستحواذ ؟

« الأولى في الدولة ولكن الثانية في الدار » !

3) والنقطة الثالثة : « المرأة بعد عام المرأة . . . » فأمام السيل العرم من الكتب والمجلات ، والأفلام والمحاضرات ، والندوات والمؤتمرات ، المخصصة للمرأة في أنحاء العالم منذ « عام المرأة » واستجابة لرغبة كانت كثيرات من الطالبات اللاتي شاركن في ملتقياتنا السابقة عبرن عنها في أن يطرق موضوع المرأة في أحد هذه الملتقيات ، واعتقاداً منا أنه موضوع من مواضيع الساعة لما نشاهده في العالم من أمواج وتموجات ، ومن ميول واتجاهات ، وأن المرأة - هذا الموضوع الخالد ! - هي هم الدنيا وشغلها الشاغل على مر الأيام وتتابع الحضارات ، وأنها اليوم ، أكثر من أي وقت مضى ، فضلاً عن كونها عمدة الأسرة ورأس المجتمع ، أصبحت شرط الإنقاذ للحضارة والإنسان ، أو إشارة الهبوط ،

والاضمحلال، والذوبان، أقول إننا أمام هذا كله رأينا أن نطرق موضوع المرأة فى هذا الملتقى، ودعونا له خاصة كثيرا من السيدات البارزات من الإتجاهين، المناصر والمعارض لما سمى بحركة تحرير المرأة والدفاع عن حقوقها، لإجراء حوار صريح خصب علّه يساعدنا فى تجنب الشطط فى هذا الإتجاه أو ذاك!

ورمزا لإعطاء هذه النقطة فى هذا المدخل ما يقابل مَنَابَها فى جدول الأعمال، حيث أخذت وحدها إحدى وعشرين محاضرة من بين تسع وثلاثين، بمحض اختيار أغلب السادة والسيدات أصحابها وصواحبها، سأسهب أنا أيضا بعض الشئ فى طرقها فى هذه الكلمة التى كنت أجعلها عادة على غاية الإيجاز.

هل المرأة اليوم هى تلك الضعيفة المستضعَفة، المهضومة المظلومة، المسكينة المستكينة، الخانعة، الخاضعة، الضائعة، التى لم تأخذ بعدُ حقوقَها، ولم تحتلَّ مكانتَها، كما تقول سيمون دى بوفوار وأخريات كثيرات، بل وآخرون كثيرون أيضا، ممن يدعونها إلى الثورة والتمرد، وتحطيم "القيود"، وتجاوز السدود، واختراق الحدود، ورفع البنود، للإلقاء بكل شئ آخرَ غيرِ مطلقِ حريتها عرض الحائط رغم الجدات

والجدود ، وعدم الإستغناء فى ذلك عن العويل ولطم الخدود ، والإجابة عن كل تنبيه أو نصح بأغرب الحجج والردود ؟

أم هى بالعكس من هذا كله تلك المتمردة المستبدة، صاحبة الحيل والأحابيل القديمة والمستجدة ، التى هى إلى الانقضاض والعدوان الجريئة المستعدة ، صاحبة الطاغوت والجبروت ، زيادة على سحر هاروت وماروت ، كما يقول فى الرد عليهن وعليهم كثيرون وكثيرات ، كالكاتبة والطبيبة الألمانية الشهيرة إيستر فيلار Esther Vilar فى عدد من كتبها ، وخاصة منها الأخير الذى سيحتفل بصدوره بعد غد الثلاثاء فى ميونيخ ، والذى تدعو فيه الرجل إلى الإقلاع عن خضوعه وخنوعه ، والتنبه إلى استبلاهه من طرف المرأة واستذلاله ، وتحثه على الإفاقة ورفع رأسه ، وعدم حفر رمسه بنفسه ، وإلى استعادة رجولته وهمته ، والسمو بشرفه إلى قمته ، وهو مايلخصه العنوان الرئيسى للكتاب : " نهاية الترويض "(1) ويوضحه عنوانه الثانوى : " نموذج لرجولة جديدة "(2)؟

أم أن المرأة اليوم ليست هذه ولا تلك ، وإنما هى تلك المتمتعة بحقوقها ، المحترمة لواجباتها ، التى لا تنسى

(1) "Das Ende der Dressur"

(2) " Modell fuer eine neue Maennlichkeit "

حتى مع عملها رسالتها ؟ هل هناك كثيرات من نساء اليوم "العصريات" ممن يتبنين قاعدة سلوك ملكة الدانمارك الشابة التي صرحت غداة زواجها أنها "وإن كانت الأولى في الدولة إلا أنها الثانية في البيت"؟(1)

إن المشكل أمامكم للنقاش.

وعلى كل ففيما يخص موقفنا في الجزائر بهذا الصدد، فإن الميثاق الوطني، إذ يعزز حقوق المرأة المشروعة، ويشجعها على المشاركة الفعالة في مختلف مجالات النشاط القومي، زيادة عن واجبها الأول في حفظ الأسرة وصنع الأجيال، يؤكد في الوقت نفسه كل التأكيد على ضرورة احترام ذاتيتنا وحصانتنا، ويندد بكل تقليد أعمى، وخاصة لكل ما يتنافى مع قيمنا وأخلاقنا، ويتعارض مع مكونات شخصيتنا، ويصطدم وعناصر إنيتنا وأصالتنا.

هل بطون الأرض نعمة أم نقمة ؟

4) النقطة الرابعة والأخيرة هي: "هل بطون الأرض نعمة أم نقمة ؟".

وكنا قد وعدنا في السنة الماضية في عنابة بأن نتطرق لها لانعقاد ملتقانا بجوار آبار الطاقة وأجهزة استخراجها واستثمارها.

قد يبدو في هذا التساؤل نوع من المفارقة، والواقع

جريدة لوموند 19 ديسمبر 1976

أنه في غاية الوضوح، فيما يبدو لنا، وهو يتلخص في أن الثروات المعدنية، التي سميناها ببطون الأرض، أو بالكنوز إن شئتم، كالنفط، والغاز، والفوسفاط، وغيرها من المعادن، تتوقف في طبيعة آثارها على طريقة استعمالها، ككل شئ في الحياة، وتكمن فائدتها أو مضرتها فيما توجه إليه نتائجها. هل استخرجت من الطاقة جميع الإمكانيات الكامنة فيها، أو على الأقل بعضها؟

هذا الإستفهام ليس بالضرورة إنكاريا.

لقد استغربت أن أرى في إعلان نشرته شركة شيل المعروفة في الجريدة الألمانية فرانكفورتر الغماين[1] بتاريخ 05 أكتوبر 1976 عن عدد المشتقات التي تستخرج من النفط وحده! إنها أكثر من عشرين صنفا من المنتوجات الصناعية والاصطناعية المختلفة، ومنها المواد الغذائية وماء الشرب، إذ أن الماء المالح المستخرج من البحار يرجع زلالا بفضل عنصر لا يوجد إلا في النفط!

هل استخرجت البلدان البترولية في العالم الثالث منتوجا واحدا من هذه المنتوجات العديدة من بحارها النفطية؟ ثم هل استثمارها من طرف أبنائها لفائدة شعوبها المالكة لها، في استقلال تام عن أي نفوذ أجنبي، متساو مع استغلالها من طرف الغير، لصالحه

(1) Frankfurter Allgemeine Zeitung 05 Oktober 1976

ولطبقة مضيقة من الحاكمين وحواشيهم ؟ ألا يساعد هذا على زيادة بؤس جماهير الشعب، وفحش الإنحلال الخلقي الذي ينجر عن الترف والبذخ لدى سراة القوم، فضلا عن التهديد الدائم المعلق للسيادة الوطنية من طرف الدول المستغلة لها، والمسيطرة عليها ؟

ألا تتحكم تلك التبعية المطلقة في اقتصاد البلاد، بخلقها طبيعة الاعتماد الكلي على ذلك الفتات الذي تتركه لها تلك الدول، والذي يجعلها فوق ذلك كله تتقاعس عن استثمار جميع الموارد الأخرى لها، كالزراعة التي سماها البعض بالذهب الأخضر، أو التجارة، أو الصناعة؟

عن هذا أو ذاك يتوقف إذن كونها نعمة أو نقمة !

ومن هنا تساءلنا عن بطون الأرض هل هي نعمة أم نقمة ؟ وهو مجرد تساؤل منا إذ يهمنا في الدرجة الأولى على مستوى ما يسمى بالعالم الثالث كله فيما نظن، ولذا دعونا له بعض المختصين، وقد تخلف بعضهم مع الأسف بعد وعد والتزام، وعزف بعض السادة الآخرين من الحاضرين عن طرقه لتعقده المتمثل في بساطته وبداهته، مما جعل عدد الذين طرقوه لا يتجاوز الخمسة، بينما موضوع المرأة أخذ حصة اللبؤة، ونكرر أنه بلغ واحدة وعشرين من تسع وثلاثين في جملة جدول الأعمال !

حضرات السادة والسيدات،

هذه هي النقاط التي عرضناها عليكم للبحث، والتي نرجو أن نصل فيها من خلال المحاضرات، وخاصة المناقشات، إلى أضواء تلقي وضوحا عليها، وتوجه إلى زيادة تعميقها، والإنتهاء من ذلك إلى إيجاد أجوبة فاصلة لها، وحتى إذا لم نصل فيها إلى حلول، فنكون على الأقل قد ساهمنا في الإقتراب منها، والتعجيل بإدراكها.

مرة أخرى أرحب بضيوف الجزائر، وأتمنى لهم ولهن مقاما طيبا، ولأعمالنا جميعا مطلق النجاح.

والسلام عليكم ورحمة الله



صاحب المعالى الدكتور مامادو كريم غاى ، أمين عام مؤتمر الدول الاسلامية ، يلقى كلمته فى جلسة الافتتاح

النقطة 1

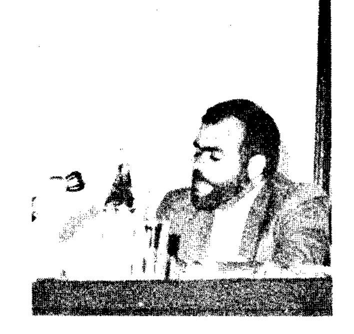
ملامح عن الحركة العلمية بورجلان ونواحيها منذ انتهاء الدولة الرستمية حتى أواخر القرن السادس الهجرى

الدكتور عمرو خليفة النـامى

أستاذ الادب العربى والدراسات الاسلامية
كلية التربية ، جامعة الفاتح طرابلس ـ ليبيا
وأستاذ زائر بجامعة مبتشيجن
ـ الولايات المتحدة الامريكية ـ

بسـم اللـه الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



أيها السادة ، والاخوة والاخوات ،

احييكم تحية الاسلام، السلام عليكم ورحمـة الله وبركاتـه .

قبل الدخول فى موضوع هذه الخلاصة أود أن اتقدم أولا بالشكر للاخ الاستاذ مولود قاسـم نايت بلقاسـم الذى تفضل فأتاح لى هذه الفرصة للمشاركة فى هذا الملتقى الحافل ، وكذلك فانى أود ان اشكر السادة الذين سهلوا على مهمة تحضير هذا الحديث بما فتحوه أمامى من أبواب بيوتهم ومكتباتهم وخزائنهم وما تكرموا به من ملاحظاتهم وتوجيهاتهم وأخص

منهم بالذكر السادة الشيخ بكلي عبد الرحمن بن عمر ، والاستاذ الشيخ سليمان الحاج داود ، والشيخ الحاج محمد بن يوسف ببانو ، والاخ الاستاذ فخار حمــو ، والسادة موسى بن الحاج يامي ، والاخ جهلان أحمد فقد هيأوا أمامي كل الاسباب للفراغ من كتابة هذه الخلاصة في المهلة القصيرة التي حددها نظام الملتقى . فأنا مدين لهم ولكرمهم وحسن عونهم أحسن الله جزاءهم .

لقد اخترت هذا العنوان لهذا الحديث لانه الصق بمكان هذا اللقاء ، ولان ما قصدت اليه هو مساهمة وارجلان وما حولها في الفكر الاسلامي كجزء امتد واتصل بعد غياب الدولة الرستمية من الوجود السياسي في شمال افريقيا ، فكان الدور الذي لعبته وارجلان هو تجسيم وتعبير عن عمق التأثير الفكري والحضاري للدولة الرستمية التي استمرت آثارها العلمية والفكرية قرونا متصلة بعد غيابها من الوجود السيـاسي تماما ، فبعثت وارجلان ذلك الدور في صورة جديدة ، واعطته دفعة قوية حفظـت له نصاعته وحيويته ، ومن وارجلان وحركتها انبثق العمران والحركة العلمية في ديار بني مصعب فنشأت قصور مزاب واستمرت بدورها في الحفاظ على ذلك الاثـــر الحضاري العلمي الذي بدأته دولة بني رستم من قبل وحافظت عليه ولفترة طـويلة عاصمة الصحراء وجوهرتها « وارجلان » .

لقد بدأ المذهب الاباضي كغيره من المذاهب الاسلامية على هيئة حركة علمية تربوية تأسست في البصرة جنوب العراق ، فكان علمها البارز التابعي الشهير أبو الشعثاء جابر بن زيد (متوفى سنة 93 هـ) ثم من بعده مسلم بن أبي كريمة أبو عبيدة الذي توفي على أيام الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور . وعلى أيام أبي عبيدة اتسعت هذه الحركة العلمية في صورة دقيقة التنظيم على هيئة « مجالس » علمية تنعقد حول علماء معروفين يقصدها اصناف شتى من الناس بين طلبة متخصصين الى آخرين يطلبون الموعظة والهداية الى علماء مميزين يتدارسون شؤون الامة ويناقشون مسائل العلم وأمور الامة عموما (1) وقد كان عبد الرحمن بن رستم مؤسس الـــدولة الرستمية

(1) انظر حول هذه المجالس : الشماخي : السير .

خريج هذه المجالس التى أسسها الاباضية فى مراكز العمران بين القيروان والبصرة ، ومن تلاميذ أبى عبيدة مسلم المباشرين ٠ ونقل التلاميذ نظـــام المجالس العلمية الى المغرب وانتظمت حلقاتها ما بين فزان وقابس وبين الجبل وتاهرت ٠ وبعد ازدهـــار تاهرت واستتباب الامر فيها كان دورها العلمى من أبرز المظاهر الحضارية التى حرصت عليها وعلى رسالتها وكان طلبة العلم يقصدون تاهرت من كل حدب وصوب لاخـــذ العلم أو لعرض العلم فكانت تصل المشرق بالمغرب والشمال بالجنوب وتذكر الروايات التاريخية أن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم قد ارسل ألف دينار الى اخوانه بالبصرة ان يشتروا له الكتب فأوفدوا له أربعين جملا كتبا (2) ٠

وكذلك فان أبا غانم بشر بن أبى غانم حضر من البصرة الى تاهرت ومعه مدونته المشهورة فعرضها على الامام عبد الوهاب ورواها الامام عنه ٠٠ وكانت عاصمة الدولة الرستمية « تاهرت » مركز حركة علمية مزدهرة يتـــولى الائمة بانفسهم الاشراف المباشر عليها والمساهمة فيها ، وتذكر الكثير من الروايات وفود المشائخ اليها وتلقيهم العلم على الائمة بتاهرت ٠

وكذلك فقد كانت للائمة الرستميين مساهمات فى التأليف ، وتذكر المصادر كتاب التفسير لعبد الرحمن بن رستم وكان موجودا حتى أواخر القرن الرابع للهجرة ٠٠

وكتب الامام عبد الوهاب اجوبة فقهيـــة لا تزال موجودة وكذلك الامام أفلـــح ابن عبد الوهاب وكان أكثر كتابتهم فى الفروع (3) ، واشتهر الامـــام أبو اليقظان بمساهمة فى البحوث الكلامية فكتب فى الاستطاعة وحدها اربعين رسالة حســـب ما يذكره رواة السير (4) ولا اريد ان اطيل الحديث فى هذا أو أرجو ان أكـــون قد كفيت أمره ممن تعرض للحديث عنه فى هذا الملتقى ، ولكن ما قصدته هنا هو دور

(2) السالمى : اللمعة المرضية فى اشعة الاباضية (ضمن مجموع) ص : 75 ٠

(3) انظر مقالتنا Description of New Ibadi Mss. from North Africa : Journal of Semitic Studies : vol. 15, n° 1, 1970, pp. 69-71.

(4) الشماخى : السير ٠

وارجلان ونواحيها فى مواصلة هذه الحركة العلمية بعد سقوط العاصمة الرستمية ، فهى فى الواقع التى حملت الراية بعد تاهرت وذهاب مجدها ·

وكان فى ازدهار وارجلان كمركز تجارى هام وكمحطة رئيسية لحركة القوافل التى تنطلق منها الى الجنوب والى الشرق والغرب والشمال ، وكذلك لما تتمتع به من الامن النسبى الذى تفرضه أهميتها التجارية وانعزال موقعها مع قوة أهلها واتساع العمران حولها ، كل هذا جعلها مكانا مثاليا للقيام بدور البديل المباشر لتاهرت ·

قال صاحب غصن البان فى ناريخ وارجلان : « ووجدت فى ورقات قديمة من تواريخ وارجلان ان فيما بين حاسى بغلة ويفرن ووارجلان وجبل العباد وسدراتة مائة وخمس وعشرون بلدة كلها عامرة بالاباضية » (5) ·

وقال الادريسى : « هى (وارجلان) مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون فى بلاد السودان الى بلاد غانة ونقارة ـ هقارة ـ فيخرجون منها التبر ويضربونه فى بلادهم باسم بلدهم وهم اباضية وهبية » ·

ومن مظاهر قوة وارجلان ان أهلها حين لجأ اليهم يعقوب بن افلح عرضوا عليه البيعة وان يقوموا بأعباء الامامة وتأسيس الدولة من جديد فى وارجلان ، ولكنه اعتذر عن ذلك لعلمه ان أسباب ذلك لن تكون مكتملة رغم هذا الاستعداد الظاهر عند أهل ورجلان ·

لا شك ان استقرار يعقوب بن أفلح فى وارجلان (6) يحدد من الناحية الزمنية انطلاق الحركة العلمية بها كبديل لتاهرت ولم يكن ذلك هو بداية تلك الحركة فقد كانت هذه الديار تزخر بالعلم والعلماء ·

ومن الشخصيات العلمية الرئيسية فى وارجلان الشيخ أبو يوسف يعقوب ابن يوسف بن سهلون السدراتى المعروف بالطرفى « وكانت قراءته على الائمة

---

(5) من تقييدات نقلها عن الكتاب المشار اليه الشيخ سالم بن يعقوب الجربى ·
(6) الشماخى : السير : 365 ·

بتاهرت » (7) · وصفه الدرجيني بقوله : « ذو الجهادين الاصغر والاكبر ، والاجتهادين المصلى والدفتر » (8) ، وقـال الشماخي : « كان قاضيا وهو النهـاية فى الفتيا فى وارجلان » (9) ، وقد كون حركة علمية طبية فى وارجلان من ألمع تلامذته فيها ووارث علمه والقائم بالامر بعده الشيخ أبو صالح جنون بن يمرسان (10) ، وكان عالما ورعا سخيا حازما ، وكان واسطة العقد فى وارجلان واليه التجأ زعماء الاباضية من نواحى تاهرت والحامة فقام بأمرهم احسن قيام وهيأ لهم من أسباب الاستقرار والتعليم مـا ساعد على ازدهار الحركة العلمية بها ·

كان أول ذلك بمجىء أبو يوسف يعقوب بن أفلح حين اضطره الحجانى الى اللجوء الى وارجلان ، فلما بلغها هو وأصحابه تلقاهم أبو صالح جنون بن يمريان فى جموع أهل وارجلان فأكرموه ورفعوا درجته واحسنوا القيام بحوائجه ·

واذا تعذرت أسباب اقامة الدولة وتجديدها بعد ورود الشيخ أبى يوسف يعقوب ابن افلح بن عبد الوهاب ، فان مساهمته فى ميدان التعليم كانت ذات شأن كبير ، فقد كان من دخول العلماء على عادة بيت الرستميين ، قال الدرجيني : « وكان يعقوب يحمل أنواعا من العلم · بلغنا ان سائلا سأله ذات يوم ، اتحفظ القرآن ؟ فقال : استعيذ بالله من ان ينزل على موسى وعيسى عليهما السلام ما لم احفظ واعرف معناه فكيف بالكتاب المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم » (11) ·

وقد أقام أبو يعقوب بوارجلان حتى توفاه الله بها ونبغ بعده ابنه سليمان غير انه انتحل مسائل خالف فيها المشهور من المذهب وعرف بها وجرت عليه اعتراض المشائخ واعراضهم فحرمه ذلك من مساهمة مؤثرة فعالة فى الحركة العلمية هناك (12) ·

---

(7) الوسياني : السير : 47 ـ 48 ، الدرجيني : طبقات (طبعة طـلاى) : 331 ، الشماخي : السير : 288 ·
(8) الدرجيني : السابق : 331 ·
(9) الشماخي : السابق : 289 ·
(10) انظر اخباره فى
(11) الدرجيني : السابق : 105 ·
(12) أنظر تفاصيل ذلك فى طبقات الدرجيني : 1 : 108 ·

أما الشخصية الثانية بعد يعقوب بن افلح فهو الشيخ أبو نوح سعيد بن زنغيل واليه انتهت رئاسة الاباضية فى العلم ، وقد شارك فى الثورة ضد سلطان العبيديين ، وعندما عزم السلطان العبيدى أبو تميم التحول الى مصر أخذ معه أبا خزريغلا بن زلتاف حتى لا يحدث بعده شيئا ، وأراد ذلك من أبى نوح ، ولكنه تمارض وتخلف عن أبى تميم « فهرب وقصد وارجلان بأهله مستخفيا خشية أن ينتقل الى مصر · فلما بلغ خبر وصوله الى مشارف وارجلان وجاء البشير بالخير الى أبى صالح جنون أرسل اليه يقول : « لا تخف ، نجوت من القوم الظالمين » · ولما وصل وارجلان انزله الشيخ وجماعة أهل وارجلان واحسنوا نزوله وتجاوزوا الحد فى الاعظام واكرموا مثواه غاية الاكرام » (13) ·

وكان هذا الجو الكريم المضياف الآمن فى ورجلان سببا فى اتجاه انظار أمثال هؤلاء العلماء والزعماء اليها والاستقرار بها وتنشيط الحركة العلمية فيها ·

وقد رحب أبو صالح جنون بالشيخ أبى نوح سعيد بن زنفيل واجرى عليه الارزاق الكثيرة وامده بكل ما يحتاج اليه من أموال ، واجرى له فى كل يوم مائدة وأخرى عشية وباختصار : يسر له كل سبل الاستقرار التى تجعله يأنس الى وارجلان كقاعدة جديدة لنشاطه العلمى (14) ·

وعقد الشيخ أبو نوح حلقة الدرس فى مسجد الشيخ جنون « وكانت جماعة أهل وارجلان تجتمع عند مسجد الشيخ جنون فمنهم المستفيد منه علما ومنهم المستبرك بمشاهدته والمشارك فيما يعرض من أمور دنياه ودينه ، والمقتنى منه خلقا يتحلى به » · قال الدرجينى : « ومكث أبو نوح فى وارجلان على هذا الحال زمانا » (15) ·

ويظهر ان شخصية أبى صالح جنون كانت مسؤولة فى المكان الاول عن ازدهار الحركة العلمية وانتظام الحياة الدينية والاستقامة الخلقية فى وارجلان ، وذلك لما له من نفوذ واسع وتأثير مباشر ولما يبذل من المال الطائل فى دعم تلك الحركة العلمية والنفقة

(13) السابق : 1 : 144 ·
(14) السابق 1 : 145 ·
(15) السابق ·

على الشيوخ والطلبة هو وأمثاله مـن أهل المال والفضل كالشيخ أبى عمرو التناوتى وبوفاة أبى صالح تضعضع ركن هام من اركان هذه الحركة فنجحت مظاهر التهـاون بالدين والاستخفاف بأحكامه بل والتجهم لعلمائه وائمته ، وهذا أبـو نـوح سعيد ابن زنغيل بعد خروجه عن وارجلان وتقلبه فى مواطن من افريقية يعود الى واجـلان من جديد ، وفى مخيلته تلك الصورة القديمة المشجعة المؤنسة فاذا به « يجد البلد بعد موت الشيخ أبى صالح جنون بن يمريان قد فسد ، والاحوال على غير ما عهد » (17) ٠

وقد لخص أبو نوح مآخذه على الحياة الدينية والاجتماعية فى وارجلان فى الآتى :

1) انتشار نكـاح السر ٠

2) والثانية « ان أحدكم يطلق عبيده فلا يعولهم ولا يمونهم ولا يكفيهم طلب معاشهم فينطلقون فى أموال الناس على غير رضى أصحاب الاموال ، وعلى غير اذنهم فيكاد يكون أحدكم سارقا وهو فى محرابه جالس » ٠

3) والثالثة انكم اظهرتم فيما بينكم التخرب والتفرق ، فطائفة منكم يقولون مسجدنا ومسجدكم ، وطائفة يقولون حضرينا وحضريكم ، ويهودينا ويهوديكم » (18) ٠

وقد ادرك أبو نوح أن واقعا كهذا لن يشجع على حركة علمية دينية ملتزمة خاصة بعد أن بذل جهده فى وعظهم ونهيهم ولكنهم تلكأوا فى الرد عليه والاعتذار عن تلـك الحال أو الاقلاع عنها ، فارتحل عنها نهائيا ٠

وهكذا ، ولفترة وجيزة ، لم تستطع وارجلان ان تستقطب عناصر الحركة العلمية الاباضية التى رفع مشعلها بعد هذا الدور فيما حولها من الاصقاع علم من اعلام القرن الرابع هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بكر الفرسطائى ، يمثل هذا الشيخ حلقة وصل بين مرحلتين من مـراحل الحياة العلمية والسياسية فى المجتمعات الابـاضية بالمغـــرب ٠

---

(17) الدرجينى : 1 : 154 ٠
(18) السابق : 1 : 155 ٠

فاذا كانت جهود من قلبه قد اتجهت الى محاولات سياسية وعسكرية لاعادة بناء الدولة الاباضية وترسيخها على انقاض الدولة العبيدية كما حاول أبو يزيد مخلد بن كيد وبعده أبو خزر يغلا بن زلتاف ورفيقه وتلميذه أبو نوح سعيد بن زنغيل ، فان أبا عبد الله محمد بن بكر قد انصرف بجهوده كلية الى بناء حركة علمية تربوية منظمة تنظيما دقيقا للمحافظة على استمرارية البناء الإجتماعي والديني والعلمي للمجتمعات الاباضية حين خبر ما انتهت اليه تلك المحاولات السياسية قبله من انهاك للامة وتبديد لطاقاتها واضعاف لامكاناتها . ولد الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بكر حوالى عام 345 هـ على ما حققه الشيخ بكلي عبد الرحمن (19) ، وتوفى سنة 440 هـ باتفاق المصادر (20) بتين ابسلي (بليدة اعمر) اليوم ، ودفن فيها . وهو نفوسي الاصل من (فرسطاء) بجبل نفوسة بليبيا . وقد تنقل فى بلاد الاباضية ما بين ليبيا والمغرب فى رحلات عديدة وتلقى العلم على شيوخ عدة ولعل أهم وأكبر شيوخه الشيخان أبو نوح سعيد بن زنغيل وأبو زكريا بن أبى مسور . قال الدرجينى : « وكانت لكل واحد منهما به عناية وله فيه حسن نظر » (21) وقصد مدينة القيروان وأقام بها مدة يتلقى علوم اللغة والنحو .

وبعد دراسة عميقة مستوعبة لاحوال مختلف الديار التى تنقل فيها ، وبناء أيضا على أمر شيخه وتوصيته لبعض تلاميذه ، استقر رأيه على الانتقال الى مغراوة ريغ (وغلانة اليوم) وقال : ها هنا ناس رقاق القلوب ارجو أن ينتجع فيهم الاسلام ويتلقوا ما نحن عليه بالقبول ويكونوا لهذا الخبر أهلا (22) . وقد عقد الحلقة وجلس للتدريس فى أريغ سنة 409 هـ ، ثم انتقل عنها الى يتسلى (بليدة اعمر) وأسس بها الحلقة وأرسى قواعد نظام العزابة وصاغه فى صيغته النهائية . ويذكر الشيخ بكلى عبد الرحمن أن أبا عبد الله محمد بن بكر قد سبق الى هذا النظام ولكنه حرره وكتبه ودون قواعده

(19) فى تقييدات عنده تكرم وعرضها على عند مقابلة معه بتاريخ 1976/12/30 .
(20) أبو الربيع الوسياني : السير : (مخطوط) ص 32 والدرجينى .
(21) الدرجينى : الطبقات : 1 : 167 .
(22) السابق : 1 : 170 .

فعرف به ، وانما كانت هذه الطريقة نتيجة دراسات ومداولات بينه وبين شيخه أبى زكريا بن أبى مسور ويؤكد هذا الكلام قول الدرجينى فى كتاب الطبقات : « فهذا سبب قعود الحلقة المباركة الصادرة عن أكرم مشاركة بين الشجرتين الصليبتين المسورية والبكرية بخطبة واجابة كانتا فى الله فتولدت بينهما الانوار البهية » (23) ٠

ونستطيع أن نجزم بأن أهم انجاز فى اطار الحركة العلمية فى هذه الديار وفى هذه المرحلة ـ نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس ـ كان وضع هذا المخطط المحكم لنظام الحلقة وارساء آدابه وقوانينه وترسيخها فى أوساط المجتمعات الاباضية مما أعان على دعم الحركة العلمية على أسس ثابتة ومنظمة ٠

وكنت أود لو سمح المجال أن أذكر طرفا من هذه الآداب والقوانين التى تتعرض لنظم الدراسة والحياة فى الحلقة وما يتعلق بها من السلوك والعبادة ، وحسبى أن أشير هنا أنها جمعت بين التعليم والتكوين وبين التدريس والتوجيه وبين الشكل والروح والجوهر والمخبر ٠٠٠ وتفاصيل هذه التراتيب مذكورة فى الطبقات للدرجينى ـ وهى كذلك عند البرادى فى الجواهر ، وقد تناولها دارسون معاصرون بدراسات ومناقشات مفصلة (24) ٠

كان يتولى التدريس واعداد الطلبة فى هذه المرحلة ثلاثة شيوخ فكان أبو يعقوب وهو شيخ كان بنفوسة امسنان مقصدا للمبتدئين فاذا انتظموا فى حلقته علمهم السير وآداب الصالحين ، ثم ينقلهم الى محمد بن سودرين فيجرون قراءة القرآن ويتعلمون اللغة والاعراب ثم ينتقلون الى أبى عبد الله بن بكر فيعلمهم أصول الدين والفقه « فكانوا يشبهونهم بثلاثة نجارين احدهم يحسن قطع الخشب ، والثانى يشقها وينشرها، والثالث يركب الالواح ويسمرها فيما يصلح من الادوات » (25) ٠

وقد كان الشيخ يحرج للحلقة فى آوان الربيع الى بادية بنى مصعب ، وبفضل جهوده ومساعيه استمالهم الى طريقته واصبحت ديار بنى مصعب فيما بعد مظهرا متصلا

(23) الدرجينى : 1 : 170 ٠
(24) انظر مقال (الحلقة) Halka فى دائرة المعارف الاسلامية الطبعة الثانية ٠
(25) الوسيانى السير : (مخطوط) ص 32 ، الدرجينى : 2 : 398 والشماخى : السير : 517 ٠

لتلك الجهود المثمرة التى استطاعت أن ترسخ مثل الاسلام وقيمه وتحافظ عليها على مر الزمان · وكان يوزع تلامذته على الاحياء فى افريقيا للتعليم والارشاد (26) ، وبذلك استطاع ان يوسع آفاق حركته فى كل الديار الاباضية بين جـــربة ووارجلان ، وان يحافظ على مثل الاسلام واخلاقه بين الناس بما أوتى من حسن التدبير وجميل الرأى ·

وكان يشجع طلبته على مطالعة الكتب وتأليفها وقد نبغ منهم عدد كبير ساهم فى الكتابة والتأليف وتركوا آثارا علمية جمة ذات قيمة كبيرة ·· حـذوا فى ذلك حـذو شيخهم أبى عبد الله ، وقد نصب من نفسه قدوة لهم · قال الشماخي : « وله فى كل فن تآليف كثيرة» (27) ومن هؤلاء العلماء الذين ساهموا فى حركة التأليف الشيخ أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتى المتوفى سنة 471 هـ (28) · تلقى العلم عن أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن بكر ، ثم رحل الى جربة لاستكمال تعليمه بها على أبى محمد ويسلان بن أبى صالح وزكريا ويونس · وهناك عقد الحلقة لتدريس أصول الـــدين ووفد عليه الطلبة من كل ناحية وألف فى العقائد كتابا نفيسا جليل الفائدة فى جزأين سماه « التحف المخزونة والجواهر المصونة » وتوجد نسخ مخطوطة منه (29) ·

ومنهم أيضا أبو العباس احمد بن محمد بن بكر متوفى سنـة 504 هـ (30) تلقى العلم على أبيه وعلى أبى الربيع سليمان بن يخلف · وألف الكتب فى أكثر من ميدان ، ومن كتبه كتاب الجامع فى الفروع ويعرف بأبى مسألة ، كتبه بناء على طلب أبى عبد الله محمد النفوسى الابديلانى ، فى جزأين وقد طبع بزنجبار · وله كتاب القسمة ، وكتاب أصول الارضين فى عدة مجلدات وكتاب تبيين أفعال العباد فى علم الاخلاق على أسس اسلامية محضة فى ثلاثة أجزاء ، ومسائل التوحيد ، رسالة مختصرة فيما لا يســع جهله ، (معدة للنشر) · وكتاب مسائل الاموات وكتاب الدماء ، وكتاب الالواح ، وهذه

(26) الدرجينى : الطبقات : 1 : 186 ـ 187 ، الوسيانى : السير : ص 32 ·
(27) الشماخى : السير : 384 ·
(28) الدرجينى : السابق : 2 : 428 ·
(29) **انظر وصف هذه المخطوطة فى مقالتنا عن المخطوطات الاباضية**
(30) **الدرجينى : 2 : 446 ، وأخباره هناك صفحات 442 ـ 446 ·**

الكتب كلها موجودة فى خزائن المخطوطات فى مصر وجبل نفوسة وجربة ووادى ميزاب (31) ·

قال الدرجينى : « انه لما دنت وفاته أودع علومه الكتب فصنف تصنيفات خمسة وعشرين كتابا وكتابا آخر تركه فى الالواح » (32) · وتذكر الروايات انه قد عرض جميع ما صنف غير كتاب واحد تركه فى الالواح فى أجلو · ورغب الاشياخ فى وصولها اليهم بايفران من قرى وارجلان فعرضها عليهم ولده ، وهؤلاء الاشياخ هم اسماعيل وحمو بن المعز وأيوب بن اسماعيل وداود بن واسلان ، وأبو سليمان الزداغى (33) ·

وكان له حرص على العلم ، واهتمام بالمكتبات ، وقد ذهب خصيصا الى جبل نفوسة للمطالعة فى مكتبة قصر «ولم» الشهير ويقع فى قمة جبل مرتفع يشرف من ناحية الشرق على مدينة شروس · ومكث فى تلك المكتبة أربعة أشهر لاينام ليلا ولا نهارا الا فيما بين أذان الصبح الى طلوع الشمس · قال : « فنظرت فى اثناء ذلك فيما هناك من كتب المذهب التى وصلت من المشرق فاذا هى نحو 33 ألف جزء فتخيرت أكثرها فائدة فقرأتها حينئذ » (34) ·

وممن ساهم فى حركة التأليف من هذه الطبقة الشيخ تبغورين بن عيسى الملشوطى ، وكان كما يقول الشماخى : « من أعظم الناس قدرا ومن أكثرهم علما ومن أشدهم عملا » قال : « وله تآليف فى العقائد تدل على نباهة شأنه ورفيع درجته » (35) ·

ومن مؤلفاته كتاب « الجهالات » وهو رسالة صغيرة فى مسائل الكلام شرحها أبو عمار عبد الكافى فى مجلد متوسط · وله كتاب « أصول الدين » تكلم فيه فى مسائل العقيدة وناقش الاصول العشرة : التوحيد ، والقدر ، والعدل ، والمنزلة بين المنزلتين ، وألا منزلة بين المنزلتين ، والولاية والعداوة ، والامر والنهى والاسماء والصفات والاسماء

(31) انظر وصف هذه المخطوطات فى مقالنا المشار اليه
(32) الدرجينى : الطبقات : 2 : 444 ·
(33) السابق ·
(34) السابق : 445 ·
(35) الشماخى : السير : 432 ·

والاحكام ثم عقب عليها بمناقشة مسائل الرؤية ، والشفاعة والصراط والميزان وعذاب القبر وغيره ، وهو كتاب جيد التصنيف حسن التبويب سهل العبارة وقد حققته تحقيقا علميا ، وترجمته الى اللغة الانجليزية بالتعاون مع الاستاذ الدكتور Trover Le Gassick أستاذ الادب العربى الحديث فى جامعة متشجان Mitchigan وهو معد للنشر .

وقد ذكر الشيخ عبد الله السالمى من علماء عمان أن لتبغورين بن عيسى رسالة « الادلة والبيان » فى أصول الفقه (36) ، ولم أرها ولم أطلع عليها .

وعرفت الحركة العلمية فى هذه البلاد ، وفى هذه المرحلة صورة جديدة من التاليف المشترك ، وهو يشبه الى حد كبير ما يعرف اليوم بالموسوعات العلمية حيث يساهم العلماء كل فى تخصصه الذى يحسنه فى كتابة كتاب متكامل ـ ومن هذا اللون كتاب الديوان الذى ألفه ثمانية شيوخ وجعلوه خمسة وعشرين جزءا (37) .

وشبيه بهذا العمل الجماعى ديوان الاشياخ الذى ألفه علماء الاباضية فى غار أمجماج بجربة ..

وقد عرضت تلك الاجزاء كلها « أجزاء ديوان العزابة » على لجنة عليا تتألف من المشائخ الثلاثة : أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر ، وأبو الربيع وأبو محمد ماكش ابن الخير .

وكان الشيخ ماكسن ممن قطن وارجلان وأقام فيها فترة طويلة يواصل جهود من سبقه فى احياء الحركة العلمية بوارجلان .. وكذلك فان الشيخ أبا سامان داوود بن أبى يوسف ترك بها (بوارجلان) جماعة من التلاميذ واليهم رجعت الرئاسة فى العلم ، وبهم استردت وارجلان مكانتها العلمية من جديد ، يذكر الدرجينى رواية عن أبى الربيع سليمان بن يخلف قال : « فقد الناس من مسائل الحلال والحرام أكثر مما فقدوا من مسائل علم الكلام والجدال ، ولا أعلم اليوم من يقرأ عليه علم الفروع الا أن يكون أحدا من تلامذة أبى سليمان داوود بن أبى يوسف فان منهم جماعة بوارجلان (38) .

---

(36) السالمى : اللمعة المرضية فى اشعة الاباضية : 10 .
(37) الدرجينى : 2 : 256 ، الشماخى ، 431 .
(38) الدرجينى : الطبقات : 2 : 459 .

وبعد هذه المرحلة نبغ فى وارجلان عالم جليل أعطى دفعة قوية للحركة العلمية فيها بعلمه وماله وسخائه ، وأحيا من جديد ذلك الدور الذى رأيناه من قبل على أيام أبـى صالح جنون بن يمريان هذا الشيخ هو أبو اسماعيل أيوب بن اسماعيل · عقد حلقة الدرس فى وارجلان ، وكان الطلبة يقصدونه بها من كل جهة ، وقد كان كثير الابـرار لطلبته يؤاسيهم وينفق عليهم مسخرا لذلك كل ما له ·

ومن بين تلاميذه النابهين الشيخ أبو سعيد سليمان بن على الدرجينى جـد مؤلف الطبقات وأبو عمر وعثمان بن خليفة السوفى وأبو عمار عبد الكافى بن أبى يعقـوب التناوتى وأبو يعقوب يوسف بن ابراهيم بن مناد السدراتى الوارجلانى ، وهـؤلاء الاعلام من طبقة بلغت شأوا فى العلم والتأليف لم تسبق اليه ولم تلحق فى مضماره ، فأغنوا بتآليفهم الكثيرة المكتبة الاسلامية عموما والمكتبة الاباضية خصوصا ··

واذا كانت مساهمة هؤلاء الاعلام فى هذه الحركة العلمية من أزهى العصور التى رفعت مكانة وارجلان وأحلتها محل الصدارة من جديد ، فان فضـل ذلك يرجع فى المكان الاول الى شيخهم وأستاذهم أبى اسماعيل أيوب بن اسماعيل ، فقد ترعرعت هذه الحركة وازدهرت بفضل توجيهه ورعايته ، وحسن قيامه بشؤون الطلبة وابراره لهـم ·

وتذكر كتب السير مدى تعلق طلبته به وشدة ارتباطهم بهذا الشيخ ومن صور ذلك قصيدة أبى يعقوب الوارجلانى البائية فى رثاء الشيخ أيـوب ونقتبس منهـا الابيات التـاليـة :

يقـول :

بكـت السموات العـلا ونجـومها	حـزنا عليـه والفـلا والـروب
واستوحشت منـه المساجد كلهـا	لـما خلـت منـه وحـن النيـب
واستشعر التقـوى شعارا خالصا	قـد ثـاره التـرغيب والتـرهيب

ويقـــول فيهـا :

يـا غائبـا مـــا تنقضي حسراتنا — أبـدا عليـه ولات حـين يئـــوب
يا غائبا سكن الثـرى فى حفـرة — تعلـو الصفائح قبـره والطـوب
ان غبت عـن ابصـارنا وسماعنا — لـم تحتجبك عـن القلوب غيـوب
قـد كان آن لك الجـواب لسـائل — يدعو ، ويسأل ، كيف كنت تجيب
مـا كان ضرك لو أجبـت نـداءه — ان الحشـا ضـرم ، وأنت قـريب

وهى قصيدة طويلة أوردها صاحب الطبقات كاملة (39) ٠

وأحب أن اخصص هذا القسم الاخير لاربعة من أعلام الحركة العلمية فى وارجلان ونواحيهـا هـم :

1 ـ أبو عمرو عثمان بن خليفة المرغنى السوفى ، وهو وان كان من سوف الا أنه قد تلقى علومه فى وارجلان ، فهو لذلك جزء من هذه الحركة العلمية ونبت مـن نباتها الزكى المبارك ٠ قال الشماخى : « كان اماما ولا سيما فى العلوم » (40) قال : « وله من التآليف كتاب السؤالات وهو تأليف ، مفيد أظهر فيه منزلته من العلم » (41) ويورد الشماخى ملاحظات أخرى حول كتاب السؤالات لا بأس بايرادها هنا لانها تصور لنا لونا من ألوان التآليف المعروفة عند علماء هذه الديار ، قال الشماخى : « وأبو موسى عيسى بن عيسى النفوسى هو الذى ألف كتاب السؤالات التى رويت عن أبى عمرو عثمان بن خليفة املاء الشيخ أبى يعقوب يوسف بن محمد ، وعرض الكتاب على الشيخ أبى صالح نوح بن الشيخ ابراهيم وعلى الشيخ المعز بن جفاو (من أئمة الكلام واللغة والفقه) » ٠ (42)

(39) الدرجينى : الطبقات ، 2 ، 262 ـ 269 ٠
(40) الشماخى : السير 40 ٠
(41) السابق : 441 ٠
(42) السابق : 524 ـ 529 ٠

وكتاب السؤالات مزيج من البحوث الكلامية واللغوية غاية فى التحقيق والتفصيل، وتوجد منه مخطوطات عديدة فى جبل نفوسة وجربة ومزاب ، وعليه شروح وحواش للمتأخرين ٠

قال الشماخى : « وله تآليف غيرها » يعنى السؤالات ، ويوجد منها رسالة مختصرة فى فرق الاباضية طبعت فى الجزائر ضمن مجموع بدون تاريخ ٠

2 ـ الشخصية الثانية : أبو عمار عبد الكافى بن ابى يعقوب التناوتى ، أخذ العلم بوارجلان ثم ارتحل الى تونس وأقام فيها أعواما يتلقى علوم اللسان والمنطق ورجع منها بعد أن قضى نهمته من العلم فاستقر بين وارجلان وجبال بنى مصعب ، وله أجوبة ومراسلات ومؤلفات لها شأن ، أهمها كتاب الموجز فى مقالات الاسلاميين وغيرهم فى جزأين ، وله شرح الجهالات وهو كتاب حسن التصنيف جيد البحث شرح فيه بعض المسائل الكلامية التى اجملها الشيخ تبغورين بن عيسى فى كتاب الجهالات ٠ وله مختصر فى الفرائض ، وهو الذى رتب اسناد الطريقة الاباضية فى طبقات قسمها على سنوات التاريخ تشغل كل طبقة خمسين سنة ما بينه وبين هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

وقد ضمنها الشيخ الدرجينى فى أول الجزء الاول من الطبقات (43) ٠ وكان أبو عمار رحمه الله سخيا جواد النفس فرغ كل جهده للعلم والتأليف فكان كما قال عنه الدرجينى : « سببا فى بعث الحركة العلمية الاباضية واحيائها وتصدر بوارجلان للتدريس والفتوى وحل ما يرد عليه من المعضلات » ٠ (44)

وذكر عيسى بن أحمد أن أبا عبد الرحمن الكرثى كتب الى جماعة الشيوخ بوارجلان كتابا يسألهم سؤال مسترشد قال : « فلما ورد عليهم كتابه لم يروا نفوسهم أهلا لمجاوبته الا أبا عمار فجاوبه عن جميعها ـ وقد أورد الدرجينى نص الاسئلة وجوابه عليها فى الطبقات » ٠ (45)

(43) الطبقات : (طبعة طلاى ابراهيم) 1 : 6 ـ 10 ٠
(44) الطبقات : للدرجينى : 2 : 485 ٠
(45) السابق : 2 : 488 ـ 489 ٠

وكذلك بعث اليه رجل من عائلة يسمى عبد الوهاب بن محمد بن غالب بن تمير الانصارى رسالة يسأل فيها عن مسائل علم الكلام ، فتوفى رحمه الله وأجاب عليها أبو يعقوب ، وهى مضمنة فى كتاب الدليل والبرهان · (46)

3 ـ الشخصية الثالثة : أبو يعقوب يوسف بن خلفون المزاتى وكان محققا بلغ الغاية فى علم الاصول والفروع كثير الاطلاع على مسائل الاتفاق والاختلاف وله مساهمة طيبة فى التدريس والتأليف والموجود من مؤلفاته رسالتان احداهما رسالة جيدة التأليف فى الفقه المقارن فصل فيها الجواب على عدد من المسائل التى يدور فيها الخلاف ، وذكر فيها مذاهب علماء الامصار ومختلف الائمة وساق فيها الادلة وما احتج به صاحب كل مذهب فى صورة تدل على سعة اطلاعه ورحابة صدره وصدق منهجيته · وقد نشرت محققة سنة 1972 م · وله رسالة أخرى تشتمل على مواعظ وتنبيهات فقهية هامة كتب بها الى جبل نفوسة ، وهى مفقودة مع الاسف ·

وقد جر عليه تفتحه العلمى وكثرة مطالعاته فى كتب الخلافيات الكثير من الاعنات من بعض معاصريه ، ولكن مسلكه الذى نهجه كان أجدر بالظهور والقبول لتجاوزه حدود التقليد الجامد الى الاصول الاولى ، ولنفاذه من الاحكام المجردة الى مناقشة الادلة فى مصادرها الاصيلة · وأصبح هذا الطابع السمح سبيل من جاء بعده من علماء المغرب الاباضية ممن كتب فى الفروع والاصول ·

4 ـ أما شخصية وارجلان الفذة ، وفيلسوفها الكبير ، فهو أبو يعقوب يوسف ابن ابراهيم مناد السدراتى الوارجلانى (الذى توفى سنة 570 هـ) (47) تلقى دروسه الاولى فى وارجلان على شيوخه أبى اسماعيل ايوب بن اسماعيل وطريقته ، ثم رحل الى قرطبة بالاندلس فاغترف من علومها ومعارفها فى أوج ازدهار جامعاتها بالعلوم والمعارف فصار كما قال الدرجينى : « له فى كل جو متنفس وفى كل نار مقتبس ، له

(46) الوارجلانى : الدليل والبرهان (مخطوط) (بخزانة الشيخ محمد ببانو ابن يزجن) 23 ظ ـ 30 ظ ·

(47) انظر اخباره فى السير للشماخى ، ص 443 وما بعدها ، والدرجينى : الطبقات 2 : 491 وما بعدها ·

يد فى علم القرآن وفى علم اللسان وفى الحديث والاخبار ، وفى رواية السير والآثار وعلم النظر والكلام والعلوم الشرعية عباداتها والاحكام ، وعلـــم فرائض المواريث ومعرفة الرجال ، ولم يخل من اطلاع على علوم الاقدمين . قال : « بل حصل مـــع ملازمة السنة قطعة من علم الحكماء المنجمين » (48) وله أسفار كثيرة ورحلات ومغامرات فى مجاهل افريقيا وغيرها من البلاد يشير فى ثنايا كتبه الى بعض ما وقع له فيها من غرائب خصوصا كتاب الدليل والبرهان .

واستقر أبو يعقوب فى وارجلان حيث تفرغ للتأليف والتعليم وذكر عنه أنه أقام فيها سبعة أعوام ملازما داره لا ينصرف يشتغل بالنسخ والتأليف لا يصرفه عـــن ذلك شيء سوى قيامه لاداء فرضه (49) . قال الدرجينى : حدثنى بعض الثقاة قال : « وقفت ببلادنا قسطيلية وسوف وأريغ ووارجلان على سبع نسخ أو ثمان من كتاب العدل والانصاف كلها بخط يده » . (50)

أما مؤلفاته : فقد كتب فى التفسير كتابا جليل القدر ، وهو مفقود مع الاسف ، وصف البرادى ما رآه منه وصفا يدل على القيمة العلمية الرفيعة لهذا التفسير : قال البرادى : « وهو كتاب عجيب رأيت منه فى بلاد أريغ سفرا كبيرا لم أر ولا رأيـــت سفرا أضخم منه ولا أكبر منه ، وحزرت أنه يجاوز سبعمائة ورقة ، فيه تفسير الفاتحة والبقرة وآل عمران ، وحزرت أنه فسر القرآن فى ثمانية أسفار مثله ، فلم أر ولا رأيت أبلغ منه ولا أشفى للصدور فى لغة واعراب أو حكم مبين أو قراءة ظاهرة أو شـــاذة أو ناسخ أو منسوخ أو فى جميع العلوم ... قال البرادى : ولعمرى ان فيه لعلوما جمـــة » . (51)

أما فى علوم الحديث فقد أعاد ترتيب المسند مسند الربيع بن حبيب وترتيبه هو المتداول اليوم ، وألف رسالة فى التعريف برجال المسند وهذه الرسالة مفقودة .

---

(48) الدرجينى : 2 : 491 .
(49) السابق : 492 .
(50) السابق : 2 : 492 .
(51) نقلا عن اللمعة المرضية : 77 .

وله فى أصول الفقه كتاب جليل هو كتاب العدل والانصاف فى ثلاثة أجزاء ، وقد أتممت تحقيقه واعداده للنشر ، وهو من خيرة المؤلفات فى بابه ليس فى المكتبة الاباضية فحسب بل فى المكتبة الاسلامية كلها .

وله كتاب الدليل لاهل العقول ، فى أصول الدين ومباحث علم الكلام والمنطق والفلسفة فى ثلاثة أجزاء ، طبعة حجر بمصر وتوجد منه مخطوطات عديدة ، وقد اهتم به بعض الدارسين المعاصرين وترجموا فصولا منه .

وله اجوبة كثيرة فى مختلف الفنون . قال الشماخى : « ولا أحصى ما رأيت له من الاجوبة كثرة » . (52)

وله ديوان جمعت فيه قصائده (53) ، والمعروف منها اليوم قصيدتان القصيدة البائية فى رثاء شيخه ايوب بن اسماعيل ، وقد ضمنها الدرجينى كتابه الطبقات . والقصيدة الحجازية ومطلعها .

عذيرى عذيرى من ذوات المعاجـــر ذوات العيون النجل بيض المحاجر

ذوات الشفاه اللعس بالظلم واللمى غرائــر خرق الصنع سود الغدائر

وهى قصيدة طويلة على عدد أيام العام بدأ فيها بغزل رقيق ثم ذكر الرحلة على وأرجـــلان :

خرجنا نؤم الحج من حيز وارجـــلا بفتيان صدق من وجـوه العشائر

ووصف الطريق منزلة منزلة فى سيرهم حتى وصلوا ، وذكر المناسك ، ثم فعل كذلك حتى خرج ، ووصف طريق العودة حتى وصوله الى ورجلان .

حيث يقول وقد خلف خلفه هول الطريق وشدته :

حللنا بواد الخير واللحـم والقرى بهاتا وهاتا فى الصحارى المناكـر

جزى الله عنا وارجلا خير ما جزى به بلدا عن طالب الخـير صائـر

هو الجنة الدنيا وأبـــواب مكـــة وأبواب تبـــر غانـــة والدنـانـر

(52) الشماخى : السير : اخبار ابى يعقوب 443 وما بعدها .
(53) الدرجينى : 2 : 460 .

ثم خرج الى شيء من علم الحدثان ، ثم وعظ أحسن وعظ وتذكير ··· وتوجد منها نسخ مخطوطة فى مكتبات جربة وميزاب ·

ويذكر أن أبا يعقوب كتب كتابا فى التاريخ (54) ولم أتحقق من ذلك ولعل التنقيب والبحث يكشفان عنه من بعد ، على أن الموجود من كتابات أبى يعقوب وتآليفه يضعه فى مصاف أعلام الاسلام الذين رفعوا راية العلم وأذكوا جذوة المعرفة ·

ولابد من الاشارة هنا الى اننى فى هذه العجالة قد تعمدت ذكر مشاهير العلماء ممن نبغ بهذه الديار فى الفترة الزمنية التى حددتها فى عنوان هذه الخلاصة ، وهناك العدد الكبير ممن هم فى درجتهم فى كفاحهم العلمى والدينى ، واذا كان ضيق المجال يمنعنا من التفصيل والتطويل فلابد من ادراج اسمين آخرين بين هذه المشاعل الوارجلانية ، واليهما يرجع الفضل فى حفظ هذه الآثار ونشرها وابرازها بما كتباه من سير أئمتها وعلمائها وبما دوناه من أخبارها هما أبو زكرياء يحيى الوارجلانى صاحب كتاب السير (55) ، والشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجينى صاحب كتاب الطبقات (56) · فالاول وارجلانى أصلا والثانى وان كان من الحامة من جنوب القطر التونسى الا انه درس فى وارجلان وتلقى بها علومه ، وكذلك والده وجده ··· فهو أثر من آثار تلك الحركة ونبتة زكية منها ·

ونختم هذه الخلاصة بالملاحظات التالية :

ـ لقد كان لوارجلان وبيئتها كمركز تجارى كبير ، ومحطة حيوية لرحلات القوافل التى تربطها بما حولها من كل الجهات وما تتمتع به من أمن نسبى ، كان كل ذلك من المقومات التى جعلتها ملجأ لزعماء الاباضية وعلمائهم يفيئون اليها ينشدون الاستقرار فيها ويتخذونها قاعدة لنشاطهم ومحاولاتهم المتصلة لاحياء الحركة العلمية ونشرها ·

(54) بكلى عبد الرحمن : مقدمة كتاب طبقات مشائخ المغرب للدرجينى : ص : ى وكذلك ترجمة الامام أبى يعقوب للشيخ أبى اليقظان ابراهيم (مخطوط) ·
(55) أنظر أخباره فى الطبقات للدرجينى : 448 وما بعدها والشماخى :
(56) أنظر أخباره فى مقدمة الشيخ بكلى عبد الرحمن المشار اليها آنفا صفحات : (ى ـ ن) ·

– بالرغم من ورود بعض الاشارات فى كتب السير ، مما يـدل على أن ورجلان لم تكن فى مجموعها ترحب بالحركة العلمية ومسؤولياتها الا أن المنطقة كلها بما فى ذلك وارجلان لم تخل فى أية مرحلة من مراحل هذه الفترة التاريخية من شخصيات ذات أثر ونفوذ دعمت الحركة العلمية وآزرتها بالمال والعلم وأسباب النمو والازدهار .

– كانت وارجلان مصدر اشعاع علمى تجاوزها الى بلاد بعيدة مثل غانة وجبل نفوسة وجبال بنى مصعب وتمثل هذا فى الرسائل والاجوبة التى كانت ترد عـلى علمائها من هذه الاصقاع فكانوا يكتبون بأجوبتهم عليها وقد حفظ لنا التاريخ عددا من هذه الرسائل والاجوبة والمؤلفات .

– على أن طبيعة وارجلان كمركز تجارى هام يفتح أبوابه للوارد والصادر ويفتح صدره لكل مغامر ينشد الثراء ويستكشف مجاهل الصحراء ، هذا الطابع كان ذا أثر واضح فى توسعة آفاق الحركة العلمية فيها والخروج بها الى آفـاق رحبة سمحة سواء فى أنواع العلوم التى اهتم بها علماء وارجلان ، وقد شملت الفلسفة والنجوم – وهى علوم لا تجد تشجيعا فى الاوساط الاباضية المحافظة عادة – أو فى طريقة البحث والتناول التى خرجت من اطار الدراسة للمذهب الواحد الى دراسة شمولية للفكر الاسلامى فى مجموعة كما ظهر فى كتابات الوارجلانى وابن خلفون وأبى عمار وغيرهم ، أو فى الاتصال بمراكز الدراسة ومعاهد العلم الاسلامية خارج بلاد الاباضية كقرطبة فى الاندلس كما هو الحال مع أبى يعقوب الوارجلانى وكذلك تونس والقيروان كما هو الامر مع أبى عبد الله محمد بن بكر وأبى يعقوب عمار عبد الكافى .

فهذه الملامح التى حاولت رسمها هنا فى هذه الخلاصة العابرة هى فى الواقع قليل من كثير ، واذا استطعت أن أضع أمامكم صورة عامة لتلك الحركة العلمية المزدهـرة التى اتصلت وامتدت وما تزال فاننى آمل أن يوجه الباحثون من الشباب الجزائـرى وغيرهم من العلماء بعض جهودهم الى الكشف عن هذه الكنوز واحيائها ونشر محاسنها ليعلم العالم كله أن كل حفنة من تراب فى أرض الاسلام قد تشبعت منذ ارتفع فى الافق نداء **لا اله الا الله محمد رسول الله** ، بدماء الشهداء جنبا الى جنب مع مـداد العلماء ، وأن هذه الامة التى أضاءت المشعل أمام الانسانية فى الماضى تستعد للقيام بذلك الدور من جديد ، ونحن نرجو أن يكون نصيب الجزائر فى ذلك النصيب الكبير الوفـــير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



السيد سالم عزام ، أمين عام المجلس الاسلامي الاوروبي (لندن) يلقى كلمته فى جلسة الافتتاح ·

دور الرستميين فى وحدة مغرب الشعوب

د · ابراهيم فخار
أستاذ التاريخ ـ جامعة وهران



من الموضوعات الهامة والغامضة فى تاريخ المغرب الاسلامى الوسيط ، موضوع بنى رستم الذى استهوى العديد من الباحثين والمتخصصين كما ظل ولا زال يظل الكثير من المؤرخين والمتطلعين الى دراسة التاريخ ·

وهو ـ أى الموضوع ـ ان استهوى ثم ألهم عددا من رجال الفكر والسياسة والمتطلعين فى تاريخ الامم والشعوب فلانهم لم يهتموا ببنى رستم كأسرة حاكمة توارثت الحكم أبا عن جد انما ربطوا تاريخ الرستميين فى المغرب بمبادئهم ونظرياتهم ثم نظروا الى علاقة شعوب المغرب عامة بحكام تاهرت ودور هؤلاء فى وحدة مغرب الشعوب · ولا اخالنى متسرعا فى الحكم اذا قلت : بأن اية دراسة تعتمد على ادراك نفسية الشعوب تسهل على الباحثين التعرف على هوية الحكام وعلاقاتهم بشعوبهم ؛ فكأن العمدة فى هذا الاتجاه هى الشعوب لا الحكام ،

أو بالاحرى الشعوب قبل الحكام ، لان السلطة السياسية لا تأخذ طابع الشرعية ما لم ترتكز على ارادة الشعوب ٠

وأما كون موضوع بنى رستم قد ظل ولا زال يظل اغلب المؤرخين والمتحمسين لدراسة التاريخ ؛ فذلك راجع فى رأينا الى أمور :

أولا : الى الغموض الذى يكتنف الرستميين لا من حيث الاتجاه السياسى الواضح ، ولكن من حيث الاتجاه العقائدى والظروف النفسية والاجتماعية التى احتضنت فيها شعوب المغرب عبد الرحمن بن رستم ٠

ثانيا : الى الهوس الذى أصاب العقلية التاريخية فى مجال كتابة التاريخ الاسلامى العام ٠ فجاءنا التاريخ صورة حقيقية لما اعتور النفوس من هوس المذاهب وتصدع كلمة المسلمين وتفرق شملهم ؛ والتاريخ بهذا المعنى ، زاد بالمسلمين بعد اعز معرفة واقعهم وعمق الهوة بين شعوب القطر الواحد ، مع أن الله واحد ، والقرآن واحد ، وحامل الرسالة واحد ٠

ثالثا : ويرجع الامر الاخير الى أن المؤرخين لم يكلفوا أنفسهم جهد المشقة فى البحث عن تاريخ الشعوب وحضارتها ودورها التاريخى فى قيام الدول ؛ انما فى سبيل ارضاء ذوى السلطان اختلق هؤلاء المؤرخون كل المبررات لتبرير الحروب والتوسعات وتحقيق المطامع واصفين كل شعب رفض الاستكافة والخنوع ، تارة بشق عصا الطاعة والنكوب عن الجماعة وتارة أخرى بحب الفوضى والنزعة الى الاستقلال ومرة ثالثة فى التاريخ الحديث وصف شهداء ثورة 1954 بالخارجين عن القانون ٠

لهذه الامور الثلاثة ، تعددت نظرة المؤرخين للرستميين وانقسمت فى دراستها لتاريخ هذه المنطقة فى المغرب الاسلامى الى مدارس ثلاثة :

الاولى : مدرسة المؤرخين الذين لم يكتفوا بجمع أحداث التاريخ وتصويرها ، انما لرغبة أو رهبة ، بالغوا فى تشويه الحقائق وتزويرها ؛ حتى ابن خلدون الذى عدد أخطاء المؤرخين وحدد الاوهام والمغالط التى تقع فى التاريخ ، لم يسلم هو الآخر من هذا الزلل التاريخى وهو يتكلم عن الرستميين ومؤلفات علمائهم التى ضربت بسهم

فى اجادة التأليف والترتيب ؛ ولكنه ، وفى كل مرة يعرض فيها للرستميين ، يعقب كلامه بالضلالة والخروج عن جادة الصواب مع أنه عندما عرض لتاريخ وأصل الادارسة فى المغرب الاقصى بوأهم فرع الدوحة المحمدية النبوية وانكر على الرستميين رفضهم القرابة النسبية ؛ وهذا مثل من عشرات الامثلة التى شوهت التاريخ، وأضاعت الحقيقة التاريخية ؛ لذا فانى أعتقد أن من أوكد واجبات المؤرخين الملتزمين المؤمنين بقضايا شعوبهم أن يعيدوا النظر من جديد فى كل ما كتبه المؤرخون فى التاريخ الاسلامى العام ؛ ولا أكون مبالغا اذا قلت بأنه يجب أن نبدأ كتابة التاريخ المغربى من الصفر ، واضعين فى عين الاعتبار ، التكوين النفسى لكل المجتمعات الاسلامية ، مبتدئين بتاريخ الشعوب الاقتصادى والاجتماعى ثم الثقافى ، لا على أساس تسلسل الاحداث والاسر الحاكمة زمنيا انما على أساس الوحدة العضوية فى الموضوعات ؛ لان الهزات الاجتماعية التى وقعت وتقع هنا أو هناك ، كان منطلقها الرئيسى ، فراغ بيت المال والرغبة الملحة الجامحة فى الاستزادة ، وسد النقص من أى وجه كان ؛ وليس هذا الوجه فى أى حال من الاحوال غير الشعوب التى تضحى بعرق جبينها لتغطية العجز فى مزانية القصور ، ريثما يزج بهذه الشعوب فى غمرة الحروب ، أو توجه ـ فى حالة الرفض ـ ضدها حروب ، وبأموالها ؛ ولا يلبث المؤرخون ان يصفوا هذه الشعوب بالتمرد والعصيان ، مع أن المفروض في الدراسات التاريخية أن يؤرخ المؤرخ للشعوب ثم يأتى التاريخ السياسى فى مرحلة استصدار الحكم ؛ فكأننا والحالة هذه ، قد بدأنا بتاريخ الشعوب ، لان مثل الثورة منها واليها ، ثم عطفنا على الحاكم ؛ ان كان نابعا من ارادتها ودون انحراف فهو بحكم التجانس منها واليها ، وان كان مفروضا على رقابها فلا يمكن أن يكون الا عليها ٠

الثانية : أما المدرسة الثانية التى عنيت بتاريخ الرستميين والتى لا تخرج فى اتجاهها وأهدافها عن المدرسة الاولى ، فهى كتاب ومؤرخو بنى رستم من الاباضية أنفسهم ٠

نعم ، اشتهر أئمة بنى رستم وعلى الاباضية بطول الباع فى العلوم والتأليف ، وتشهد اليوم خزائنهم وأرشيفات أوروبا بالذات بضخامة هذا التراث ؛ ولكنهم عندما

تصدوا للتأليف سيما بعد سقوط دولة بنى رستم تصدوا فى حقيقة الامـــر والواقع للدفاع عن موقف والتعريف بشعب المغربين الاوسط والادنى ؛ فكأنهم بعد ان فقـدوا الامل فى آخر الرستميين من احياء الامامة الرستمية بوارجلان ، أشهروا أقلامهم لانهم كانوا عرضة ـ فى مجال التاريخ ـ للهجوم ؛ وحيث أنهم اتخذوا موقفا دفاعيا مشبوبا بعاطفة وجدنا أمامنا دراسات ومؤلفات وكتب سير لا تختلف فى منهجيتها وتحيزها عن المدرسة الاولى ؛ وان اختلفت عنها شكلا ومضمونا مثلها مثل مؤرخى الشيعة فى رد الفعل الذى سلكته فى الرد على الخصوم .

ولكن من الذى استفاد من هذه المجلدات والدواوين وكتب اليسر ؟

ومن الذى استفاد من تذبذب التفكير التاريخى عند المسلمين عامة ؟

لم يستفد أحد من هذه الشطحات الفكرية والصراعات المذهبية الا أصحاب المدرسة الثالثة والاخيرة وهى :

مدرسة المستشرقين والغربيين

حتى لا نقع فى أى غموض والتباس ، أريد توضيح وجه الاستفادة لا على أســـاس المدلول الحقيقى للكلمة .. انما أرمى الى ان أصحاب هذه المدرسة عندما أرادوا دراسة الرستميين وأتباعهم وشعوب المنطقة التى حكمها بنو رستم ، عمدوا الى كتب التاريخ الاسلامى العام ودرسوا مؤلفات الاباضية دراسة عميقة ومستفيضة ، ثم عرفوا بعـد ذلك كيف يسيرون منهجيتهم فى دراسة تاريخ هذه الشعوب ، بالغين بذلك أعلى مراحل الاستعمار الفكرى والسياسى والاقتصادى ؛ ولا نندهش اذا وجدنا مؤرخى بنى اسرائيل فى جامعة تل أبيب ، يدعمون حقهم التاريخى فى الارض الموعود بها بنصوص مـــن التاريخ الاسلامى ، كما لا نستغرب أمرا أشنع من هذا ، وهو ، أن كل رسالة جامعيــة تناقش موضوع الرستميين أو أى موضوع يتصل بشعوب العالم الاسلامى الا وتجـد طريقها ـ خفية ـ الى جامعة تم أبيب ؛ وحددت هذا المثل بالذات لانه ابلغ من غيره .

أما اذا قـرأنا أو علمنا أن مجموعـة مــن المخطوطات تسربت الى الفاتيكان ، فذلك لان رجــال الكنيسة كانـوا أكثـر نشـاطا وحـزما فى خدمـة أغراضهـم وتحقيـق أهدافهـم ٠

ولقد اتخذت دراسة الغربيين والمستشرقين موضوع الرستميين عدة أوجه وشتى الاتجـاهـات ٠

منها من بحث عن العلاقة بين أصل الرستميين الفارسى ، وبين البربر الامـازيغ ، ليبنى نتائج أحكامه الخاطئة ، على أساس العرق والجنس ، وليبعد عن مغرب الشعوب كل المقومات وأسمى الصفات التى كان من أبرزها وأهمها :

ـ وضوح الشخصية البارزة المتميزة ٠

ـ الاعتزاز بالارض والانسان والمبادىء ٠

ـ بعد النظر وعمق التفكير ، مقترنان بضبط النفس فى أحرج المواقف ، ومعرفة جلية للواجب مع اتخاذ المبادرات السلمية التى تعبر عن الهمة العالية ٠

ألم يشكل المغرب الاسلامى ، وفدا سياسيا ، ليعرض على الخليفة هشام بدمشق ، حلـولا سريعة ومساعدة بناءة لانقاذ الخـلافة الاموية من التدهور المالى والاجتماعى ؟ وانطلاقا من هذه المقومات المميزة لشعوب المغرب فى عهد الرستميين أو حتى ما قبلهم ؛ فانى أبادر الى القول بأنه من الخطورة بمكان ، أن نساير هذا الاتجاه الذى يجعل أرومة بنى رستم فى الساسانيين ، وما لـم يثبت لــدينا بالادلة القطعية بأن عبـد الرحمن ابن رستم من أصل فارسى فلا يمكن قبول هذه الدعوى ، ولو قبلناها عـلى علاتهـا ، فمؤسس الدولة الرستمية نشأ نشأة عربية وظهر فى العراق مع والديه ، قبل رحيله الى المغرب مع زوج أمه التى تزوجت حاجا مغربيا فى موسم الحج ٠

والمستشرقون الذين ركزوا على هذا الجانب وألحوا عليه ، كانوا ـ بحكم النصوص ـ فى أمس الحاجة الى تدعيم الفكرة القائلة بأن الرستميين غير مغاربة وبالتالى فهم ليسوا

عربا الا من حيث اللسان ؛ وتبالغ بعض الروايات فتجعل بعض المترجمين (1) ذوى النسبة الفارسية يقومون بالترجمة الى الائمة الرستميين من البربرية الى العربية أو من كلتيهما الى الفارسية · فى كان أغنى الامام أفلح بن عبد الوهاب عن أن يترجم له أبو صالح الفارسى ، بحجة ان كان يملك زمام البربرية التى الف بها اثنى عشرة ديوانا ، كلها فى الشعر ؛ والمغالطة واضحة والزيغ بين ·

ودائما فى خدمة هذه الاهداف ، أخذ بعض المستشرقين يطعن على الفاتحين المسلمين الاوائل من خلال الثورات التى قام بها المغاربة فى وجه الولاة ، فأظهروا الجنود الفاتحين فى صورة جنود مرتزقة ، وأظهروا المقاومة ، وكأنها مقاومة لغزو أجنبى تحت ستار الاسلام ؛ مع أن جل المؤرخين متفقون بأن البربر لم يثوروا ولم يريدوا الخروج عن طاعة الخليفة ، الا بعد التأكد من أن تصرفات الولاة فى الرعية كانت بأمر من الخليفة نفسه · وموقف الوفد المغربى الى هشام يؤكد محافظة شعوب المغرب على وحدة الجماعة الإسلامية والخلافة قبل وحدة المغاربة أنفسهم ، ولما ثبت للمغاربة أن الخلافة عاجزة عن حل مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية لجأ مغرب الشعوب الى نوع آخر من الوحدة ؛ وحدة الاهداف العادلة والمبادىء الديمقراطية ، وتقديم ذوى الكفاءات ، فى ظل دولة نابعة من ارادة الشعب تنسجم مبادئها وأهدافها مع المزاج النفسى لمغرب الشعوب ؛ وهذا ما اغفله المؤرخون وغضوا الطرف عنه ؛ واستغله الدارسون الغربيون فى مختلف دراساتهم وبحوثهم · لهذا لا نتصور أن هناك حياة خاصة وسرية للرستميين ؛ وما ظهور الصقالبة كحرس فى أسواق تاهرت الا كوجود المغاربة والمغربيات السنيات فى قصور العباسيين مع اختلاف الفارق فى المغزى هنا وفى الهدف هناك ·

لقد كانت قوة الرستميين تكمن فى السلطة الروحية التى توزعتها أقطار مغرب الشعوب ؛ ولم تكن هناك قوات وجيوش ، انما كان التفكير السياسى الواضح ازاء الرعية وازاء الجيران ، هو الذى أعطى طابع الاستقرار ، والوحدة فى مجموع المشاعر والافكار · واذا ما تصفحنا تاريخ الرستميين من خلال أقوالهم وسلوكهم ، وجدنا ان

(1) أبو صالح الفارسى الف 12 ديوانا فى الشعر وباللغة البربرية ، جعله الدرجينى ابن على بن رستم فى القرن 4 هـ وكان يسكن مرسى الدجاج ·

الثقافة عندهم هى سلوكهم الاجتماعى ، أى أنهم ترجموا الثقافة الى واقع اجتماعى محسوس وملموس ، دون ان ينموا الشعور المذهبى فى رعيتهم ، ولم يكونوا مذهبيين بقدر ما كانوا مغاربة مسلمين ، هدفهم ؛ وحدة شعوب المغرب فى ظل مغرب واحد · وحدة سياسية جغرافية لا فى حدودها انما فى بشريتها ولغتها ودينها ·

لقد كان عمال تاهرت من سرت الى زويلة الى جبل نفوسة الى شط الجريد فالمغرب الاوسط بكامله ، كانوا لا يمثلون الحكام الرستميين ، انما كانوا يمثلون رعيتهم أمام تاهرت · هذه الرعية التى لم يكن وليس فى وسعها أن تصوغ لوحدها تاريخها ؛ انما كانت ولا زالت فى أشد الحاجة الى من يفجر طاقاتها ويوحد سلوكها ويعمق مفاهيمها وينمى مواهبها ويوحد مشاعرها ويحدد وجهتها ؛ تلك هى المسؤولية التاريخية الخطيرة التى وقعت على كاهل الرستميين فى القديم ولا زلنـــا نواصل رسالتهم الهادفة فى تحقيق وحدة مغرب الشعوب ·

في القاعة ، اثر الافتتاح مباشرة

النقطة 2

مشاكل تواجه الإسلام في إفريقيا اليوم

د . وليام مونتقومرى وات
أستاذ بقسم الدراسات العربية والاسلامية ،
جامعة ادنبره (بريطانيا العظمى)



يبدو أنه من الصعب أن نتحدث عن موضوع واسع مثل هذا الذى اخترناه للمناقشة الحالية . وعلى النقيض من بعض العلماء الغربيين الآخرين ، فاننى أريد أن أؤكد بان الاسلام هو بالضرورة واحد دون تغيير فى مظاهره المتعددة سواء كان ذلك فى افريقيا أو غيرها . وبالرغم من ذلك فان هناك عقبة معينة تجعل انتشار الدين الاسلامى فى افريقيا صعبا .

كان الدين الاسلامى فى بعض الاقطار قد انتشر منذ قرون ، وكانت أغلبية السكان من المسلمين ، ومن بين هذه الاقطار هى بلدان شمال افريقيا . ثم ان هناك بلدانا موجودة فى شرق وغرب افريقيا ، حيث يعتبر فيها المسلمون اقلية ، الا ان عدد معتنقى الدين الاسلامى فيها يتزايد نسبيا بالنسبة للديانات الاخرى . وبين هاتين المجموعتين ، توجد بلدان مثل النيجر والسودان وتنزانيا حيث انتشر الاسلام بقوة فى جزء منها وترك الجزء الباقى . وأخيرا ينبغى علينا ذكر تلك الاقطار حيث فيها المسلمون اقلية ، بالاضافة الى تقلص المعتقدات الافريقية القديمة فيها

لدرجة حدوث فراغ دينى يستطيع الاسلام ان يملأه ، وهذه هى أيضا مشكلة تواجه الاســــلام ٠

ان حقيقة وجود أساليب مختلفة بين المسلمين يزيد الامر تعقيدا ، حيث ان هناك من بينهم من يعمل على خلق نظام اجتماعى جديد أكثر عدالة بناء على الاسس الاسلامية وهناك من يريد العودة الى مراعاة أشد صرامة لتقاليد الاسلام مـع التكيف بدرجات متفاوتة فى الظروف الحالية ٠

يبدو أن البعض من الذين قد يئسوا من تجديد الاسلام من الداخل وذلك نتيجة للقوة الحصينة للمحافظين وذوى النزعة التقليدية ، يبدو أنهم أصبحوا يعتقدون بأن النظام الاجتماعى الجديد الذى يسعون من أجله ينبغى أن يكتسى صورة قالب غـير اســـلامى ٠

بالرغم من هذه التعقيدات فاننى اعتقد بامكانية اتخاذ بعض القرارات الهامة التى تتفق ومواقف معظم المسلمين فى افريقيا ٠ ان نفس العوامل العامة تؤثر على الجميع ، وهذه العوامل تمس حياتهم بصور مختلفة حسب درجة اسلام ذلك البلد والسياسة التى ينتهجها حكامها ٠ لذا فالجزء التـالى من هذا المقـال سيشتمل على تحليل هذه العوامل العامة والمشاكل التى تفضى اليها ٠ وبصدد هذه النقطة لربما اجـــد نفسى مضطرا أن أذكر بأن تعاطفى قبل كل شىء سيكون مع هؤلاء الذين يعملون من أجـــل اقامة نظام اجتماعى جديد وعادل وستكون ملاحظاتى موجهة بصـــورة رئيسية الى هـؤلاء النـــاس ٠

ومن بين العوامل الثلاثة المخصصة للمناقشة هو العامل الاول والاكثر أهمية : انه انتشار منتوجات العلم الحديث والتكنولوجيا فى كل انحاء العالم ٠ نحن نميل الى التحدث عن انتشار المنتوجات أو انتشار التكنولوجيا كما لو كان هذا شىء فعلتـه المنتوجات أو التكنولوجيا بموافقتها المحضة ، وطبعا هذا مجـرد طـريقة للتحدث ٠ والذى نشير اليه هو عملية معقدة من الممكن أن نميز فيها عدة مستويات ، وفى كـل مستوى نجد أن البشرية معنية بالامر ٠ المستوى الاول يبحث فى انسان يقدم للبيع

لانسان آخر قطعة من (النايلون) أو سيارة أو طائرة نفاثة ، لا شيء يتغير على أية حال ، ما لم يرد الشخص الثانى ما قدمه له الاول وعنده طريقة ما للدفع · بطبيعة الحال قد اصبح الآن واضحا بأن البشر فى كافة انحاء المعمورة فى حاجة الى كميات كبيرة من منتجات التكنولوجيا الحديثة · طلب الزعيم الهندى العظيم من أتباعه وشعبه أن لا يستعملوا القماش الذى تنتجه المصانع الحديثة ، وان يعودوا الى استعمال المغزل البسيط ، ورغم شعبيته العظيمة لم يستطع ان يقنع شعبه بالكف عن استعمال منتجات التكنولوجيا الحديثة · فى كل أنحاء العالم ، اينما تتوفر السلع التى تسهل حياة الانسان وتجعلها مريحة وأكثر ترفا نجد ان الناس مصممون على شرائها ·

وعلى كل حال ، هذا هو المستوى الاول · يكون من السهل شراء سيارة من اليابان لكن اذا حدث خلل فيها فانك لا تستطيع اعادتها لليابان لاصلاحها ، اذن عليك أو على شخص آخر فى بلدك ان يتعلم كيفية اصلاح السيارات اليابانية · وبمعنى آخر يكون من الضرورى الحصول على بعض المعرفة العملية بالعلم الحديث والتكنولوجيا · فى اطار هذا المستوى الثانى للحصول على الخبرة العملية تظهر أمور متعددة ·

ان معظم الدول تريد حاليا القيام بتصنيع منتجات حديثة لنفسها وتحد بالتالى من مدى اعتمادها على الدول الاجنبية · اذ نلاحظ وجود مستوى أعلى من أجل المشاركة فى الابحاث الخاصة بالعلم والتكنولوجيا التى تهدف الى اجراء اكتشافات جديدة فى ميدان العلم وايجاد منتوجات جديدة بناء على ما هو معروف من قبل · كل هذا داخل فى اطار انتشار منتوجات العلم الحديث والتكنولوجيا ·

ان العامل الثانى من بين العوامل الثلاثة العامة هو الحاجة الى اقامة نظام اجتماعى جديد وعادل ، وهذه الحاجة تختلف من بلد لآخر حسب ظروفها المحلية ، وهى بالضرورة حاجة جديدة ، وذلك لانه بسبب المشاكل المحلية الخاصة يستطيع الانسان ان يدرك التغيرات الاجتماعية أو الارتباك الاجتماعى الذى يسببه انتشار التكنولوجيا الحديثة · المهن القديمة قد اصبحت غير اقتصادية ، بالاضافة الى انتهاء أجل أصحابها فينبغى احلال رجال جدد بمهارات وتقنيات جديدة · ان سرعة الاتصال الحديث يسر ادارة

مناطق كبيرة بصورة فعالة ٠ وعبر كل هذا بالاضافة الى التغيرات الاجتماعية الاخرى نلاحظ وجود تغييرات فى غنى وفقر مجموعات مختلفة ٠ يوجد عدد قليل من الاغنياء عجزوا عن فهم سير الامور فى العالم الحديث فاستمروا يعيشون فى نفس مستـــوى حياتهم القديم مما أدى الى افقارهم نسبيا ، الا أن معظم الاغنياء تمكنوا من التكيــف مع الظروف الجديدة فاصبحوا أكثر غنى ٠ فالفقراء أو ذوو الدخل المتوسط من أصحاب الحرف الجديدة اللازمة لتسيير بلدهم كدولة حديثة ، هم الآن فى وضع مالى معقـول فى حين ان قلة منهم اصبحت تتمتع بمراكز من القوة والثراء ٠ يمكن ان نعتبر بمعنى ما ان هذه التغييرات الاجتماعية هى نتيجة للاستعمار ، لان الاستعمار هو الذى شجع انتشار منتجات التكنولوجيا الحديثة ٠

مهما كان مصدر الارتباك الاجتماعى لبلد ما ، هناك ثلاث نقاط فى جميع الاحوال ينبغى مراعاتها فى أى نظام اجتماعى جديد ٠

أولا : استئصال أكثر أشكال الفقر شناعة فى القطر ٠

ثانيا : ينبغى محاولة الوصول الى تكافؤ اقتصادى أكثر ، لان التفاوت الكبـــير فى الظروف الجديدة بين الغنى والفقير يخلق قلقا اجتماعيا ٠

ثالثا : على كل واحد ان يساهم فى عملية اتخاذ القرار ٠

رابعا : ان كيفية ضبط هذه النقاط فى نظام اجتماعى جديد سيؤخذ بعين الاعتبار فى الوقت الحـاضر ٠

ان العامل الثالث من بين العوامل الثلاثة العامة هو عبارة عـن انتشار النظـرة المادية بين كثير من الناس ٠ وليس المقصود بهذا هو الانتماء الرسمى لاحد أشكـــال المادية الفلسفية ، بل ان عادة العقل هى عدم التفكير فى الاشياء الروحية وحياة العالم عندما يصبح الانسان متخما بالثروة والممتلكات المادية ٠ هذا هو التفكير الذى كان موجودا فى زمن (سيدنا) محمد ، ذلك العقل الذى تربى على التمتع بالثروة والاملاك ، وهذا يشبه بصورة كبيرة النظرة المادية السائدة فى عصرنا الحاضر ، التى هى أيضا مرتبطة ارتباطا وثيقا بكثرة البضائع ٠ ان النظرة المادية فى الوقت الحاضر هى متأثرة

أيضا على أية حال بالعلوم الطبيعية · وفى ذلك نجد ان هناك ميلا سائدا بين المعجبين بالعلوم الطبيعية الى افتراض ان لا حقيقة الا بوجود تلك الاشياء التى درستها العلوم الطبيعية · وهذا بالطبع افتراض سخيف حيث توجد أسباب قوية ومعقولة تستطيع ان تدحضه ، ورغم ذلك نلاحظ ان هناك أناسا كثيرين يتبنون هذا الافتراض ثم يتبنون نظرة مادية · ففى الواقع تستطيع هذه النظرة ان تقرر سلوكهم فى الحياة رغم انهم لا يرفضون الاعتقاد بالله بصورة قاطعة ·

فى هذه الامور الثلاثة ـ انتشار التكنولوجيا والنتائج الاجتماعية المترتبة عليها ، وزيادة النظرة المادية ـ تبرز العوامل العامة التى تؤثر فى حياة المسلمين فى جميع أنحاء افريقيا وتجعلهم يجابهون مشاكل معينة · وسأتعرض فى بقية مقالى هذا الى كيفية معالجة هذه المشاكل ، دون اللجوء على اية حال الى التعرض الى نقاط مفصلة أو الى السياسة الحالية المنتهجة ، بل سأقتصر على عرض سؤالين عامين على المستوى الثقافى هما كيفية وجود نظام اجتماعى جديد قائم على الاسس الاسلامية ثم كيفية الدفاع عن الاعتقاد بالله والوحى فى العالم الحديث ·

عند التحدث عن نظام اجتماعى جديد قائم على الاسس الاسلامية ينبغى بالطبع ان نتحدث عن الشريعة ، واننى متيقن هنا باننى استطيع التحدث فقط كمتفرج ، ومع ذلك آمل أن اتمكن من أن أقول شيئا يناسب ظروف المسلمين وهذا الامل يقوم على الحقيقة وهى أن المسيحيين ومعتنقى الديانات الاخرى سيواجهون نفس المشاكل عندما يبحثون عن اقامة نظام اجتماعى عادل على أساس العقيدة بالله ·

ان نقطة البداية هنا هى ان الله فرض شريعة ثابتة · وبصورة مشابهة نوعا ما نجد أن معتنقى الديانات الاخرى يرون أن الله قد فرض القيم المعنوية والروحية · انه لمن الاحترام فقط ، للجوهريات أو للمبادىء العامة ان نذكر على أية حال ان الشريعة ثابتة لا تتغير ، فالنقاط التفصيلية أو القواعد المفصلة كانت عادة تتعرض للتغير فى ظروف مختلفة · وهكذا نجد كمبدأ عام أن المصلى يوجه وجهه فى الصلاة نحو مكة ، الا أنه فى مدينة ما عليهم ان يستعملوا طرقا معقولة لاكتشاف اتجاه مكة ، كذلك يلاحظ فى بعض الاماكن انهم يتوجهون نحو الشرق ، وفى أماكن أخرى للغرب وهكذا ·

فى بعض الاماكن التى لا يوجد فيها الماء يستطيع المصـــلى أن يتوضأ بالرمل · يبقى هناك مثل مهم آخر وهو يصور حالة المسلم الذى يقضى شهـــور الصيف فى القطب الجنوبى ، ولنفرض أن شهر رمضان كان احدى هذه الاشهر ؛ سيكون من الصعب عليه أن يصوم شهر رمضان بصورة طبيعية لان الشمس لا تشرق ولا تغرب اثناء طيلـــة هذه الفترة · ان المفتى قد اصدر فتوى مستعملة للتصرف فى مثل هذه الظـــروف الغـير الطبيعية ·

ان الذى تم طرحه هنا هو عبارة عن امثلة تبين امكانية اختلاف القواعد التفصيلية للشريعة طبقا للظروف · الامور المذكورة هى بسيطة نسبيا ، لكن فى الظروف الراهنة هناك تغيرات مهمة جدا ينبغى وضعها موضع الاعتبار · وكل ذلك كنا قد تعرضنا له من قبل عند انتشار العلم الحديث والتكنولوجيا : سرعة الاتصال ـ سفر ونقل الرسائل بواسطة الراديو والهاتف ـ وتطور الصناعة والتجارة قد أدى الى تغيرات عميقة فى البنية الاجتماعية لكل بلد ، وبسبب هذه التغيرات كانت الحاجة الى اقامة نظام اجتماعى جديد · اذن ، من احد الاعمال الشاقة والبالغة الاهمية امام المسلمين فى الوقت الراهن هو تكوين مجهود ذهنـــى جبار للتمييز بين الجوهريات الثابتة للشريعة والقـــواعد المفصلة التى يمكن أن تتغير · والاسراع فى هذا الامر يمكن أن نصوره بما حصل فى الامبراطورية العثمانية في القرن التاسع عشر · أثناء الفترة 1860 ـ 1863 أصـــدر السلطان العثمانى قوانين بخصوص مواد تجارية وبحرية متعددة · كانت تلك القوانين ضرورية لان الرعايا العثمانيين كانوا على عـلاقة تجارية مع تجـار أوروبا الغربية ، وبالتالى قامـوا ببعض الممارسات التى كانت غـير موجودة فى الشريعة الإسلامية · فالعلماء فى ذلك الوقت ، لم يكونوا على كل حال مستعدين لاعادة النظر فى جوهريات الشريعة من اجل ملاءمة التجارب المعاصرة لهم ، اذ انهم كانوا متصلبين فى نظرتهم ، الامر الذى حدا بالسلطان ان يصدر قوانين جديدة لا تتفق مع الشريعة بهذا الصدد · أضف الى ذلك ان كل هذا مهد الطريق للابتعاد الكامل عن الشريعة فى تركيا على يد (أتاتورك) فى عام 1926 ·

ان معظم الدول الاسلامية التقدمية تواجه الآن هذه المشكلة بشكل ودرجة معينين . فالمشكلة الملحة هي أن تتكيف تفاصيل الشريعة مع ظروف الحياة المعاصرة مع عـــدم اجراء أي تغيير في الجوهريات • على اية حال نجد ان العلماء في معظم البلدان هـــم عبارة عن جهاز محافظ جدا ، وغير راغبين في اجراء تغييرات سريعة وجذرية ومع ذلك اذا لم يمتثل العلماء لهذا ، فان رجال الدول والقادة السياسيين سيكتشفون مثــل السلطان العثماني طريقة باستصدار التشريعات التي يريدونها ، أي ان ما ذكرته هنا هو اعادة فتح باب الاجتهاد وهو شيء قام المسلمون ببحثه في القرن الماضي ، اما في عام 1977 فان الامر يصبح مستعجلا أكثر مما كان في القرن الماضي •

السؤال الثاني هو كيفية الدفاع عن الاعتقاد بالله في هذا العصر الذي تفشت فيه النظرة المادية وتدعمت من قبل تعليم العلوم الطبيعية وهذا ســـؤال في منتهى الاهمية وعليه فانني في هذا المقال املك وقتا فقط للتعرف باشارات قليلة لكيفيـــة الاجابة عليه • ان أول شيء اذكره بصورة قاطعة أنه غير صحيح ان العلم الطبيعي يتعارض مع وجود الاله . النجاحات العظيمة للعلوم الطبيعية كانت تتعلق بالاشياء التي يمكن ان تحصى أو تعد ، أو تقاس أو تكمم ، الا أن هذا يسوقنا الى الاستنتاج بأن الاشياء التي تحصى وتقاس هي فقط الحقائق ، اذ انه على النقيض من ذلك ، فالحب الانساني حقيقة ، وجمال الشكل ولطف السلوك كلها حقائق أيضا • كذلك لا ننكر دور البطولة أو التضحية الذي يقوم به زملاؤك من اجلك • فاذا استطعنا ان نســمي هذه الدائرة بحيز الروح (القوة) ، عندها يكون حيز الروح صحيحا وحقيقة مثل حيز الاشياء المادية •

النقطة الثانية هي الاصرار على أن المعتقد بالله ، بعيد عن رفضه للعلوم الطبيعية ، يقبل جميع « النتائج المضمونة » للعلوم ، لانها تدله على العالم الذي خلقــه الله • فالمعتقد يرى أن القدرة الخلاقة للاله ليست مقصورة على لحظة في الماضي البعيد عند بداية الكون (مثل القضية الاولى للفيلسوف أرسطو) بل انها مستمرة في كل لحظة في جميع انحاء الكون • ان القرآن يعلمنا كيف أن كل مرحلة من مراحل نمو الجنين في الرحم تعود الى قدرة الله الخلاقة • وبنفس الطريقة يجب على المعتقد بالله أن يجد

صعوبة فى اعتقاده بأن جميع المراحل التى تطور فيها الانسان ابتداء من اشكاله الدنيا راجع الى القدرة الخلاقة للاله ·

ليس لدى الوقت ان أقول أكثر من كلمتين عن الوحى والكتب المنزلة مثل القرآن والانجيل ، وعن المشاكل المتعلقة بهم بالنسبة لاولئك الذين يقبلون « النتائج المضمونة » للعلوم الطبيعية · ففى هذه الكتب يبين الله ذاته ويوضح علاقة الناس به · ان معرفة الناس بالله ليست كاملة لان ذلك مستحيل بالنسبة للانسان ، الا انه يكفى أنه يجعلهم قادرين على السلوك المستقيم فى هذا العالم · ليس الهدف الاساسى للكتب المنزلة هو اعطاء نوع من معلومات عن العالم يكون فى امكان البشر اكتسابها بمجهوداتهم الخاصة (مثال : عن العلوم الطبيعية) مع أنها احيانا تقدم معلومات من هذا النوع · بالاضافة الى هذا ، معرفة الله وعلاقة الانسان به تعود الى حيز الروح ، وفى حيز الروح كان يعبر عن الحقيقة برموز أو اشكال رمزية وذلك للافتقار الى لغة أخرى · مع ان الاشارة الرمزية للامور لا تقلل من حقيقتها ، نجدها فى الحقيقة ضرورية لتوجيه الانسان ·

في الختام أود أن اشير الى المفكر العلامة الاسلامى العظيم أبو حامد الغزالى · انه عاش فى عصر عندما كان يجب فيه حماية الدين الاسلامى ليس فقط من مجرد النظرة المادية ككثير ممن ادعوا الاسلام ، بل أيضا من وجهات النظر اللامعة الفلسفية والعلمية للناس امثال الفارابى وابن سينا · رغم انه كان يعتقد ان وجهات نظر هؤلاء الناس كانت خطرا على العقيدة ، درس بشجاعة كتبهم ، ثم دحض بعد ذلك اخطاءهم بصورة فعالة فى كتابه « التهافت » لدرجة أن هذه الحركة الفلسفية فنيت ، الا انه استمر بعد ذلك فى اثراء الفكر الاسلامى بواسطة ادخال تلك الاجزاء من افكارهم التى كانت حقيقية وقيمة · المقصود فى هذا المقال بكامله هو التأكيد فى الوقت الحاضر على ضرورة اتخاذ الاشخاص المثقفين والمعتقدين بالله موقفا مشابها لموقف الغزالى ، وعدم خوفهم من التعلم من خصومهم · فى العصر الحالى ، وكما اقترحت سابقا ، نجد أن جميع الاديان الرئيسية تواجه نفس المشاكل ؛ ويؤمل أن تساعد بعضها البعض · وبالتأكيد ، اننى على يقين بأنهم سيجنون الكثير نتيجة للحوار المفتوح الاخوى الذى بواسطته سيتعلمون الكثير بصورة أكثر وضوحا اينما اتفقوا واينما اختلفوا ·



منظر من القاعة. والملتقى ، كما يرى القارىء ، لم يخل ، مع صرامته ، وعمق أبحاثه ، من المرح ، وخاصة عندما يصعد الشيخ عبد الله المجاهد الشماحي الى المنصة ويجلجل ، ويذكر أسماء جميع العلماء والجهابذة الذين يرجعون كلهم الى أصل زيدى ، أو على الاقل يمنى صنعاني ، أو الشيخ سليمان داود بن يوسف،الذى يرجع كل شيء الى أصل إباضي ، كما كان المرحوم عثمان الكعاك يرجع الكثير الى أصل تونسي !

المسلمون فى إفريقيا
بين الحاضر والمستقبل

د · عبد الحليم عويس
أستاذ بكلية الشريعة
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
الرياض ـ المملكة العربية السعودية

تقديم :

افريقيا :



افريقيا هذه القارة القديمة الجديدة التى تمثل مساحتها خمس مساحة الكرة الارضية ، بينما لا يزيد عدد سكانها عن مائتين وستين مليونا من البشر ·

هذه القارة التى تبلغ هذه المساحة الشاسعة ولا يزيد سكانها عن هذه النسبة التى لا تزيد عن (1) على (12) من النسبة العددية لسكان المعمورة ـ تحفل بمئات من اللغات يقدرها بعضهم بثمانمائة لغة (1) ، بينما يقدرها آخرون بالفى لغة · (2)

(1) الدكتور محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات البشرية ص 21
(2) الدكتور فيليب رفلة : الجغرافية السياسية لافريقية ، ص 207 ·

أما الاديان والعقائد التى تنتظم افريقيا فهى كثيرة لا تحصر ، وتنتظمها ـ تقريبا ـ كل العقائد التى تسود الارض ، بل ثمة عقائد لا توجد الا فيها ٠

فبدءا من العقائد البدائية كتقديس ظواهر الطبيعة وأرواح الاجداد ، أو تقديس الارواح والاشباح والابطال ٠٠ وانتهاءا بالمسيحية والاسلام ـ تتجاور على امتداد القارة عشرات العقائد ، ولا يبدو خافتا منها الا بعض أديان الهند ، والا اليهودية نظرا لطبيعتها كدين قومى منغلق لا يسعى أصحابه الى انتشاره على النحو الذى تقوم به الاديان الاخرى ٠

ومن بين هذا الخليط من اللغات تعتبر اللغة العربية هى اللغة الاولى فى القارة الافريقية ، حيث يتكلم نحو تسعين مليونا بها ٠

كما أن الاسلام من بين هذا العدد الكبير من العقائد هو الدين الذى يحتل المرتبة الاولى اذ يؤمن به أكثر من (170) مليونا من السكان ٠

عقبات وضعها الاستعمار فى القارة :

لقد أيقن الاستعمار ـ بمنظاره التاريخى ـ أن افريقية هى قارة الاسلام والعربية فى المستقبل ٠٠ وأن الديانة المسيحية واللغة الاوروبية (انجليزية أو فرنسية) اللذين حملهما الى القارة خلال فترة سيطرته عليها ـ ينظر اليهما على أنهما مظهران استعماريان ، وأن القارة الافريقية بعد أن تحصل على استقلالها ـ الذى أيقن بوقوعه ـ لن تلبث أن تتخلص منهما كمظهرين من مظاهر سيطرته ٠٠٠ وبخاصة وأن ما حمله الاستعمار ـ سلوكا ـ يتناقض مع ما يزعم أن النصرانية تحمله الى البشرية ـ فشتان بين أقوال رجال الكنيسة وأفعال رجال السياسة ٠٠ بل انه فى كثير من الاحايين كان يظهر الفرق جليا بين أقوال رجال الكنيسة أنفسهم ٠٠٠ والدور الذى يلعبونه كجهاز يعمل بتنسيق مع وزارة المستعمرات ٠٠ ومـــع المصالح « الاستراتيجية » الاستعمارية ! !

ومن هنا خطط المستعمر لضمان تفكك القارة الافريقية ، وتقسيمها الى وحدات سياسية وجغرافية ·· تمثل أكبر نسبة ـ تقسيمية فى العالم ·· حتى يصبح هـذا التقسيم ـ بحد ذاته ـ عقبة كئودا فى وجه المستقبل الاسلامى والعربى فى القـارة الافريقيـــة ·

واذا كانت أمريكا قارة واستراليا قارة والصين التى تمثل ربع سكان العـالم وحدة سياسية وجغرافية متكاملة ـ فان افريقيا ـ قد قدر عليها الاستعمار أن تتحول الى أشباه دول ـ تماما مثلما فعل الاستعمار بكل المناطق التى يخـاف انبعـاثها ـ كالخليج العربى مثلا ـ فثمة دول فى افريقيا لا تقترب امكاناتها البشرية والطبيعية من كثير من المدن الانجليزية والامريكية ·

فأفريقيا الغربية ـ كنموذج نقدمه ـ قسمتها فرنسا منذ وطئتها بأقدامها الى ثمانى دول ·· أصبح كل منها عضوا فى المجموعة الدولية له ما لفرنسا نفسها وعليه ما عليها من تبعات وأعباء مع ما فى هذا من انهاك للامكانات ·· وبعثرة للطاقة ·· وضمان لمستقبل محدود هزيل ·· وهذه الدول التى كانت تشكل افريقيا الغربيـــة هى : « السنغال ، السودان الفرنسى ، غينيا ، فولتا ، ساحل العاج ، داهومى ، النيجر ، موريتانيا » ·

ويبين الجدول التالى ـ وهو جدول محصور فى الدول ذات الاكثرية الاسلامية (3) ـ هيكل التقسيم السياسى والبشرى والجغرافى الذى أخضـــع الاستعمار الاوروبى القارة الافريقية له ، حتى يحول بينها وبين أن تصير يوما (قارة الاسلام) دينا ولغة وحضـــارة :

(3) رجعنا الى اطلس العالم الاسلامى ، وتقويم البلدان الاسلامية ، وعدلنا النسبة وفقا لمعدل النمو السـكانى

دول العالم الاسلامى المستقلة بافريقيا

مسلسل	الـــدولـة	عدد المسلمـين	النسبة المئوية لمجموع السكان
1	الجزائـر	15،386000	٪ 98
2	الكامـيرون	3،365000	٪ 55
3	جمهورية وسط افريقيا	902،000	٪ 55
4	تشـــاد	3،400،000	٪ 85
5	داهــومى	1،746000	٪ 60
6	مصـــر	33،387000	٪ 92
7	أثيوبيا	17،289000	٪ 65
8	جامبيـا	327000	٪ 85
9	غينيـا	4047000	٪ 95
10	غينيا بيساو	567000	٪ 70
11	ساحل العاج	2484000	٪ 55
12	ليبيـا	2178000	٪ 100
13	مـــالى	4853000	٪ 90
14	موريتانيـا	1227000	٪ 100
15	مـراكش	16826000	٪ 99
16	النيجـر	3963000	٪ 91
17	نيجـيريا	59820000	٪ 75
18	السنغـال	3819000	٪ 95
19	سيراليـون	1800000	٪ 65
20	الصومـال	3950000	٪ 100

مسلسل	الـــدولـة	عدد المسلمــين	النسبة المئوية لمجموع السكان
21	الســودان	14375000	٪ 85
22	تانــزانيا	9347000	٪ 65
23	تــوجــو	1166000	٪ 55
24	تــونس	5245000	٪ 95
25	الفولتا العليا	3879000	٪ 56
26	أرتــريا	2،000،000	٪ 80
27	جزر القمر	286000	٪ 95

ويضاف الى هذه الدول ذات الاغلبية الاسلامية ـ ما يربو على ثلاثين مليونا مـن المسلمين يمثلون أقليات تتناثر هنا وهناك بباقى الدول الافريقية ، ويمكن حصرهم على النحو التالى : (4)

مسلسل	البلـد	عدد المسلمين	نسبة المسلمين المئوية
1	لبـيريا	770،000	٪ 30
2	غـانـا	2،25000	٪ 30
3	الجابـون	195،000	٪ 40
4	الكونغو برازافيل	140،000	٪ 15
5	أوغنـــدا	2،500،000 تقريبا	٪ 40
6	كينيـــا	1،700،000	٪ 20
7	موزمبيــق	1،750،000	٪ 25
8	ملاجــاش	1،150،000	٪ 20

* * *

(4) انظر الهامش السابق

وكما أخضع الاستعمار القارة لهذا التقسيم الجغرافى والسياسى ـ فانه أخضعها لعديد من المظاهر الشاذة التى تنفرد بها افريقية من بين قارات الارض الاخرى :

● فهناك أكثريات اسلامية فى أكثر من بلد افريقـى يتولى أمرها حكام غـير مسلمين ، تربوا فى أحضان الكنيسة ، وتغذوا بلبانها ٠

● وهناك شعوب افريقية يوجه سياستها ـ بل ويحكمها فى بعض الاحيان حكما مباشرا ـ أوروبيون ـ أو تلامذة للتبشير وللكنيسة ومعاهد العلم الغربى ٠

● وهناك تفرقة عنصرية تنطلق من تلك النظرية الغربية التى احتلت مكانا بارزا فى الفكر الاوروبى وهى نظرية « سيادة الرجل الابيض » وأفضليته ـ أفضلية جنسية مطلقة ـ على الرجل الاسود ٠

وحول قضية التفرقة العنصرية ـ التى لا تبرز على نحو عملى عميق ـ الا فى القارة الافريقية يقول الرئيس : « أحمد سيكوتورى » ساخرا من أولئك الاوروبيين الذين اندفعوا الى افريقية بمساطر وأقلام يقيسون بها الجماجم والقسمات ، ويقررون بناء على هذه المقاييس الظالمة « أن الرجل الاسود مكانه فى عالم الحيوان بين الشمبانزى والجيبون أى القرود شديدة الشبه بالانسان » ٠

ويبين الرئيس سيكوتورى أن لون البشرة ليس سوى واقع يطابق ظروف البيئة ، ثم يتساءل : هل جميع الابقار لها لون واحد ، وهل تفضل البقرة البيضاء زميلتها الحمراء أو السوداء ؟ والاجابة بالنفى بالتأكيد ٠ (5)

ومع ذلك فالتفرقة العنصرية حقيقة يفرضها الاستعمار على أجزاء متعددة مـن افريقيا ٠

● وهناك الى جانب هذه المظاهر الثلاثة الشاذة ـ الوضعية الاقتصادية المتخلفة التى فرضها الاستعمار على افريقية ، حين حرم عليها التصنيع وحولها الى بلاد منتجة ومصدرة للمواد الاولية بأرخص الاسعار ـ وهى مستوردة ـ فى الوقت نفسه ـ لهذه

(5) د ٠ احمد شبلى موسوعة التاريخ الاسلامى الجزء السادس 683 ٠

المواد نفسها بعد تصنيعها فى أوروبا ـ بأغلى الاسعار (6) : « ومن العجيب أن افريقيا الخصيبة أصبحت فى ظل الاستعمار محتاجة الى المواد الغذائية لتستوردها من الخارج، وذلك لان الجهود اتجهت فى الحقل الزراعى الى انتاج الحاصلات التى تصدر لا الحاصلات التى تستهلك محليا ، وعلى هذا اتسعت مزراع البن والقطن والشاى والكاكاو اتساعا كبيرا ، وترك الافريقيون يعانون نقص الغذاء (...) ولا يتمكنون بوسائل حديثة من صيد البحر .. كما يحرم عليهم صيد البـر ، اذ كان الاوروبى فى الغابات التى امتلكها هو القادر وحده على صيد الحيوانات البرية » . (7)

وفى ظل هذا يعتبر الفقر الشديد الذى يصل الى حد المجاعات وما يتبعها من ضعف صحى وانتشار للامراض والاوبئة ـ أحد المظاهر البارزة التى فرضها الاستعمار على افريقية .

ويعبر الرئيس « جومو كنياتا » عن هذا الوضع الاقتصادى فى مقاله المنشور ـ فى عدد عام 1970 من كتاب العام للموسوعة البريطانية ... فيقول :

« ان اهداف سياستنا الاساسية أن نهيىء للاغلبية العظمى من شعبنا أرضا يزرعونها وبيوتا يملكونها وأعمالا ثابتة يرتزقون منها . وحين نستطيع أن نفعل ذلك فان الاستقرار يمكن أن يسود القارة » . (8)

● وكما فرض الاستعمار الفقر المدقع فرض الجهل الشديد أيضا ، ولم يسمح الا بحجم ضئيل من الثقافة ربطه بمخططاته وأهدافه ، بحيث يصبح هذا (الشبه مثقف) الافريقى مسخا مشوها مبتور الجذور .. لا يصلح أوروبيا ، ولا ينتمى الى افريقيا ولا بيئتها .. لا بالنسبة لواقعها الحاضر .. ولا بالنسبة لآمالها فى المستقبل .

الخطر الاستعمارى الكبير على الاسلام فى افريقية :

وثمة خطر كبير ـ يضاف الى ملامح الصورة التى فرضها الاستعمار على افريقيا ـ يتمثل فى هذه الجيوش التبشيرية الملفعة بأردية « النصرانية » ، والتى يتولى الانفاق

(6) الاستاذ كامل الشريف : المغامرة الاسرائيلية فى افريقيا ص 90
(7) بتصرف من المرجع السابق ص 464
(8) الاستاذ كامل الشريف : المغامرة الاسرائيلية ، ص 91 .

عليها ــ سائر الدول الاستعمارية الكبرى ··· تلك التى كان لها نفوذ فى القارة ، أو التى تطمع فى أن يكون لها نفوذ ·

ان أغنى دولة فى العالم هى الفاتيكان ، وان ميزانية هذه الدويلة التى تمثل مجرد جزىء من أجزاء ايطاليا تنفق كلها فى الاغراض التبشيرية · ويوجد تحت تصرف البابا وحده ما يزيد على خمسمائة مليون دولار ، يستطيع الانفاق منها على أى غرض تبشيرى فى بلاد الاسلام · (9)

وتصدر عشرات من الصحف التبشيرية باللغات الحية تباع بثمن رمزى ، وتهدى فى أغلب الاحيان لمن يظن فيهم ضعف الايمان من المسلمين ·

ويقدر ما تنفقه الارسالية الانكليزية الاهلية وحدها فى السنة بمليونى جنيه استرلينى ، كما يقدر ما تنفقه الارسالية الامريكية بثلاثة ملايين ··· وكلها تنفق تحت اسم « مكافحة الاسلام » ··· وناهيك بالانفاقات الحكومية الرسمية فهى تصل الى أرقام خيالية ، وتمتد الى أكثر من مجال ، وتلبس أكثر من قناع ·

وقد نشرت المجلة التبشيرية الالمانية أن عدد جيش المبشرين البروتستانت وحدهم (104) آلاف مبشر ·

ويبلغ عدد النساء والرجال من موزعى التوراة وأناجيل المشتركين فى التبشير فهو يقترب من 93،000 ، وعدد المعاهد الكنيسية 16،671 معهدا ابتدائيا ومتوسطا وثانويا ·

ويخضع لسلطة التبشير أكثر من خمسمائة جامعة وكلية ومعهد عال · كما يخضع لسلطتهم 489 مدرسة لاهوتية متخصصة فى تخريج المبشرين وتدريبهم على أعمال التنصير ·

وتحت سلطة التبشير أيضا : 2594 مدرسة ثانوية ، و 83900 مدرسة ابتدائية ، و 1113 روضة أطفال .

(9) انظر المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام : محمد الصواف 190

ـ وفى الجانب الطبى والاجتماعى ـ وهو من أهم وسائل التبشير ـ يملك المبشرون 600 مستشفى للرجال والنساء ، و 1050 صيدلية توزع الدواء بالمجان ، و 111 مجلسا طبيا ، و 93 جمعية للممرضات ، و 265 ملجأ للايتام ، و 120 ملجأ للبرص ، ومثلها للصم والبكم ، و 115 مدرسة للمكفوفين ، و 5112 مستوصفا لمدمنى الافيون ، و 85 ملجأ للارامل ٠

* * *

والتبشير يلجأ لكل الاساليب التقليدية والعصرية ٠

فالمدارس والمستشفيات والمعونات الاقتصادية والصحف والاذاعات والكتب والملصقات ٠٠ كل هذه ـ وغيرها ـ يلجأ اليها التبشير ٠

وهو يقوم بعمله فى عدة مستويات مختلفة ٠

فهناك تبشير على مستوى الافراد ٠٠ وهناك تبشير على مستوى الجماعات ٠٠ وهناك تبشير صامت يلجأ الى الكتاب والصحافة وأساليب التشكيك والدس المنسوبين زورا الى العلم ٠ وهناك تبشير آخر خطير يستغل الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تمر بها القارة ٠٠ فيقوم بدوره من وراء الكواليس فى شكل اتفاقيات سياسية أو اقتصادية ٠٠ كما يستغل الحقائب الدبلوماسية ٠

والغريب فى وضع التبشير ـ فى افريقيا ـ أنه قد لجأ فى آخر تطوراته الى أسلوبين :

● أسلوب التعاون مع الوثنيات الموجودة فى القارة ٠٠ حتى يتمكن ـ فى المرحلة الاولى من التخلص من الاسلام وهو المنافس القوى ... وبالتالى فهو يتبنى مواقفها السياسية والاجتماعية ويمدها بكل وسائل الدعم ، ويساعدها على انبعاث نعراتها الاقليمية والقومية ولغاتها المحلية ٠٠٠ بل وعاداتها وتقاليدها الوثنية ما بقى منها وما اندثر ٠

● والاسلوب الثانى هو اسلوب التعاون مع اليهود ٠٠٠ وهو تعاون سعى اليه الطرفان معا ٠٠ سعت اليه اسرائيل ٠٠ وسعى اليه التبشير ٠٠ انطلاقا من وحدة الهدف ٠٠٠ الذى هو الاسلام فى افريقيا ٠٠٠ ذلك الاسلام الحركى الذى

كان بالنسبة للأفارقة الوقود الذى يندفعون به باحثين عن وجودهم وحريتهم ... والحضارة التى يشعرون من خلالها بشخصيتهم واستقلالهم .

ومع أن بين النصرانية واليهودية حربا تاريخية لم تهدأ الا أخيرا ... فان المبشرين واليهود يتحدون ـ مرحليا واستراتيجيا ـ ضد الاسلام الذى يوشك أن ينتظم القارة الافريقية كلها .

«ومن تكرار القول أن تتحدث عن الصلة بين اليهود والنصارى ـ أو بين اسرائيل والاستعمار ـ فى العصر الحديث ـ ذلك لان هذا البحث يعود بنا الى نشأة الدولة اليهودية والظروف التى أحاطت بها ، وهو بحث كثير التشعب ، وليس هنا مجاله على كل حال ، غير أن دور اسرائيل فى افريقيا انما هو امتداد للمهمة التى أوجدها الاستعمار الصليبى من أجلها ، فى الشرق العربى ، وهذه المهمة هى عزل الشعوب العربية فى آسيا عن الشعوب العربية فى افريقيا (10) .

وفى ذلك ما فيه من اضعاف للكيان العربى فى افريقيا ... الذى هو وسيلة ايجاد الكيان الاسلامى الافريقى ، وهو المدخل الطبيعى لايجاد افريقيا مسلمة عربية ، تحقق حلم اجدادنا المرابطين من أحفاد عبد الله بن ياسين ، ويوسف بن تاشفين ... هؤلاء الذين بذلوا دماءهم وأموالهم فى سبيل أن تصبح افريقيا قارة اسلامية .

* * *

ماذا يريد الغرب من هذه الغارة التبشيرية على العالم الاسلامى ... وعلى افريقيا بخاصة ؟

ـ ان النصرانية لا وجود لها فى الشارع الغربى ولا فى المصنع أو المعمل أو المحكمة أو البنك ... وحتى الكنيسة أصبحت مؤسسة اجتماعية تشبه مؤسسات وزارات الشؤون الاجتماعية ... لقد تركت أوروبا النصرانية منذ قامت نهضتها الصناعية على أساس الشعار القائل : « اشنقوا آخر اقطاعى بأمعاء آخر قسيس » .

---

(10) انظر : كامل الشريف : المغامرة الاسرائيلية فى افريقيا ص 62

ان الانسان الاوروبى الحديث ··· و « التركيبة » الفكرية والحياتية الاوروبية ـ لا تعطى قضية الدين أى حجم حقيقى فى صياغة الفكر أو الحياة ·

فما معنى هذا الذى يفعله المبشرون فى افريقيا ؟

وهؤلاء المبشرون أنفسهم ليسوا نموذجا لدعواتهم التى يقدمونها الى الناس ··· فكثيرا ما غادر المبشر جمعية الى جمعية أخرى سعيا وراء الكسب المادى ··· والمبشر « وليم بلغرايف » الانكليزى تقلب من البروتيستانتية الى اليسوعية ، ولما استغنى عن اليسوعيين عاد بروتيستانيا ··· وقد ذكر المفكر (جب) أنه قد ثبت على اليسوعيين أنهم فضحوا فتاتين من طائفة الارتوذكس وأخفوهما حينا ثم أضطروا الى اعادتهما لاهلهما ·· ويهاجم (جب) نظام الاديرة كله ·· ويقول : « ان بعض هذه الاديرة كان مستقرا للفاحشة » · (11)

● فما معنى هذه الجيوش التبشيرية الداعية الى النصرانية فى افريقيا ؟

● أليس الاولى بها أن تدعو الشيوعيين فى المعسكر الشرقى الى العودة الى حظيرة الايمان ؟ (بدل أن تتعاون مع الشيوعيين الملاحدة فى كثير من الاحايين) ·

● أوليس الاولى بها أن تدعو الاوروبيين أنفسهم الى اعطاء الدين حجما أو زاوية مؤثرة فى الحضارة الاوروبية التى يهددها الافلاس الروحى بالدمار ؟

* * *

ان التبشير ـ وهو كما ذكرنا أحد الاخطار الاستعمارية المحدقة بالمسلمين فى افريقيا اليوم ـ ليس دعوة الى النصرانية ... بقدر ما هو ايقاف للزحف الاسلامى وتعكير لصفوه ·· وتأخير ليوم تصبح فيه افريقية قارة اسلامية ·

انه أكبر سلاح يستعمله الاوربيون المستعمرون اليوم فى هذه القارة للحيلولة دون تقدم القارة علميا أو اقتصاديا أو سياسيا ·

انهم يقدمون النصرانية كبش فداء ·· ليس حبا فيها ·· ولكن لانها الدين الذى يملكونه ··· والذى يمكن أن يقف قليلا ـ أمام الزحف الاسلامى ·

(11) التبشير والاستعمار : د · عمر فروخ ، ص : 35 ، 36 ·

● ان المرء ليضحك وهو يتذكر أن « اللورد اللبنى » الذى كان قائد الفيالق الانجليزية للقدس وصاحب الكلمة المشهورة : « الآن انتهت الحروب الصليبية » كان عضوا كبيرا فى جمعية الحادية ٠

● وايطاليا التى ناصبت الكنيسة العداء ، وحجزت البابا فى الفاتيكان ، كانت تبنى سياستها كلها على جهود المبشرين والرهبان ٠٠ والذين زاروا ايطاليا يعرفون أنه على مقربة من الفاتيكان وحوله من الجهات الاربع تعيش ايطاليا حياة انحلالية بوهيمية لامكان للدين فيها ٠

● وأكثر مدعاة للدهشة من هذين المثالين موقف « ستالين » (زعيم الشيوعية الدولية) حين دعى الى مجمع مسكونى فى موسكو ٠٠ وقد شرف ستالين نفسه المؤتمرين بمقابلته ٠

● وفى الجزائر المجاهدة ٠٠ جزائر المليون ونصف مليون شهيد ـ كانت فرنسا تترجم عن عقلية صليبية حاقدة ضج منها الضمير العالمى (12) ٠٠ ومع ذلك فليس للدين حجم حقيقى فى داخل فرنسا

ـ فما معنى هذا كله ؟

ـ هل النصرانية مجرد بضاعة للتصدير ؟

ـ نعم انها لكذلك فعلا ٠

ـ انها مجن واق من أخطار الزحف الاسلامى ٠

ـ انها ستار يراد منه أن يمنع شمس الاسلام من الظهور ٠

ـ انها تراث حضارى يرشح للوقوف فى وجه تراث الاسلام وحضارته ٠

ـ انها ـ فى أقل حالاتها ـ صورة (دين) يمكن أن يحارب بها (دين) آخر ٠٠ حيث ثبت ـ تاريخيا ـ أنه لا يقف أمام الدين الا الدين ـ ولا يفل الحديد الا الحديد ٠٠ والبقاء للاصلح فى نهاية المطاف ٠

---

(12) التبشير والاستعمار ، ص : 35 ، 36 ٠

ـ ولمزيد من الوضوح حول دور التبشير التخريبي فى افريقيا « وهو الدور الوحيد الذى رسم له » دعنا نسرد هذا الحوار الطريف الذى دار بين « لويس لومكس » الصحافى الامريكى ـ فى كتابه (الافريقى النافر) ـ وبين « سيلوندبكا » عضو اللجنة التنفيذية للحزب الديمقراطى فى روديسيا الجنوبية سابقا ٠

ـ سأله الصحافى الامريكى قائلا :

هناك تقارير منتظمة تؤكد أن المسيحية تنحسر عن افريقيا ٠٠ هل هذا صحيح ؟

ـ الزعيم الافريقى : نعم صحيح ٠٠ فالكنيسة لم تلعب دورا سليما فى الشؤون الافريقية ٠٠ لقد وقفت ضدنا الى جانب هؤلاء الذين استعبدونا ٠٠ انها اليوم تقف على قدمها الاخيرة فى افريقيا ٠

ـ الصحافى الامريكى : هل أنت مسيحى ؟

ـ الزعيم الافريقى : نعم أنا كاثوليكى تعلمت فى كلية « ماريان » فى ناتال بجنوب افريقيا ٠٠ وأنا طبعا لم أنضم للكنيسة لدوافع سياسية بل عن اعتقاد روحى ٠٠ ورغم ذلك شعرت بأن الكنيسة خذلتنى ٠٠ ان الاسلام سينصر فى افريقيا ، وبالرغم من أننى كاثوليكى الا أننى لا أستطيع أن أقول مخلصا : اننى آسف لتطور الاحداث (لصالح الاسلام) ٠٠ اننى أفهم أن الدين يشكل جانبا حاسما من قيم الانسان ، ومن ثم ٠٠ يدفعه الى الحرية ٠٠ وهذا ما فشلت فيه الكنيسة ٠٠ لقد أعطتنا كل شىء ما عدا الحرية (13) ٠

ان التبشير ـ كما نرى من هذا الحديث الواضح ـ ليس أكثر من واجهة مزيفة من تلك الواجهات الكثيرة التى يخفى بها الاستعمار مخالبه الحقيقية وأطماعه ٠ وهو بهذا خطر حقيقى كبير بالنسبة لمستقبل افريقيا المتحررة ٠٠ وبالنسبة لمستقبل من يهمهم أمر الاسلام والتعريب فى هذه القارة العذراء ٠

---

(13) نقلا عن الغزو الفكرى لمحمد جلال كشك ص 40 ، وانظر حقيقة التبشير وجذوره التاريخية ، مقال بمجلة التضامن الاسلامى عدد اكتوبر 1975 لعبد الحليم عويسى ٠

اليهـود فى افـريقيا :

ولئن كان التبشير النصرانى فى افريقيا يشكل جزءا من ملامح الصورة القائمـة التى تعكر صفو (الاسلام فى افريقيا اليوم) ـ فان اليهود يشكلون بعدا آخر مـن أبعاد الجزء القائم فى الصورة ٠

وبعد استقلال كثير من الدول الافريقية ذهبت اسرائيل تعرض خبرة اليهود فى العالم وأموالهم لمساعدة هذه الدول ٠

واليهود ـ عن طريق العلاقات السياسية والتجارية واستغلال الاعلام والدبلوماسية المرنة ـ يحققون أغراضهم فى كسب بعض الحكام الافارقة ، لدرجة أن جريدة نيجيرية كتبت بتاريخ 13 أكتوبر 1962 تقول بأن أية دولة فى الشرق أو افريقية لا تستطيع مساعدة نيجيريا ما عدا اسرائيل ٠

وثمة تعاون قائم بين اسرائيل وبعض الحكام الافارقة ـ ان لم يكن بشكل سافـــر سياسى أو اعلامى أو عسكرى أو ثقافى ـ فهو بشكل سرى ، وبخاصة فى المجـالات التجارية والثقافية ٠ ولئن كانت بعض الدول الافريقية قد غيرت موقفها من اسرائيل بعد ظهور طابعها الاستعمارى وهزيمتها فى حرب رمضان 1963 هـ ـ فان دولا أخرى لا تزال تربـــط نفسها باسرائيل ٠٠ ومنها أثيوبيا وغانا وروديسيا وتنزانيا ٠٠٠ واسرائيل تستغل الوضع الاقتصادى الافريقى المتخلف ، وتقوم بتعليب كثير مـــن اللحوم والفواكه وغيرها من المواد الافريقية الخام كما تستورد الخشب والماس ومـواد السماد ٠ « ولقد اهتم الاسرائيليون اهتماما خاصا باقامة الفنادق وأماكن اللهـــو وسيطروا عليها اداريا ، وسخروها لاغراضهم السياسية والاقتصادية ، وكان يختفى وراء مظهرهم البرىء شر أنواع النشاط السرى المخرب » . (14)

ان اسرائيل لن تترك افريقيا للعرب والاسلام بسهولة ٠ كما أن المد الحضارى لا ينتشر بالعواطف والمجاملات ٠ وبالتالى فيجب أن نخطط بجدية وسخاء لضمان انقاذ افريقيا من اليهود والصهيونية ، وسيرها فى ركاب حضارة الاسلام ٠

---

(14) كامل الشريف المغامرة الاسرائيلية على افريقيا ص 116 ، 117 ٠

الشيــوعية فى افــريقيا :

تمثل الشيوعية خطرا داهما بالنسبة للاسلام فى افريقيا ـ يسىء الى ملامح صورة الاسلام فى افريقيا اليوم ٠

فافريقية المسلمة ٠٠ قارة المستقبل الاسلامى ٠٠ تغزوها الشيوعية فى بعـض أركانها ، وذلك حين يبدو أن التبشير لن يستطيع الصمود أمام الاسلام ، وحـين يبدو أن النفوذ اليهودى لا يستطيع القيام بالغرض ٠ وان ما حدث فى أثيوبيا ـ بعد « هيلاسلاسى » الذى لم يتمكن من عمل كل شىء وبخاصة القضاء على مسلمى أرتريا ـ لدليل ناصع على أن الشيوعية هى البديل الثالث الذى يتقدم به اليهود والتبشير ، حين يبدو لهم أن الطريق للقضاء على الاسلام مسدود . ولسنا نفصـل ما جرى فى الصومال عما جرى فى أثيوبيا ، كما لا نفصل ما جرى فى تانزانيا (زنجبار وتنجانيقا) حين قتل عشرات الآلاف من العـرب والمسلمين ـ باسم التقدمية الشيوعية (15) ـ واعترف باسرائيل ودعيت « جولدا مائير » لزيارة تنزانيا ـ لسنا نفصل كل ذلك عن حقيقة الدور الذى تلعبه الشيوعية فى افريقيا ٠

وانه لمدعاة للتساؤل أن يكون أكثر الزعماء الشيوعيين الذين ظهروا فى افريقيا ذوى علاقة طيبة باسرائيل ٠ وكان أكثرهم ينظر الى اسرائيل على أنها تجربة تقدمية (16) يجب أن يحتذى بها ٠ والنظر الى انتصارها على العرب على أنه انتصار للتقدمية عـلى الرجعيـة ٠

فالشيوعية عائق من عوائق المد الاسلامى فى افريقيا ، وهى عنصر من ملامح الجزء القاتم الذى يعكر صفو الاسلام فى افريقيا اليوم ٠

مكانة اللغة العربية فى افريقيا اليوم :

تختلف الوضعية الافريقية الشعبية عن الوضعية الافريقية الرسمية أو الوضعية التى يريد التبشير واليهود أن يصلوا اليها ٠

---

(15) أنظر محمود شاكر : تانزانيا ، ص 34 ٠
(16) أنظر كامل الشريف : المغامرة الاسرائيلية ص 94 وما بعدها ٠

فالحقيقة أن القاعدة الشعبية فى افريقيا لا زالت الى حد كبير ·· تنتمى الى العربية · لغة وفكرا ·· والى الاسلام دينا وحضارة ·

واذا ما استثنينا البلدان العربية الافريقية (مصر والسودان والجزائر والمغرب وليبيا وتونس والصومال وموريتانيا) نظرا لان العربية هى اللغة الرسمية فيها ـ فان بقية البلدان الافريقية ـ وبخاصة الاسلامية منها ـ تعتبر اللغة العربية لغتها الدينية والفكرية والحضارية على الاقل ، على المستوى الشعبى ·

● ففى الحبشة ، حيث يمثل المسلمون 65 ٪ ، وفى أرتريا ، حيث يمثل المسلمون 80 ٪ نستطيع أن نقول : ان اللغة العربية هناك احدى اللغات المعروفة لاغلب السكان ويمكن التعامل بها فى الاسواق ، فضلا عن دور العلم والمساجد · وعند مقارنة اللغة « التجرينية » المستعملة فى أرتريا كلغة محلية ، سوف نكتشف أنها اقتبست كثيرا اللغة العربية ، حتى أن الاعداد المستعملة فيهما تبدو وكأنها شىء واحد (17) ·

● وفى كينية حيث العراقة الافريقية الاصيلة ، وحيث تسود اللغة الساحلية وتجاورها لغات كثيرة تزيد على سبعين لغة ، فلكل قبيلة لغة خاصة تشبه اللهجة ، ومع ذلك فان العربية تحتل مكانا بارزا بحيث ان اللغة الساحلية هذه تعتمد فى حوالى خمسين بالمئة من كلماتها على العربية اما أصلا ، واما اشتقاقا · ولهذا فلم يكن غريبا أن تقر وزارة المعارف الكينية مؤخرا تدريس اللغة العربية رسميا بمدارس الساحل الكينى ، كما أنها أقرت اختيار الطلاب رسميا فى مادة الدين · وقد أبدت استعدادها لقبول أكبر عدد ممكن من المدرسين للغة العربية والدين الاسلامى ، شريطة أن تتكفل الحكومات العربية بالتكاليف والمرتبات (على نحو ما يفعل المبشرون) (18) ·

● وفى أوغندا يتكلم الناس لغة ساحلية خاصة بهم تختلف عن ساحلية كينيا ، وهى مزيج من لهجات « البانتو » مع اللغة العربية (19) ·

(17) راجع محمد العبودى : فى افريقية الخضراء ص 91 وما بعدها ـ وأنظر ص 158 وص 182 وص 183 (عن العربية فى الحبشة) ·
(18) المرجع السابق ، ص 212 ·
(19) أنظر تقرير رابطة العالم الاسلامى بالمملكة العربية السعودية المنشور بالصحف المحلية (عن كينيا) فى السعودية ·

ومع أنها ساحلية أوغندية خاصة ، فانها تكتب بالابجدية العربية ، مما يـدل على التأثير القوى للغة العربية فى أوغندا ، هذا فضلا عن أن المسلمين فى أوغندا (وهم قريبا سيشكلون الاغلبية السكانية ان شاء الله ــ نظرا للمد الاسلامى على عهـــد الرئيس « عيدى أمين ») ــ يحرصون جميعا على تعلم اللغة العربية (20) ٠

وهكذا ــ نستطيع القول (من خلال هذه النماذج) : ان للغة العربية أرضية كبيرة فى افريقية منذ دخلت فى ركاب الدعاة والتجار المسلمين ، **وأصبحت لغة الادب والعلم** والتعامل ، ويكفى ــ فى نهاية حديثنا عن **اللغة العربية** فى افريقيا ــ ان نـدلل عـلى عمـق مكانة هذه اللغة ، فنذكر ان أهـــم المراجع التاريخية « كأضابـير اشـانتى » « وكانو » فى افريقية الغربية ، ومحفوظات « كلوة » فى افريقيا الشرقية أكثرها باللغة العربية ، حتى قال بعض الكتاب الاوربيين معبرا عن مدى ارتباط افريقية بالعـربية لغة وحضارة : « اننا اذا نزعنا الوثائق التاريخية المكتوبة باللغة العربية لا يبقى ثمة تاريخ يعتد به لافريقيا السوداء » ٠ وقد قال أحد وزراء زنجبار فى ذلك : « يكـــفى للتدليل على مكانة لغة العرب بالنسبة لافريقيا أن نعلم أنه لا يوجد فى اللغة السواحلية كلمة مرادفة لكلمة تحضير أو تمدين سوى كلمة « تعريب » ، فاذا أردنا أن نتحدث عن مشروع لتطوير قرية زراعية قلنا : « تعريب تلك القرية » ٠

وهذه الكلمة الواحدة تصلح نافذة عريضة على تاريخ مجيد طويل (21) ٠

انه تاريخ علاقة افريقيا بالعرب حضارة ولغة ومصيرا ودينا !!

الاســلام فى افريقيا اليوم :

ليس ثمة شك فى أن الاسلام فى افريقية يعيش اليوم بين مد وجزر ٠٠ أو بتعبير آخر : بين (محنة ومنحة) ٠

(ومحنة الاسلام) فى افريقيا تتركز فى عدة مواطن منها :

---

(20) أنظر محمود شاكر : أوغندا ص 48 ٠

(21) أنظر (بتصرف) كامل الشريف : المغامرة الاسرائيلية ، فى افريقيا ص 170 وما بعدها ٠

أولا : فى جنوب السودان ·· فهذا المدخل الطبيعى الذى كان بالامكان أن يصبح احدى بوابات الاسلام الى افريقيا ـ قد أصبح **مرتعا** لنفوذ المبشرين ، وللموالين لهم ممن يجاورون السودان ·

فبعد الاتفاق الذى تم بين الشمال والجنوب فى مؤتمر « أديس أبابا » الذى عقد فى مارس 1972 م باشراف المنظمات الكنسية والفاتيكان ـ فتح الباب على مصراعيه للمبشرين · ويقينى الجازم أن المبشرين سيتمكنون من اقامة دولة مسيحية فى جنوب السودان تكون احدى منطلقاتهم لقلب افريقيا ـ وذلك ما لم ينهض العرب لرد، هذا الخطـــر ·

كما أن التبشير قد نجح من وراء هذه الاتفاقية فى قهــر الحــركات الاسلامية فى أرتريا وتشاد ·· فهاتان الثورتان تعيشان منذ الاتفاقية مرحلة اختناق حاد مرير ·

ثانيا : فى الصومال ·· حين وقــع الانقلاب العسكرى الشيوعى فى 21 أكتوبر 1969 · ولم يكد يمر عام حتى أعلن قائد الانقلاب « محمد زياد برى » فى عيد الانقلاب الاول ـ اعتناقه وحكومته للمبدأ الماركسى اللينينى · وتفسير الاسلام تفسيرا ماركسيا واخضاع عقيدة الاسلام وأصول شريعته لما يتلاءم مع أفكار ماركس ولينين ، وتبـــع ذلك تنظيمات ومعاهد كل همها انشاء شبيبة شيوعية ترفض الاسلام وتعلن الحــرب عليه ـ كما أصدرت الحكومة مرسوما فى سنة 1972 م يقضى بهدم كل المدارس القرآنية . واستمر الحال على هذا المنوال ·· حيث تزحف الشيوعية فى كل يوم على أجســـاد مئات العلماء وآلاف المجاهدين ـ مستعملة أبشع وسائل التنكيل التى عرفها التاريخ ·

وكما هو المتوقع فان الحكومة الشيوعية فى الصومال تعوق ـ من جانبها وفى حدود تأثيرها ـ كل مد اسلامى الى افريقيا ·· وتتبنى بديلا عنه كل ما هو ماركسى ويخدم مصالح أصحاب العقيدة الماركسية · واننى من جراء هذا ـ لاعتقد بأن الماركسية ، هى الخط الاول الآن لتحقيق كل أهداف الصهيونية والتبشير ، وهى الممهد الحقيقى لاستيلائهما على أرض الاسلام ـ لا قدر الله ·

ثالثـا : فى تنزانيا

فمنذ وقع انقلاب 1964 م وخلع السيد « جلمشيد بن عبد الله » ٠٠ ومنذ قتل فى ساعات محدودة (ستة عشر ألف عربى) ، كما لقى سائر المسلمين شتى أنـواع التعذيب ، ولقى (54) ألفا حتفهم ٠

منذ هذا اليوم الذى تبعـــه زوال شخصية بلد اســلامى عزيز هو « زنجبـار » ــ حرسها الله ــ أصبحت كلمة الاسلام ــ وأصبح العرب واللغة العربية ــ جـرائم يحاسب عليها القانون ٠٠ والمجال لا يتسع لتتبع صور اضطهاد الاسلام والعروبة فى تنـزانيـــا ٠

رابعـا : فى تشـــاد

وفى تشاد حيث تصل نسبة المسلمين فى بعض المصادر الى 92 ٪ ــ (وليس لهم فى الحكم الا 20 ٪ فقط من المقاعد الوزارية) تتعرض الجماهير المؤمنة ــ والشخصيات الاسلامية ــ لاضطهادات متلاحقة ، كمـا يتعرض المسلمون جميعا لضغوط الضرائب والاعتقالات والحرمان من الحقوق السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية ٠

وقد فشلت انتفاضة المسلمين ضد أنواع المظالم المحدقة بهم **فى سنة 1965 م ،**

فكانت انتفاضتهم الفاشلة بابا جديدا فتح عليهم أبواب التنكيل والتعذيب ، لدرجة استجلاب قوات فرنسية لابادتهم ، مع ملاحظة أن نسبة الحاكمين المسيحيين لا تعـدو (4 ٪) من السكان ٠

والشعب التشادى المسلم بقيادة جبهة التحرير الوطنى التشادى التى تأسست سنة 1966 م ٠ لا زال يكافح لاعادة الاوضاع الى نصابها ــ وفقا لما يتشدق به المسيحيون كذبا ــ حول حقوق الناس والاغلبية فى الديمقراطية والحرية والوصول الى الحكم ٠

لكن الحقيقة الثابتة أن الديمقراطية يحاربها النصارى أنفسهم اذا كانت لمصلحة الاســـلام ! !

خامسا : أما أثيوبيا ··· ومأساة المسلمين فى أرتريا ···

فالمسلمون ــ هناك ــ محرومون من أبسط الحقوق الانسانية · فبقرارات رسمية يمنع دخول المدرسين المسلمين الى أثيوبيا وأرتريا ، وتفرض رسوم جمركية عالية على الكتب الاسلامية ، ويلاحق الاسلاميون لاسلامهم ويزج بهم فى السجون ، ولا يعترف لهم بشهاداتهم التى حصلوا عليها من المدارس الاسلامية ·

وقد ألغيت اللغة العربية ·· فى المدارس ·· وفى المصالح والمؤسسات الحكومية وتلجأ الحكومة الى بث جاسوسية محكمة حول المسلمين ، والشخصيات الاسلامية المثقفة ·· سواء من هم من الوطنيين أو من هم من الوافدين · لضمان وأدها للاسلام واللغة العربية ·· كما أنها تحرص حرصا شديدا على ابعاد المسلمين عن الدوائر الحكومية ، وتشجع « البغايا » على الهجرة والانتشار فى المدن الاسلامية على امتداد أيثيوبيا وأرتريا ·· بل ان الحكومة لترفض مجرد اقامة علاقات دبلوماسية مع الدول التى تشعر بتمسكها بالاسلام ، وترفض السماح للطلاب الارتريين والاثيوبيين بقبول المنح التى تقدم لهم من بعض الدول الاسلامية ، وتبذل ــ الى جانب ذلك ــ تسهيلات ضخمة لكل الحركات المعادية للاسلام شيوعية أو صهيونية أو تبشيرية ، كما أنها تفرض على المسلمين الجهل والفقر والمرض ·

● وهناك محن أخرى كثيرة تحيط بالمسلمين الافارقة ·· لكننا لسنا بسبيل الحصر ·· وحسبنا هذا من صور التحدى للاسلام فى افريقيا المجاهدة ·

* * *

بيد أن هناك (منحا) كثيرة ، ونوافذ فسيحة للامل فى اسلامية افريقية · فان الاستعمار والتبشير باسلوبهما الهمجى قد ساعدا المد الاسلامى من حيث لا يشعرون ، كما أن الشعوب الافريقية قد بدأت تعرف حقيقة الماركسية والصهيونية وأسلوب الحياة فى ظلالهما ، وحقيقة أطماعهما · وقد ساعد على ذلك سقوط أسطورة اسرائيل التى لا تقهر فى حرب رمضان 1393 هـ ·

● ان كينيا قد بدأت سياسيتها تميل نحو الاعتدال ، فيما يتعلق بالحقـــوق الاسلامية ٠٠ وهذا مكسب ممتاز ٠

● وقد أصبح المجال لنشر الاسلام فى أوغندا فى أحسن صوره الممكنة ، وحبذا لو استغلته الدول العربية المهتمة بالاسلام ٠

● والسنغال قد بدأت تأخذ موقفا معتدلا أيضا من القضايا الاسلامية ٠

وقد عقد فى عاصمتها داكار ــ بتسهيلات كبيرة من حكومة السنغال ــ مؤتمـــر رابطة العالم الاسلامى الافريقى الثانى (محرم 1397 هـ) الذى انبثق عنه تكوين مجلس التنسيق الاسلامى الافريقى ٠

وقد تكرمت حكومة السنغال فمنحت أعضاء رابطة العالم الاسلامى كل الامتيازات والحصانات الدبلوماسية ٠

● وجمهورية افريقيا الوسطى قد أعلن رئيسها « بوكاسا » وابنه ، وفريق من وزرائه ، وستون من كبار الشخصيات اسلامهم ، ففتح الباب للاسلام فى هذه الجمهورية الفتيـــــة ٠

● ومثل افريقية الوسطى : الجابون ٠٠ التى أسلم رئيسها وأدى فريضة الحج ٠

● ويجب أن لا نغفل من ملامح الصورة أن بعض الدول الافريقية التى حصلت على استقلالها قد أفادت الاسلام ولغة القرآن ٠ وأكبر مثل على ذلك هو الجزائر المسلمة العربية ٠٠٠ جزائر عبد الحميد بن باديس التى نتمنى أن تلعب دورا قياديا فى الدعوة الى الاسلام وفى نشر اللغة العربية فى افريقيا ٠

* * *

● كما أن من الواجب ــ احقاقا للحق ــ أن نذكر بالخير الجهود التى قامت بهــا حكومة الجمهورية العربية الليبية فى مساندة مسلمى افريقيا والمدافعة عن قضاياهم ٠

ــ فهذه النواحى ــ وغيرها ــ نشكل الجزء الكبير المشرق ، الممهد لجعل افريقيا قارة اسلامية عربية بأذن الله ٠

مستقبل الاسلام فى افريقيا :

من بين عوامل الايجاب والسلب المتضاربة ... ومن خلال ملامح الصورة بشطريها الابيض والداكن ... ووسط تراث حضارى أصيل أعطى افريقيا لونها الاسلامى على امتداد القرون التى سبقت مرحلة الاستعمار الاوروبى .

من بين كل هذا - وعبورا من تراث الماضى الى آلام الحاضر وآفاق المستقبل - نستطيع القول بموضوعية محايدة :

ان مستقبل القارة الافريقية هو مستقبل اسلامى يتكىء على العربية لغة وفكرا .. ويستمد من الاسلام عقيدة وشريعة وحضارة منطلقاته ، ومناهج نضاله ، ومعالم مستقبله الحضارى المتميز الاصيل .

- ولعل من حسن حظنا نحن الذين سنعبر - ان شاء الله - عتبات القرن الخامس عشر للهجرة .. وربما عتبات القرن الحادى والعشرين للميلاد .

لعله من حسن حظنا أننا ذلك الجيل الذى سيودع عصر الدكتاتورية الفردية المستبدة الطاغية فى عصر الثورة التكنولوجية .

لقد آن للتاريخ أن يدور دورة أخرى يكون للشعوب فيها الدور الحقيقى البطولى ، وتنتهى مرحلة الطغاة الذين تعودوا أن يقودوا مئات الملايين بقرار أو بشعار ...

- ان مرحلة الغوغائية واستعباد الطغاة للشعوب سوف تنتهى .

- هكذا يقول معلمنا التاريخ . وقد بدأ جليدها يذوب فى جناحى المعسكر الالحادى اثر سقوط بعض الطغاة .

- وعندما يقف التاريخ على باب منعطفه الجديد - فان شعوب افريقيا - وليس عملاء الاستعمار التبشيرى ، وليس عملاء الشيوعية ، وليس عملاء اليهودية .

ان شعوب افريقيا وحدها وليس كل هؤلاء هم الذين سيقررون مصير هذه القارة المجاهدة العذراء .

وبالتأكيد فان الفطرة الافريقية المنبثقة من أعماق التراب والتاريخ لن ترضى بغير الاسلام بديلا ‥ **فماضى** الاسلام فى افريقيا هو حضارتها التى تزهو بها ‥ وما أسدى الاسلام لها غير الخير ‥ وما كان دعاته غير مجاهدين يتوجهون بعملهم **لوجه الله ، ولم يكونوا يوما ما مستعمرين مستغلين** ... وأما **حاضر** الاسلام فى افريقيا ... فهو كحاضر الاسلام فى كل بلدان الاسلام ، حيث يتعرض هذا الدين ـ كما ذكرنا ـ لهجمة استعمارية شرسة ، نظرا لانه الدين المرشح لقيادة حضارة المستقبل ... وأما **المستقبل** ، فلا يمكن أن يكون أوروبيا أو نصرانيا ... فتاريخ افريقيا مع أوروبا أو النصرانية لا يسمح باقامة روابط حقيقية .

على اننا نحن العرب الافريقيين المسلمين ‥ ونحن المسلمين فى كل مكان يجب أن نساعد التاريخ على السير بافريقيا الى شاطىء المستقبل الاسلامى ‥ فالتاريخ البشرى لا يتحرك آليا أو عفويا ، وهو لا يسير باطراد فى اتجاه الاصلح ، اذا لم يساعده الصالحون فى الارض .

وانى أقدم للقيام بهذا الواجب المقترحات الآتية :

1 ـ توجيه اذاعة لافريقيا فى كل بلد عربى مسلم ، تتكلم اللغة الشائعة مع الاقتراب ما أمكن من العربية ، ومع ضرورة ايصالها واضحة لاعماق افريقيا .

2 ـ اقامة سفارات وعلاقات ثقافية واقتصادية طيبة مع البلدان الافريقية كلها ، ولو كان ذلك على حساب بعض التجاوزات عن الآراء السياسية المرحلية .

3 ـ تبليغ صوت المسلمين الافارقة الى العالم ، وتبنى قضاياهم وحقوقهم الانسانية فى تعلم دينهم ولغتهم العربية ، والوقوف ضد الدول التى تحرمهم من هذه الحقوق (فمثلا ‥ حكومة أثيوبيا تحرمهم من اقامة المدارس الاسلامية ومن تعلم الدين الاسلامى ‥ وتعتبر ذلك عملا غير مشروع ! !) .

4 ـ رصد ميزانية خاصة للمعونة الاقتصادية لمسلمى افريقيا ، وذلك لمساعدتهم على اقامة مساجد ومدارس ومستشفيات ودور لرعاية المعوزين والعاجزين واليتامى والارامل حتى يتمكنوا من الاستغناء عن مساعدات التبشير المسيحى ، ومن القضاء على

الموبقات الاخلاقية التى يدفع اليها الفقر (فالزنا فى أرتريا ـ مثلا ـ علنى ٠٠ حيث يجلس النسوة فى مصوع أمام البيوت،وينمن بالليل أمامها فى انتظار الساقطين (22))

5 ـ مناشدة الحكومات الاسلامية فى البلدان العربية الافريقية بمنع الزنا والخمور ـ منعا رسميا ـ وعدم التصريح بقانونية هاتين الجريمتين ٠٠ حتى تكون هذه الدول مثلا حيا لافريقيا المسلمة غير العربية ٠٠ فالحقيقة أن الفساد الاخلاقى من الوسائل التى يعتمد عليها التبشير فى الصهيونية **والشيوعية** فى استعباد الشعوب وقهرها ٠

6 ـ استغلال الظروف المتاحة ـ ولو مرحليا ـ أحسن استغلال لتوطيد أركان الاسلام والعربية فى بعض البلدان الافريقية التى تقيم علاقات قوية هذه الايام مع العالم العربى ٠٠ كأوغندا والجابون والسنغال وتشاد ونيجيريا وجمهورية افريقيا الوسطى ٠٠ وغيرها ٠

7 ـ العمل على اذابة الفوارق بين المذاهب الاسلامية المعترف بها ، واجلاء وحدة الدين الاسلامى فى أصوله ٠٠٠ ففى بعض البلدان الافريقية تنتشر ـ للاسف الشديد ـ موجة التعصب المذهبى لدرجة أن بعض الطوائف تخصص مساجد لها فتكتب على المسجد مثلا : (مسجد الشافعية ، أو مسجد الحنفية) وهكذا ٠٠ ! !

8 ـ نشر الاسلام الصحيح والثقافة الاسلامية الاصيلة ـ بالكتب والاساتذة ، وبالنشرات والدوريات بلغات افريقيا ـ فالمسلمون الافارقة فى أغلبهم جهلة لا يعرفون أبجديات الاسلام ، بل بعضهم يخلط بين الاسلام والمسيحية ، حتى فى الاسم ، فيتسمون : « هنرى محمد ، وجيمس على » بل ان بعض الاطفال المسلمين والشيوخ لا يعرفون معنى الاسلام ، ولا يعرفون أنهم مسلمون ٠ وبعض المدارس الافريقية الاسلامية تخلو من مدرس واحد للاسلام أو العربية ، كما أن بعضها أغلق بعد بنائه لعدم وجود المدرسين المتخصصين فى الاسلام والعربية ٠

9 ـ دراسة اللغات الافريقية واللغتين الانجليزية والفرنسية فى المعاهد والجامعات الاسلامية ، وبخاصة معاهد اعداد الدعاة ٠

---

(22) أنظر : محمد العبودى : فى افريقية الخضراء ص 82 وانظر ص 87 ، ص 172 ٠

10 ـ مساواة الماركسية بالصهيونية والتبشير ، واعلان الحرب على كل هـــذه المبادىء الهدامة التى تحارب الاسلام فى افريقيا « فالكفر ملة واحدة » · وقد فعلت الماركسية بالاسلام فى أثيوبيا والصومال وتنزانيا وغيرها ما لم يجرؤ الاستعمار على فعله · وقد أوقف الشيوعيون المد الاسلامى فى كل بلد افريقى سيطروا عليه ·

11 ـ ولا نستطيع أن نخفى أن حركة القومية العربية كفكرة عنصرية متخلية عن الاسلام ، قد أساءت كثيرا الى الصورة الاسلامية فى افريقيا · وبالتالى فالولاء للاسلام وللمستقبل الاسلامى لافريقيا يقتضى التخلى عن هذه النعرة الجاهلية ·

12 ـ وأخيرا ··· فان أوضاع العالم العربى والاسلامى ، والخلافات السياسية والفكرية القائمة بين بعض حكوماته ، وتخلى كثير من القيادات عن الاســـلام منهجا ورسالة الى البشرية ، والاعتماد على الفكر المادى أو العلمانى أو القومى ··· فضلا عن انحطاط المستوى الفكرى والخلقى والاقتصادى والسياسى داخـــل المجتمعـــات الاسلامية ·

كل هذا لعب دورا فى زحف الاخطار المضادة للاسلام على افريقيا وفى بطء التقدم الاسلامى ·· اذ أن فاقد الشىء لا يستطيع أن يعطيه ·· وتقديم النموذج العلـــمى لا يقل عن الاستيعاب النظرى ·

وان واجبنا نحن المخلصين لقضية الاســـلام أن نناشد القيادات العربيـــة والاسلامية فى أن تتجه الى الاسلام داخليا وخارجيا · ففى ذلك ازدهارنا داخليـــا ، وتقديمنا النموذج الصالح الملائم لمبادىء لديننا خارجيا ··· وصدق القرآن :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنـــون باللــه » · (23)

---

(23) آل عمران 110 ·

- هذا طريقنا ...
- ورســالتنا ...
- ومستقبلنــا ...

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كــــره المشركــون » . (24)

ومن الله السداد والتوفيق . وهو نعم المولى ونعم النصير .

(24) الصف 9 .



منظر من القاعة

النقطة 3

الدور المفيد للمرأة فى مجتمع اليوم

د٠ شارل ل٠ جيدز

أستاذ ومدير المعهد الامريكى للدراسات
الاسلامية ، جامعة دنفر ـ كولورادو ـ
(الولايات المتحدة الامريكية)



ان الله بحكمته الخالدة قد آتى بالرجل والمرأة ليسكنا هذا العالم الجميل الذى كان قد خلقه ، كل منهما يسعى لتعمير هذا العالم بالسكان ٠ هذا بالاضافة الى رغبتـه بأن عليهما أن يتساندا روحيا ، وعاطفيا ، وجسمانيا ٠ يمكننا أن نقرأ عدة فقرات فى القرآن تنص على أن الله قد خلق الذكر والانثى متساويين بغض النظر عن الفروق فى الناحية الجسمانية وفى الطبع ٠ انه من الاهميـة بمكان وكمرجع رئيسى فى المجتمع المعاصر أن نذكر بالآية رقم 194 من سورة آل عمران : « فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكـم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ٠٠٠ » ٠

ولسوء الحظ ، قام الرجل بتجاوز احكام وارادة الله أو قام بتحريفها وقلب معناها الحقيقى ، ومن بين ذلك سعى الرجل الى اخضاع النساء لارادته ومن ثم وضعهن فى مرتبة اقل منه . وبهذا الصدد كان الرجل عادة ناجحا لانه اقوى من المرأة من الناحية الجسمانية والعاطفية ، الامر الذى حدا بالمرأة عبر العصور أن تبدى رغبتها فى ارضاء الرجـــل .

منذ عدة سنوات ، ودون علم وبخلفية دينية كتب الغربيون ما مفاده أن العقيدة الاسلامية وحدها هى المسؤولة عن الحط من قيمة المرأة فى العالم الاسلامى . انهـم قاموا بذلك متغاضين عن الحقيقة ، وهى أن المجتمع الغربى قام أيضا بمعاملة المرأة بصورة غير عادلة ونظر اليها نظرة بأنها أقل من الرجل ليس فقط من الناحية الجسمانية بل من الناحية العقلية والعاطفية .

فى القرن الثالث عشر ذكر احد الآباء فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بـأن مولد الانثى كان خطأ من الطبيعة وأن قدرتها العقلية أقل بكثير من تلك التى يتمتع بها الذكر . ورغم ان هذا لم يعد مذهبا للكنيسة الا أن هناك من يؤكد بحزم أن عقول النساء أقل قدرة من عقول الرجال . اننا غالبا ما نهزأ بالسائقات وذلك لكونهن نساء .

ان الدستور الاساسى للامة الجديدة الذى طبقته الولايات المتحدة الامريكية عـــام 1787 ، ذلك الدستور الذى يعتبر من اكثر الدساتير تحررا فى العالم فى ذلك الوقت، لم يسمح للمرأة لا بالتصويت ولا بفتح مكتب عام لها . وهذا العجز المنسوب للمرأة ، التى ساهمت ماديا فى الثورة وفى تأسيس الامة الجديدة ، لم ينسخ الا فى المادة رقم (19) من دستور عام 1920 ، أى بعد مرور 133 عام . هذان مثلان فقط من بين العديد من الامثلة التى وضعت النساء فى موضع اللامساواة فى المجتمع الغربى .

رغم العجز والانحطاط المفروض عليهن ، استطاع كثير من النساء عبر التاريـخ فى ثقافات ومجتمعات مختلفة فى الغرب والشرق ، التغلب على هذه العقبات والعمـل لتحسين أحوال الرجل ولتقدم المجتمعات التى عاشوا فيها .

فى هذه الفترة البسيطة لا يدور فى مخيلتى محاولة التحدث عن التطور التاريخى للحركات التحررية النسوية أو التنقيب عن جهادهن المعاصر لاكتساب المساواة بالرجل ، تلك المساواة التى وهبها الله لهن . اننى أود ان اقدم لكم فوائد كلا الطرفين الرجال والنساء ، تلك التى يجب أن يخلقها الموقف الاجتماعى الثابت الذى يسعون عادة من أجله ، كما أود فى نفس الوقت ان أشير الى بعض المشاكل التى أثيرت فى السنوات الاخيرة بسبب بعض الاعمال التعصبية لبعض حركات التحرر النسائية . هذه الامور الاخيرة ممكن ان تصلح كتحذير لتلك المجتمعات التى بامكان حفنة قليلة منها ان تدمرها أو تعرضها للهلاك . ان دراسة المرأة فى المجتمع والحركات التحررية النسائية أصبحت منذ وقت قريب فقط تكون جزءا هاما من العالم الاكاديمى والاجتماعى . هناك كتابان لهما أهمية خاصة صدرا باللغة الانجليزية حديثا ، يتحدثان عن دور النساء فى آسيا الجديدة قام بتحرير احد هذين الكتابين زميل سابق وصديق هو الدكتور جوليس ليبرا استاذ التاريخ بجامعة كولورادو ، وكان عنوان الكتاب هو **دور المرأة فى تغيير اليابان**.ان هذا الكتاب يشتمل على عدد من المقالات تدور حول دور المرأة فى مجتمع صناعى راق حيث تعتبر فيه النساء جزءا اساسيا من القوة العاملة . هذا بالاضافة الى أن مهاراتهن تعتبر الى حد بعيد السبب فى اعادة بناء اليابان بعد هزيمتها وتدميرها فى الحرب العالمية الثانية . وبعد خروجهن من الماضى ذى النزعة التقليدية ، والذى كانت المرأة فيه موضوعة فى منزلة أقل من الرجل ، نجدهن الآن مرغمات على اجتياز مرحلة صعبة جدا لبلوغ الثقافة التقنية المبنية على طراز غربى حيث منحن درجة معينة من المساواة والاحترام .

والكتاب الثانى قامت بتأليفه سيدة « عالمة » باكستانية ذات مقدرة عظيمة ، وهو تحت عنوان : **حالة المرأة فى العالم الاسلامى ، دراسة عن الحركات النسائية فى تركيا ، ومصر ، وايران ، والباكستان** ، من تاليف بارقين شوكت على . قامت الدكتورة على بالتدقيق فى وضع المرأة فى بلدان متشابهة اصلا فى الماضى الثقافى والتقاليد ومختلفة فى التصنيع وتحرر المرأة . وان هذه الدراسة ذات فائدة عظيمة لكثير من هؤلاء الذين يحضرون هذه الندوة . ومقابل هذين الكتابين ساقتصر فيما يلى على ابداء ملاحظاتى

بصورة موسعة تجاه الحركة النسوية فى الولايات المتحدة مشيرا الى النجاحات والاخطاء، التى فى استطاعة النساء فى العالم الاسلامى اتباعها أو تجنبها · ينتابنى شعـــور بضرورة القول بأنه رغم تحدثى كرجل ، فانا أتحدث كانسان يعتقد جازما بمساواة الرجل بالمرأة ، وكواحد قام بتعليم الطالبات فى مصر والولايات المتحدة وعمل جنبا الى جنب مع النساء واشاركهن فى مناسبات عديدة فى طباعة المواد العلمية ·

وبصورة عامة ، فى الماضى القريب وخاصة عند انتهاء الحرب العالمية الثانية كانت المرأة تحصل على المساواة فى التعليم ، وفرص العمل، والتعويض والمشاركة السياسية اثناء الحرب كان على البلدان المتطورة مباشرة فى الحرب ان تشغل عدة آلاف من النساء فى المعامل والمناجم وترسانات السفن ، بالاضافة الى حلولهن محل الرجال الذيـن أرسلوا إلى جبهات القتال · ان الافعال الماضية الغير عادية التى قام بها النساء كانت سببا فى ظهور أغانى اثناء الحرب تمجد الدور اللازم الذى أسند اليهن ، والعمـــل الباهر الذى كن يقمن به · وفى استطاعتى ان اتذكر جيدا احدى هذه الاغانى وهى : (روزة البجانة) ، اذ كانت تدور حول مساعدة المرأة فى بناء السفن البحريـــة فى الحقيقة كانت شقيقتى تعمل ككهربائية فى ترسانة سفن اثناء الحرب · اشتغال المرأة هذا فى الوظائف الخاصة بالرجال جسد حقيقة تساوى المرأة بالرجل فى عدة مجالات، اضف الى ذلك ان كثيرا من النساء لم يرغبن فى ترك العمل خارج المنزل · وتــرك الرواتب المرتفعة التى تدفع لهن عند انتهاء الحرب · كثير من الرجال وافقوا على قدرة المرأة للقيام بوظيفة الرجل الا انهم رفضوا قبول افتراض تقاضيها نفس راتب الرجل لنفس العمل · هذا الاعتقاد بالمساواة فى القدرة وعدم المساواة فى التعويض ما زال سائدا فى معظم الاقطار بما فيها الولايات المتحدة ·

هذا الاعتقاد نجم عنه كثير من الحقد ، ومن الممكن ان يكون هـذا احدى أسباب وجود حركات التحرز النسوى · فى عام 1975 قامت منظمة العمل الدولية فى المؤتمر العام للولايات المتحدة بتبنى قرار نهائى وتفصيلى حول مساواة النساء العاملات على المستويين ، تكافؤ الفرص والتعويض ·

وهذا الاعلان أكد ما سبقه من قرارات دولية تخول للنساء الحق فى تكافؤ الفرص ، والتعليم والتدريس ، والتوظيف ، والتأمين ، والتعويض ، الامر الذى حث كل الامم على تطبيقه • عام 1975 كان أيضا عام المرأة الدولى مع المؤتمر العالمى الذى عقد فى مكسيكو سيتى فى شهر جوان فى نفس العام • هذان الحدثان اضافا قوة دافعة للحركة النسوية من اجل تحقيق المساواة التى تستحقها المرأة • سن مؤتمر الامم المتحدة قانون تكافؤ الفرص فى العمل وذلك القانون الذى يمنع التميز فى التوظيف على أساس الجنس والعنصر ، واللون والدين والجنسية بالاضافة الى المساواة فى الاجر • كثير من الرجال والنساء يؤيدون وجود عبارة « قانون التساوى فى الحقوق » فى الدستور رغم عدم الحاجة الى ذلك •

لا يوجد مجال للشك بأن المرأة تستطيع أن تلعب دورا هاما فى العصر الحاضر ، كما لعبته فى الماضى ، وكما ستلعبه فى المستقبل • وهب الله النساء صفات معينة تميزهن عن الرجال وواضحة من اختلافاتهم العضوية : الرأفة ، والرقة ، وغريزة الامومة ، والخفة والرشاقة لعدد قليل • ونفس هذه الصفات هى التى تمكنهن من القيام بوظائف معينة اما أن تكون غير ملائمة للرجال أو صعبة عليهم • مثلا ، الرعاية الطبية لا تتطلب فقط المعرفة العلمية بالجسم ، وبالامراض وبالصيدلة بل أيضا تتطلب الرأفة والرقة لعلاج المرضى • المعرفة العلمية ممكن الحصول عليها لكلا الجنسين الا ان الرحمة تتبع من الداخل • وهذا هو احدى الاسباب التى تبين ملائمة المرأة للتمريض • ان غريزة الامومة ذات أهمية خاصة للرفاهية الاجتماعية • التصنيع الالكترونى الحديث ودقته يحتاج الى قدرات خاصة بالاضافة الى خفة اليد والاصابع فى عمليات الصناعة • نلاحظ ان أيدى الرجال كبيرة جدا واصابعهم غليظة بشكل لا يمكنهم من القيام بهذا النوع من العمل فى حين ان النساء بقدراتهن العضوية الخاصة يستطعن القيام بهذا العمل الصعب • اذن ، وجود النساء فى القوة العاملة ضرورى للقيام بتلك المهام التى لا تتلائم مع الرجال • هناك عدة مهام اخرى ومهن تتمكن المرأة ان تقوم بها كالرجل وذلك بسبب التكافؤ الداخلى العقلى مثل مهام القانون والتعليم

والمكتبات والصحافة والهندسة والسياسة الخ ٠٠٠ ان الرجال والنساء فى استطاعتهم مساعدة بعضهم البعض فى مهامهم كما يفعلون فى الحياة اليومية وذلك كما أراد الله ٠

المساواة فى ظل القانــون ، والمساواة فى التعليــم والتدريس ، والتوظيف والتعويض والمعاملة أمور لازمة وتستحق الثناء وذلك لكون الرجال والنساء متساوون أمام الله ٠ اما الكفاح من أجل المساواة ممكن ان يعود بالدمار على الانسان والمجتمع على حد سواء ٠ ان هناك ضغطا شديدا من جانب النساء للبحث عن وظائف خارج المنزل وذلك لاسباب مالية ونفسية وهذا الضغط يمارس فى امريكا وخارجها ٠ فاليوم 27 ٪ من القوة العاملة فى الولايات المتحدة هى من النساء ، وهذه النسبة فى ازدياد مستمــر ٠

هذه الرغبة والضغط من أجل المساواة جعل النساء يبحثن عن طريق يصبحن فيه ليس فقط متساويات بالرجال بل يفوقونهم ٠ ونتيجة لهذا كان لتحرر النساء تأثير هدام على نفس المجتمع الشديد الرغبة فى الرفع من شأن المرأة ٠ ان هناك محاولة جبارة لتخنث الذكر ولحرمان النساء من تلك الصفات التى كانت تميزهن عن الذكر ٠ كما انهن أصبحن أكثر استرجالا من الرجل فى اللبس والحديث والطباع ، وهن يحاولن ان يفرضن على الرجل لبسا نسويا ، بالاضافة الى وضع الروائح العطرية واطالة الشعر وما شابه ذلك ٠ والنتيجة هى ما يسمى بوحدة الجنسين ، بمعنى استئصال الاختلافات الخارجية التى تميز الذكر عن الانثى عندما تصبح النساء أكثر مقالاة وعدوانية فان هوة الخلاف تزداد بينهن وبين الرجال ، الامر الذى يعود بالهلاك على الجهتين ٠

بالعمل خارج المنزل ، وبمساواة الاجر ، وبالحاجة النفسية لكى يصبح الانسان « لذاته » ، بكل هذا لم يعد أغلب النساء راغب فى المحافظة على البيت لدرجة أن الاسرة كقوة اجتماعية أصبحت فى طريقها الى الانحلال ٠ وكنتيجة مباشرة لهذا أصبح الطلاق فى المجتمع الغربى يزداد بصورة عامة ، اذ نلاحظ ان نسبة الطلاق فى الولايات المتحدة هى واحد الى ثلاثة ، فى حين أن هذه النسبة ازدادت فى بعض الولايات بنسبة واحد الى اثنين ٠ فقد أصبح البيت المهدم فى الواقع أمرا طبيعيا ٠ هذان التطوران وهما

دمار وحدة العائلة ونسبة الطلاق المرتفعة يهزان كيان علماء النفس والاجتماع والزعماء الدينيين على مختلف طوائفهم ومعتقداتهم بسبب تأثير ذلك على الكبار المعنيين بالامر وعلى الاطفال . كلما ازداد خروج النساء من المنزل بسبب العمل أو الطلاق نجد أن الاطفال الذين حرموا من التوجيه الابوى ، يوضعون فى مراكز الرعاية اليومية الامر الذى يزيد من حرمانهم من العناية الابوية والتوجيه اللازمين لحياتهم . ونفس هذا الموقف قوبل فى البلدان الاشتراكية والرأسمالية المصنعة يذكر علماء النفس والاجتماع بأنه كان عليهم اثناء السنوات الماضية ان يعالجوا عددا متزايدا من الشباب المضطربين عاطفيا بالاضافة الى الاطفال ، الامر الذى جعلهم يتخوفون من المستقبل . الافراط فى تناول المخدرات والكحول وانتشار الجريمة كل هذا يعتبر نتيجة مباشرة لهذه الاعتبارات . زيادة على هذه الانحرافات فان العنف فى طريقه الى الازدياد . الجريمة ، والقتل ، والفسق ، والسرقة كل هذا انتشر دون حاجة ماسة . فالكهول متخوفون من الخروج من منازلهم حتى لو كانوا أصحاء .

هناك نتيجة أخرى تمخضت عنها الحركة « التحررية » وهى الانحلال الخلقى متمثلة فى الفجور المتعلق بالعلاقات الجنسية . انه لمن الطبيعى أن نرى شبابا يعيشون مع فتيات بصورة مكشوفة تماما خارج الرباط الزوجى ، الامر الذى نجم عنه نسبة مقلقة من الامراض التناسلية والاوبئة كان لها الاثر السىء على الكبار والصغار المولودين على أثر الزواج الغير شرعى .

فى الامكان ايجاد خط ثابت جدا يفصل المساواة « والتحرر » بالنسبة للمرأة ، واجتياز هذا الخط أمر سهل لكنه من الممكن ان يكون فى منتهى الخطورة للانسان والمجتمع ككل . النساء وحدهن فقط يستطعن الاختيار فيما اذا كن راغبات فى قبول المساواة لوحدها ام « التحرر » بدون أو بوجود المساواة ، ان المساواة تحمل فى طياتها مسؤوليات محددة جدا بالنسبة لهؤلاء الذين يبحثون عنها ولذلك المجتمع الذى يشجعها . ينبغى على الرجال القبول بقول الله ان الذكر والانثى متساوون وعلى النساء الاقرار بمسؤوليات المساواة ، تستطيع النساء بل ينبغى عليهن فى المجتمع الحاضر ان يلعبن الدور البناء الذى أهلته لهن صفاتهن وقدراتهن ، وان هذا الدور يجب ان يكون لتحسين احوال المجتمع وليس لتدميره .



بعض الملتقين على آثار سدراته
وترى فى المقدمة ثلاث من السيدات التركيات ، من اليسار الى اليمين :
د . آمال ايزين ، عضوة معهد البحوث الثقافية التركية ـ اسطنبول ، و ب . اريبوران ، **قاضية ونائبة بالمجلس سابقا** ، ورئيسة الجمعية الوطنية لقانون المرأة التركية ، و د . صائمة اينال الصاوى . استاذة الادب الفارسى **بجامعة أتاتورك** فى أرضروم .

نحن الساحرات

السيدة كزافيير ڤوتيي
كاتبة ـ باريس ـ (فرنسا)



للنساء قصة فى التاريخ بل ربما لهن أكثر من قصة تتمادى طوال العصور والاجيال دون أن نجد لها أثرا فيما يؤرخه الرجال ٠

واذا كانت أخبار النساء لا تشغل المكان الاول فى مسرح السياسة فان السبب فى ذلك واضح فالتاريخ الذى هو من صنع الذكور لم تكن دعائمه لتقوم لولا طرحهم فى زاوية الاهمال بكل ما هو نسوى ولولا أنهم استعبدوا الاناث واخفتوا نامتهن ونفوا الغانيات فى ظلمات البيوت وخبايا القلوب ٠

فهذا التاريخ اذن لم يتألف من دون ان يكون للنساء ضلع فى تاليفه ، فكان لا مناص من حضورهن فيه وهن المغيبات عنه ، وكان لابد للرجل أن يدوسهن ليسير ٠

قدما ، وكان من الضرورى أن يعتمد على عزائمهن المكبوحة وطاقاتهن المكبوتة ، وأن يتفيأ ظـــلالهن ويستوحى وصالهن ، ويشفى بدموعهن غليله ، ويستمتع بصورتهن الجميلة ، أجل كان لابد له من ذلك كله حتى يحصل على انتصاراته فى ساح الكفاح ٠

وهذه الظاهرة نفسها نستطيع أن نلحظها فى المجتمعات الطبقية ٠

ألم ترأن الذين بأيديهم المال والسلطان ينزعون الى استثمار جهود الشعب لكيما تتزايد أرباحهم الى ما لا نهاية ، ويشيدوا هذا التاريخ الذى ينعتونه بالرقى والتقدم ٠

ويقاس بذلك أيضا حال الدول الغربية فقد مر عليها حين من الدهر كانت مفتقرة لتسخير الطاقات الحيوية الكامنة فى الشعوب الاخرى التى أوقعتها فى ربقة الاستعمار.

ولكنما الدماء لم تقف عن المسيل فى شرايين الضحايا المسخرين للاستغلال أو الاستعمار ، فكانت تلك الدماء تتدفق تدفقها الخفى الخافت تحت أديم الثــرى أو فى دكنة الغابات أو تحت بشرة البشر ، أجل لقد كان الدم الدورى يجرى تحت جلابيب النســاء بلا فتــور ٠

هذا هو التاريخ الذى يهمنى أى تاريخ ما يجرى تحت أديم الحياة لا تاريخ الحكام والاسياد الذى أعتبره محاولة مكررة للقضاء على « الآخر » (l'autre) أى لاعــدام غيرنا والغاء جميع «الآخرين» ممن يختلفون عنا فى البشرة أو فى الجنس أو فى الدين أو فى المصلحـــة ٠

ومن بين عصور هذا التاريخ النسوى الباطن الذى مرت عليه قرون كلها كبت ومنع ونحس وتحريم ـ عدا بعض الفترات الخاطفة التى قدر فيها للمرأة أن تبرز ـ اخترت عصر الساحرات الذى يعد فجوة فى تاريخ القرون الوسطى بفرنسا ٠

وبعد فانى لن أقصر كلامى على ما يدعى (بالحقيقة التاريخية) أى حقيقة (تاريخهم) بالذات ، بل سأمزجه بحقائق أخرى كالخرافات mythe والتوهمات fantasme وعناصر من قصتى أنا وهى تطابق أحيانا حقيقة الكثيرات من النساء ٠

ومعنى ذلك أن الموضوعية ـ كما يقـولون ـ ستتخللها خيـوط مـن نفسانيتى كالطفولة والعلاقة بالماضى من حياتى مثلا ، وهذا هو الشأن فى كل خطاب فما من قول الا وهو ينم عن نفسانية قائله انها حقيقة ينبغى أن نجهر بها .

ثم ما الداعى الى اختيار هذا الموضوع أى موضوع الساحرات من جملة المواضيع المتعلقة بتاريخ النساء ؟ لماذا أتحدث عن الساحرات بينما نرى النساء والرجال وحتى الصبيان فى بلاد الغـــرب يتصورون الساحرة فى أغلب الاحيان وحتى الاولاد فى قصصهم السحرية يتصورونها منذ نعومة أظفارهم امرأة شوهاء وعجوزا شمطاء دابها الخبث والايذاء ثم تبقى هذه الصورة راسخة فى أذهانهم لا يعتريها تبديل .

أقول لماذا اخترت هذه الساحرة موضوعا والحال أننا نجد الصور والرسوم التى تمثلها عند الغربيين تبرزها لنا شعثاء غبراء ذات خرطوم مستطيل يلامس ذقنها فتارة تمتطى عصا مكنسة قذرة وهى تضحك ضحكة المكر والسخرية وتارة تغدو منـــذرة بالثبور وتقبل الشيطان من قفـــاه ؟

لماذا اخترت هذه العجوز الشمطاء مثالا عن المرأة ؟ أترانى شعرت بنفسى مشاركة لها فى تعاطى السحر ؟ لئن شعرت بشىء من ذلك فقد احسست أنه من الواجب أبطال تلك الصورة المصفحة stéréotype المناقضة للواقع على طول الخط ، تلك الصورة التى اصطنعها الرجال بحذق ومهارة لتشويه صنيع المرأة والنيل من قدرتها على الابداع .

كيف كانت الساحرات فى القرون الوسطى وكيف كانت حالتهن الحقيقية ؟

هناك بين الكتاب الفرنسيين رجل (ومع أنه رجل) فهم تلك الحالة فهما بديعا ألا وهو المؤرخ ميشلى Michelet

كن نساء يعشن وحيدات فى انفراد تام ، ولا أقول منعزلات كما هو شأن معظـم النساء فى العصر الحاضر ، وسبب وحدتهن أن أزواجهن ساروا الى ميادين الحرب التى يدير رحاها سيدهم أى مولاهم فقد كانوا عبيدا يستغلهم أهل السلطة والجاه ومـع ذلك فقد كانوا مشغوفين بهذه اللعبة لعبة الوقائع والغزوات والقتال لما يجدون فيها من تضامن وتواطىء بين الرفاق ومصارعة شديدة الوطء على الاعداء .

أما الغانيات فقد بقين وحيدات يهمن فى الاحلام وما الاحلام الا نصيب العبيد من الحرية كن يحلمن وكانت أحلامهن تزداد شدة وحدة الى أن صرن يجهرن بما يرين فكن يتكلمن ولكن من يخاطبن ؟ لا أحد من حولهن وانما حديثهن مع النباتات وأدواح الغابات وما يحوم حول أكواخهن من بهائم فيناجين الطبيعة لانها جارتهن القريبة والعجيبة فى آن واحد لما تحتويه من غرائب فهن أيضا كأزواجهن فى اشتباك وصراع ولكن صراعهن كان مع الارض والازهار والفصول والاقمار وحفيف الاوراق فى الاشجار وهكذا حصل لهن بالتدريج وعن طريق الاتصال اليومى بالكائنات الحية كثير من المعلومات ولا أقول كثير من المعارف وأصبحت لهن معلومات صحيحة - وان كانت تجريبية - عن جميع الاعشاب التى تبذر أو تنمو أو تزهر فى محيط أكواخهن فاطلعن على شتى الخصائص التى تمتاز بها هذه الاعشاب بالنسبة الى الجسم من حيث أنها متصلة به على الدوام فعرفن مزاياها فى جلب الشفاء أو النوم وميزن بين النافع منها والضار وبين الشافى والسام فأصبحن طبيبات الشعب أو بالاحرى متطبباته الشافيات .

أما الاطباء - وهم الذين تواطؤوا مع الرهبان فاصدروا حكم الاعدام عليهن بالاحراق فهم الفئة المنتهزة المستغلة للعلم ، فاذا كانت لهم معرفة تلقوها فى الجامعات فانها معرفة مفصولة عن وجودهم الجسدى تمام الانفصال بحيث لا يعالجون الاجساد الا من الخارج هذا بغض النظر عن سيطرتهم على المريض وتسلطهم وتآمرهم عليه فأنا عندما أزور الطبيب ليفحصنى أراه لا يبالى بما يجرى فى داخل جسمى ، ولا يكترث بما أشعره ولا يهمه ما أعيشه فالحقيقة فى نظره هى ما تلقاه فى الكتب .

أما الساحرات فانهن على النقيض من ذلك انهن غير منقطعات الاسباب عن أجسامهن ولا أجسام غيرهن ولا عن التوازن الموجود بين القوى الحيوية فى هذه الطبيعة لا بل يعشن فى وحدة روحية مع الواقع ولسن بالمترددات ازاء اتخاذ مسؤولياتهن بل يخلصن الى أقصى مدى الاخلاص فى جميع ما يصنعنه لفائدة المريض .

يضاف الى ذلك أنهن يعرفن بحكم أنوثتهن ما معنى الحمل وما معنى الوضع (وفى ذلك العهد كان عدد السحرة الذكور ضئيلا جدا) .

كن فى بداءة الامر قوابل يسعفن النساء على الولادة وكن يعلمن أن المرأة الحامل هى التى تستطيع دون غيرها أن تقرر هل ترغب أن يكون لها ولد فالساحرات اذن يعرفن جميع النباتات المجهضة التى بها يستطعن تخليص الحامل مما لا رغبة لها فيه ٠

وناهيك بالاطباء فهم نخبة تقنية صغيرة تتألف من أخصائيين حبسوا عن الشعب هذه الطاقات الحيوية التى كانت تسرى بفضل النساء ، ثم استولوا على المقاليد بقهر القوات الحرة والجامها حتى آل الى أيديهم الامر بالموت أو بالحياة ٠

لا مخلوق فى الدنيا أدرى من المرأة بمعرفة الحمل والتحدث عنه والشهادة به ٠ هذا ما يتبادر الى العقل المنطقى لكن الرجل تمكن من وضع يد حيازته على أبعد الاشياء عنه بواسطة الطب والعبارة العلمية وذلك من جملة محاولاته الواسعة التى ترمى الى الاستيلاء على الطاقات الحية الكامنة فى المرأة ٠

والا فماذا يعرف الرجل عن انتفاخ البطن وعن مبادلة الغذاء والهواء والخفقان والرى الدموى وعن مساجلة الاصوات والحركات بين الام والجنين ؟ ماذا يعرف الرجل عن تلك المتعة الخفية أو عن تلك الكراهية الغامضة أو عن ذلك التغير الكلى الذى يغزو الشعور بالتواتر الزمنى كما يغزو المنام والاحلام وشكل الهندام وشهية الطعام وحاسة الاشتمام لدى المرأة الحامل ؟ ماذا يعرف الرجل عن تلك المغامرة التى تمزق الاحشاء والتى لا نظير لها فى الدنيا ولا شىء فى نظام المجتمع معلن عن وقوعها ؟ انه لا يعلم شيئا الا ما لقنه اياه حسده وما علمته غيرته حتى صار ينفس على المرأة هذه الطاقة طاقة اعطاء الحياة ثم على الرغم من ذلك نجده هنا أيضا يستأثر بهذه الطاقة لنفسه ويسخرها لقوته دون عرسه بعد أن حملت بالولد وكونته ثم جاء يفرض طابع ملكيته عليه ويسميه باسمه (هو) ، كما فرض من قبل اسمه على زوجته (هو) شأنه فى ذلك شأن مدير المصنع يطبع ما ينتجه عماله بطابعه (هو) ٠

وأى شىء نجا من سطو الرجل ؟ حتى الرضاع ، هذا التبادل الجسمى الشهى الذى يعتبر امتدادا لما كان بين الجنين وأمه ، وهذه الدفقة من اللبن السائح التى تنساب من الثدى الممتلىء الى الفم المرتشف ، ثم الى الحلقوم الظامى ثم الى بطن الرضيع ، كل

هذه الحركات التى نسميها الرضاع كادت تندثر فى البلدان التى تدعى أنها متحضرة لان الرجل وما له من وسائل للاشهار يقف للسهر على الصورة الجنسية المثلى عـــن جاذبية الانثى ولان الطبيب والعلم يقفان صارخين : « حذار ··· هناك جراثيم ··· الطبيعة ملوثة ·· ثدى المرأة ملوث ·· الجراثيم ·· ثم الجراثيم ·· ثم الجراثيم » ، ومن الذى يغذى الرضيع اليوم ؟ الصيادلة وأرباب المصانع والتجار والصناع الذين يصنعون أو يبيعون المسحوقات المعقمة والاوعية الصغيرة التى تنمى الذكاء ·

وحتى فيما يلى من الزمن أى عندما يكبر الاولاد ويترعرعون فان الرجال هم الذين يعتبرون طهاة عظماء ورؤساء فى فن الطهى بينما المرأة هى التى نراها فى معظـــم الاحوال تطبخ لكافة أعضاء الاسرة ، لا شك أن النساء لا يهمهن ان يحشرن فى زمرة العظماء والرؤساء من الطهاة ولا يعنيهن هذا المجد التجارى الرخيص ولا يرغبن الانخراط فى نظام يوزع المداليات والالقاب والدرجات ·

لكن الرجل اذ يزاحمهن فى هذا المضمار فانما غايته التحقير والغض من قيمـــة شغلهن اليومي ، وقد تجد المرأة لذة فى هذا العمل حيث تعد العجين وتحوز المواد وتغذى أسرتها الحبيبة لكن هذه المهمة معترف بها قانونا من حيث أنها شغل وصاحبتها ليست مأجورة عليها ، بيد أن هذا العمل شبيه بدبيب النمل الدائب هو الذى يقيم أود الرجل العامل ويرجع له قواه ويجعله قادرا على مواصلة الكد وبذلك يتسنى لمستخدمه أن يواصل بدوره استغلال جهود العمال ·

هذا هو الجانب الثانى من نبذ الرجل لكل ما هو نسوى ، فالاشياء التى لا سبيل الى الظفر بها أو حجزها ووضع اليد عليها يدعها للمرأة ولكن بعد النيل من شأنهـا واحتقارها وازدرائها ، وهاتان الطريقتان هما الاسلوبان اللذان يتخذهما الرجل فى امتناعه من الاعتراف بالجنس الآخر أى بالجنس المغاير لجنسه ·

وبهذا الصدد أكتفى بدليل واحد وهو ما ورد فى عدة حضارات عن نجاسة دم الحيض ·

ان الرجل يرى أن هذا الدم كدر بل كلم وسقم فهو يشمئز منه ويكرهه ويجتهد في طمس أثره والغاء وجوده كما يتجلى ذلك في اعلانات دور الاشهار التي تستعمل في حقه هذه العبارة (كأن شيئا منه لم يكن) ولكننا اليوم نلفى النساء اللائى طالما كتمن هذه الظاهرة المحرمة في خبايا النفوس طفقن يتحملن الدم الجارى كنشاط جسدى منسجم مع الطبيعة والايقاع الزمنى في هذا الوجود .

فهن من هذه الناحية ومن عدة نواح أخرى شبيهات بتلك الساحرات اللائى كن منسجمات مع الايقاع الزمنى في أجسادهن طوال الايام والليالى والفصول والشهور القمرية .

واذا قلت عن نساء اليوم انهن ساحرات فلانهن طفقن يسترجعن ما هو ملك لهن لا لحجزه وتحجيره ولكن لنفخ الحياة فيه وتوفيره .

أجل انهن بدأن يستعدن ما ضاع من قواهن الموءودة وطاقاتهن المجحودة وعزائمهن المحجوزة انهن شرعن في اعداد عدة جديدة لا يردن من ورائها الاعتداء على الرجال ولا يبتغين بها اخصاءهم وانما ينوين اقصاءهم عن التقمص بشخصية السيد الآمر الناهي والمتجبر الطاغي .

واذا كانت الساحرات واذا كانت النساء انطلقن في الغناء والرقص ايذانا بسعادة أجسادهن .. تلك السعادة التي استرجعنها شيئا فشيئا بفضل جهودهن ، فانهن يذلك يقوضن دعائم نوع من المجتمع في نوع من أنواع سيرته فهن اذن خطر على ذلك النوع من سيرة المجتمع ولسن خطرا على الرجال .

بل الامر على النقيض من ذلك فسيشعر الرجال آنذاك أنهم تخلصوا من دور كانوا في ربقته رهائن .

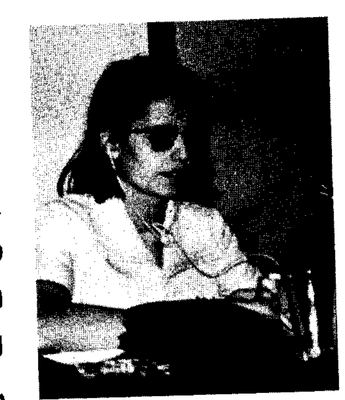


منظر آخر من زيارة آثار سدراته ، ويرى فى الصف الاول (فى الوسط بالنظارة) د . عبد الكريم سايتوح ، استاذ الاقتصاد بجامعة طوكيو .

ماذا تريد النساء إذن ؟

السيدة فرانس كيرى
كاتبة ـ باريس ـ (فرنسا)

اعترفوا معى بأن الرجال غريب أمرهم ، فهم امـام الاقوى ، قادرون على اظهار شجاعة خارقة ولو أدت بهم الى الموت • ان شعبا عظيما ، وقد أسر منه الكثير وعذبوا واستعبدوا وأهينوا قد عرف كيف ينهض تحت بصر من كانوا يسيطرون عليه • لكن هذه الشجاعة أو هذا النبل يتطاير أمام الاضعف • فتراهم قساة جائرين ، غــير واعين بدورهم • اننا لنذكر كلمة لينين فى آخر حياتـه اذ قال : « اننى ما رأيت قط ثورة لم تكن أداة لانتصاب الرجعية » فالرجل أمال الشهم أمام الاقوياء ، يتحول الى رجل دنىء أمام الضعفاء •



ان المقاومة التى يواجه بها الرجال احتجاج النساء لتوضح ما أقول ومع ذلـك فقد كان من واجبهم أن تكون نظرتهم الى هذا الاحتجاج نظرة احترام فهو موجود فى

كل بلدان العالم أيا كانت الانظمة والعادات فيها وهو يندرج ضمن حركة التحرير الكبرى التى بدأت بثورة الفقراء ، واستمرت فى غضب الشعـــوب المستعمـــرة ، وتجسدت حاليا فى تحرر النساء ٠

لكن الرجال يقابلون هذه الظاهرة العالمية بتخوف ليس أقل عالمية ٠ فهم مـــن القطب الشمالى الى أرض النار يختلفون فى كل شىء اللهم الا فى السهولة التى يجب أن يبقوا بها النساء تحت الوصاية ٠ واذا ما تعرضوا لهذا الموضوع فى مباحثاتهم الدولية فان مصالحهم ـ وصدقونى ـ لن تدخل فى نزاع ـ انهم يقضون وقتهم فى تبادل التهانى والغمزات ٠

لكن لنعد الى حركة النساء ، انها حلقــة فى سلسلة الحركات الثورية التاريخية الكبــرى التى دفعــت بالاجناس والشعوب والرجال الى التخلص من حالــة الدونية والهوان التى وضعوا فيها ٠ لكن المرأة خلافا للصراعات السابقة لا تستعمل العنــف العسكرى ولا العصيان المدنى ، انها تكره الاعتداء وتمقت الاضراب ٠ فهى تتحدث ، وتكتب ، وتلجا الى هذا الاقناع اللطيف ، وتحاول كسب معارك دون ان تتسبب فى قتلى أو ضحايا ٠ والرأى العام الذى أزعجه هذا الصخب يصيخ السمع الى شكاويها ٠ لكن ماذا يريد النساء بالضبط ؟

انى سأميز بين ثلاثة من أنواع المطالب :

ـ المســاواة المهنيــة ٠

ـ الكرامة الزوجية أو المنزلية ٠

ـ التحــول الحضــارى ٠

1 ـ المســاواة المهنيــة

1 ـ 1 كســب القــوانين :

انها لفكرة ذائعــة تلك التى تــرى بأن ليس للنساء استدلال يضاهى استــدلال الرجال ، وبأنهن غير صالحات للاعمال التى تعتمد على الذهن والفكر ٠ وحماقتهن التى

كشفت عنها جزئية تشريعية يدعو الى الاسف (100 غرام فى وزن مخهن) كان عامل بسيط للعزائم فى أمر تعليمهن مدة قرون • وقد برهن الجهل على حماقتهن ، فالـذكاء مثل العضلات يضعف بدون الاستخدام أنظروا كيف تصدق الاحكام المسبقة •

لقد كانت معركة المرأة الاولى اذن لفائدة التعليم وليس هذا بالامر القديم ، وانما يعود الى قرابة عام وكانت المعركة قاسية • فكم من فتاة واجهت بقوة عداوة ذويها ، وتغلبت على ضغوط اجتماعية قاسية ! وكم فتـــاة شنعت عليها عائلتها وطردتها أو حجبتها فى البيت • اننا لا نذكر دونما تأثر جداتنا الشجاعات •

وهذه المعركة قد انتهت تقريبا فى الغرب على الاقل فاصبح للبنات الحق فى نفس المواد والتخصصات التى للبنين • وأضحى الطريق مفتوحا أمامهن لنيل نفس الشهادات التى ينالها الذكور • ويبدو أن هؤلاء لم يستفيدوا مما حبتهم به الطبيعة من رجحـان فى وزن أدمغتهم • فليس معدل نجاحهم بالذى يفوق معدل نجاح البنات وأمام هـذه النتائج المذهلة رضى آباؤنا بمنح البنات حق التصويت وقابلية الترشيح للانتخابات • وبعض مناصب المسؤولية • وهكذا يمكن القول أن المعركة قد كسبت تقريبا مـــن حيث المبـادىء •

1 ـ 2 انتـزاع حـق الانتفـاع :

لكن الامور لا تسير بنفس السرعة ـ للاسف ـ على صعيد التطبيق والممارسـة الفعلية فالمجتمع عنيد • اذ مع تساوى المؤهلات لا تجد المرأة نفسها الا فى وضعيـــة جائرة تتمثل فى أعمال أكثر رتابة ، وسلطات أقل ، وأجر أدنى ويبرر هذا العنـف بعلة انصراف المرأة الى مهامها العائلية التى تشغلها عـن مهنتها • لكـن هذا المجتمع نفسه عرف كيف يتلاءم مع الالتزامات العسكرية المفروضة على الشباب وهى هائلـة فى بعض الاحيان ، أو العطل والاجازات المدفوعة الاجر التى تمنح للعمال ، (والتى لم تؤد بالمؤسسات الى الافلاس كما كان يخشى ذلك فى عام 1936) • واذن لماذا لا يبذل المجتمع هذا المجهود الاضافى من أجل النساء ؟ تلك هى اليوم مهمة النزعة النسوية ، والتى يجب ان لا تتمثل فى المطالبة بالحقوق الجوهرية بل فى وضع حد لهذا العـدد

الذى لا يحصى من التجاوزات والمظالم المبررة بقدر أو بآخر · وهذا يتطلب طاقة من حديد ، ولقد كنت معجبة قبل حين بشجاعة جداتنا ، لكن انظروا الى بسالة حفيداتهن التى يتعين عليهن ان يهزمن عقلية من الاحتقار قديمة قدم العالم !

2 ـ الكرامة المنزلية :

2 ـ 1 تقاسم المهام :

وحين تتحصل النساء على كل هذا سيواجهن حياة شاقة ذلك لان معظمهن يعشن فى بيت يتعلقن به ، ومهما تقل النزعة النسوية التقليدية ، فان النساء سيشعرن بنقص اذا لم يقمن فيه بهبة الحياة فولوج النساء باب الحياة العامة لا يطفىء أبدا ظمأهن القديم وعليهن ان يلائمن من الآن فصاعدا بين المطلبين · ومهما قيل ، فانهما متساوقان اذا توفر القدر الكافى من الارادة الحسنة ·

وهذا يفترض أولا تقاسم المهام المادية والتربوية فمن العار أن ينتظر المرأة التى تشتغل اليوم كله خارج البيت يوم ثان من الشغل مساء فى بيتها وحتى اذا لم تكن عاملة فانها لا تستغنى عن مساعدة زوجها · لقد كانت الاسر واسعة من حيث العدد فى الماضى ، وكانت المهام فيها موزعة ، ومن المستحيل اليوم وقد انحصر مجالها فى الوالدين والابناء ان تضطلع المرأة وحدها بكل أعباء البيت ·

ولننظر الى الاطفال · فان التربية التى يمنحها الاب والام كلاهما فى آن واحد هى بالضرورة تربية أكمل وأكثر توازنا · ولم تبرز نظريات « فرويد » الى الوجود الا حين باتت القرابة فى القرن 19 غير متساوية حيث كانت الام منهمكة فى تربية الابناء ، وكان الاب يستغرقه العمل فى المؤسسة وحينئذ أمكن التحدث عن « عقده أو ديب » حيث يتلهف الابن الى الانتقام من لا مبالاة الاب ، وعن « **عقدة الخصاء** » حيث يشعر بأن الاهانة التى تعانيها الام فى منصب الخادمة الخاملة هذا هى بمثابة بتر حقيقى ، ومن بديهيات السيكولوجيا المعاصرة اليوم ان الطفل بحاجة الى بناء عائلى سلم يكون فيه الاب والام معا ·

2 ـ 2 تقاسم الحب :

غير أنه لا يكفي ان تجد المرأة مساعدة في انجاز مهامها · فمن الواجب أن تتوفر كذلك مساعى الود المتبادل فلم يعد من المناسب أن يظهر الزوج هذا الاحتقار القديم الذى من شأنه ان يجعل تقاسم الاعمال أمرا مستحيلا أو غير لائق وأود ان أقول كلمة عن الحب الزوجى · لماذا يفشل كثير من الازواج ويكفون سريعا عن التحاب ؟ ذلك لان علاقاتهم تقتصر فى معظم الحالات على علاقة بين المسيطر والمسيطر عليه · فالرجل يأمر ، والمرأة تطيع ، لكن ما من شيء هو أكثر تعويضا من سلطة مجمدة بل انظروا ، ان المرأة تجذبها الحياة العائلية فهى تحلم ببناء بيت لكن كم هى الحالات التى تظل فيها هذه الوظيفة حرة وسعيدة ؟ فنحن غالبا ما نشاهد هذا المخلوق الحر يتحول الى عبد ، وهذه الوظيفة تستحيل الى عبودية ، وهذه التلقائية تؤول الى يأس وقنوط وعلى من يقع الذنب ؟

وليدوم الحب ، (وأنا مؤكدة لكم امكان دوامه مهما عاند المعاندون) ، لابد له من تبادل صارم ، فهذه المبادلة هى وحدها الكفيلة بانقاذ الحرية · أنت تخدمنى وأنا أخدمك · أنت تحبنى وأنا أحبك. فالعاطفة الخصبة والمغذية يجب ان تنمى العاطفة الاخرى وينبغى الا تكون هذه العاطفة غيورة أو ذات نزعة تملكية · فمثل هذه العاطفة خانقة فى الواقع وقتالة ، ثم هى هالكة بدورها على حين تعتقد المحافظة والصيانة أن الحب الحقيقى مؤسس للحرية · وعليه ألا يخشى الحرية اذن لانها منقذة له · ان الكائن الحر هو الكائن القادر على التفكير والعمل والشعور على مقتضى متطلبات حياته الداخلية . انه الكائن الذى يمضى فى استكمال ذاته أى فى التحول وفى ان يكون كل يوم خلقا آخر · ان هذه الجدة الدائمة لامر جذاب وفتان فهى ترعى اعجاب الحب وتقنعه بأنه ليس الا فى بدايته ، وأنه لا يفتأ يكشف عن وعوده الاولى ·

ان بربريا كبيرا فى القرن الرابع الميلادى ، وهو المعروف « بالقديس أوغيستان » قد شعر بصدمة ونقص · لان كلمة الحب تستخدم للدلالة على الشعور الذى يحمله المرء ازاء شخص يعزه ، وللدلالة على المتعة التى يجدها المرء فى أكل الحيوان المصيد فأنا أحب أبى ، وأحب الارنب البرى ، واللغة اللاتينية تستعمل للتعبير عن هذا الحب

نفس الفعل • وأنا معترفة بأن اللغة الفرنسية تنحو هذا النحو • يا لحماقة اللغة !
نفس الكلمة تستعمل للدلالة على الحياة وعلى التدمير • أيكون هذا ممكنا ؟ لكن لنعد
الى شباب عصرنا ، ما الحب الذى يريدون أن يحملوه لزوجهم ؟ افيحبونها حب الشخص
للشخص أم حب الشخص للارنب البرى ؟ اتراهم يحبونها من أجل الحياة أم من أجل
الموت ؟

3 ـ حضارة مختلفة :

ان المرأة بخوضها هذه المعركة المزدوجة فى الخارج وفى الداخل لا تحارب من
أجلها فقط • فمن وراء ما تنشده من تغلب على اضطهاد واستعادة الكرامة انما تستشف
مشروعا أعظم وأكثر طموحا • انما تتطلع الى وجه آخر من وجوه الحضارة • فالمكتسبات
الشخصية المعددة آنفا لا تغمرها نعيما • انها ستظل مضطهدة ما لم يعد النظر فى
طريقة حياتنا ، وفى ثقافتنا ، وعاجلا لا آجلا •

3 ـ 1 تطلع الى السلام :

لقد استبعدت النساء فى كل مكان وزمان عن النشاطات الحربية ولا يرضى أصحاب
النزعة النسوية أن يعزى الى النساء جوهر خاص بهن •

(فهذا الامر قد خدعنا وغشنا) ، ولتسامحنى هذه النزعة اذا أكدت هذه الحقيقة
البديهية : وهى أن المرأة على عكس الرجال ، أو على الاقل عدد منهم ، تشعر بهول
فضيع جدا ازاء الحرب • وقد ظلت متألمة طيلة قرون ، وصامتة لا تحير كلاما أمام ويلات
الحرب • والمرأة الاولى التى صدرت عنها صرخة فى تاريخنا الغربى انما كان من أجل
التشنيع ـ بقلم أرسطوفان ـ بقاتلة الابن والزوج ومن أجل الاحتجاج على العنف
صرخت « آنتيغون » فى مأساة « سوفوكل » تقول : « اننى ما جئت لاقاسمكم الحقد ،
لاشاطركم الحب » •

وقد ظلت أنة النساء صماء طيلة قرون ، ولم تكد صدمتهن تجد صوتا يعبر عنها •
افيكون من قبيل المبالغة فى الرجاء أن نستشف فى هذا الموضوع ذاته تغيرا ما ؟ لقد
اضحت هذه الصدمة صدمة عامة مفضوحة وأخذت أخيرا شكل قوة سياسية ، ومن
يدرى فلعل أن تكون نساء فى ايرلندة بصدد احلال السلام فى هذا البلد • فهن لم

يكملن السلاح • وقد التقين وتعانقن ، وشاركن سويا فى استعراض ، وأصبح تعانقهن مما يدفع اذرع أزواجهن الى التردد ...

اننى لا أدعى أن المرأة ملاك « من حيث اللطافة » والدماثة • فمن منا لا يعرف من بين النساء امرأة مخيفة ؟ ومن منا لا يعرف منهن متنمرات ؟ وانما أزعم أنه قلما نجد فيهن من تتحمل تدمير الحياة . فلا جسمهن ولا عقلهن باللذين أعدا لهذا الامر . ولننصت الى اللواتى يتحدثن منهن اليوم • فهن لا ينكرن ، فى بلاهة ، وجود النزاعات ، وانما يرين امكان تسويتها بطرق أخرى • وبأنه يجب وضع حد لمثل هذه المخلفات البالية والممسوخة من القتل والاغتيال •

وهذا التقليد القديم اذا ما ساعدته معدات وأدوات من أحدث طراز قد يقود العالم بالفعل الى نهايته المحتومة •

3 ـ 2 التطلع الى سياسة جديدة :

ان المرأة لتمقت الحرب من أعماقها • وأضيف بأن السياسة لا تجتذبها كثيرا على الصورة التى نمارسها بها عادة على الاقل • وربما ادخشت أصحاب النزعة النسوية ، لكننى ألاحظ أن للنساء اليوم حقوقا لا يستغللنها اطلاقا • وقد يكون من المستعجل القول بأن السبب فى ذلك يرجع الى ضغط من الذكور ربما كان أقوى من هذه الحقوق • ما فتىء عدد النائبات الفرنسيات فى المجلس الوطنى يتضاءل منذ عام 1945 • فقد كن ثلاثا وثلا ثين في سنة 1944 • ولم يبق منهن اليوم الا تسع نائبات يلزمن الصمت . ما السر فى عدم الاهتمام هذا ؟ حقا ان الرجال يتسببون فيه • لكن المسؤولية فى ذلك تقع على النساء أيضا • وليس لى من الوقت هنا ما يسعنى لمحاولة اعطاء تفسير • ولنبادر الى القول بأن سياسة الرجال غالبا ما تشبه ألاعيب بلاغية حول مصالح محدودة رديئة (تخوفات صغيرة من التغير ، مخاصمات كبيرة حزبية وشخصية) •

وان هذا النفاق من التحذلق الخطابى وعقمه يبعدانهن • وهذا يعين اخلاصهن وميلهن الى الفعالية • وهذا يجعل تدخلاتهن فى الحياة السياسية خلال حقب التاريخ تدخلات قصيرة وخاطفة فى آن واحد ، **فهن يوقفن الهدير المستمر لصغار الانانيين ء**

ويبعث الافكار المنسية من جديد : « انتيغون » ، « الحب » ، « جان دارك » ، « الوطن » وماذا نقول فى المعارك التى تخوضها اليـوم فى سبيل قضيتنا أمثـال « قـايس » ، « بوفوار » ، « حاليمى » ، أو « فاى » • ذلك لان المرأة تظل مرتبطة بكل حواسهـا بمتطلبات الحياة الاساسية • وبهذا العنوان هى موهوبة للتسامى • وهذا على ما يبدو ـ هو السبب فى كونها غالبا ما فنعـت حتى الآن وضد مصلحتها الخاصة ببيتها أو بمعتقداتها الدينية التى تمدها باجابات أكثر مباشرة لتطلعاتها •

ومع ذلك يعلم الله (والازواج كذلك) أنها حتى فى هذا المجال عوملت بقساوة •

3 ـ 3 فن من المبادلة فى التعامل :

لم تكن الديانة المسيحية (وأنا أقتصر عليها لمعرفتى الجيدة بها) لطيفة حيـال النساء ومع ذلك فهن لا يحملن أى ضغينة لها • واذا كانت الكنيسة قد دأبت على هذه القساوة ، فانما على البيت كذلك • فيما اظن الى تواهن ومثل هذه الملاحظة صادقة على البيت كذلك • واستغربوا هذه المفارقة • المرأة تحب تلقائيا بيتها وزوجها وابناءها وكان من الواجب أن يكون هذا فى صالح الجميع • لكن ليس الامر بمثل هذه السهولة فهنا أيضا يرتاب الرجل من السعادة الانثوية ، ومن القوة الانثوية فهو يخشى منافسة النساء فى الداخل كما كان يخشاها فى الخـارج • فهـو لا يريدها حـرة قوية لا هنا ولا هناك • انه يفضلها مستسلمة وحاضرة فى كل مكان كما لو كانت غائبة • وبذلك يكون له السلطان وحده •

هذا الذى يجعل مخاصمة النساء الكبرى لا تبدو لى ـ خلافا لما يقال فى غـالب الاحيان ـ مقتصرة على محاولة هروب من البيت واندماج فى الحياة العامة • فليس هذا الا جانب من جوانب كفاحها • فهن ، على الاجمال ، انما يسعين الى التحرر لكن فى البيت وخارج البيت معا •

يجب أن يعاد النظر فى العلاقة بين الرجل والمرأة فى الحياة الخاصة وفى الحيـاة العامة • ومن الواجب أن تتغير العادات والاخلاق وكذا القانون فى مجتمعاتنا الحديثة • ولا ينبغى للتنافس وازاحة الخصم أن يحكما فى علاقات الافراد فيما بينهم ، بـل

التضامن ، والصداقة ومرونة العلاقات الانسانية · وفى هذا الاصلاح الواسع تحتل العلاقة بين الرجل والمرأة حيزا أساسيا · فهى بداية كل شىء وانى لاكرر بأن أى أمة تتغاضى عن الظلم المنزلى ستكون أبدا عاجزة عن اقرار العدل السياسى وستعيش فى عنف كامن ومدار · وستعود أبناءها على النظر الى هذا العنف كما لو كان ضربا من المشروعية · فالديمقراطية تستقر أولا وقبل كل شىء فى البيت حين يكون الرجل والمرأة متحدين ، ومتحدين فى رفق ، ضمن احترام وتفانى كل منهما فى خدمة الآخر · والديمقراطية تبدأ بالتعامل المتبادل بين الزوج والزوجة ·

ولا يتخيلن أحد ان هذا يتطلب من الرجال تضحيات جساما بل عليهم أن يتصوروا ذلك الثراء الخارق الذى ينتظرهم : فهم يخسرون شيئا · ولكنهم يكسبون موضوعا · لقد كانوا يملكون شيئا ماديا ، وهم يملكون الآن كائنا حيا · هذا ما يريده النساء · فعلى كل واحد منا أيا كان ، وأى كان أن يكون له ميل الى منح الحياة للغير بدلا من سحقه · وما من أحد فى العالم هو حى بالقدر الكافى · بدءا منا نحن أنفسنا · علينا أن نمنح الحرية والبهجة ، والفكر وسنرى أننا انما خلقنا بذلك حريتنا وبهجتنا وفكرنا بموجب مبادلة تعامل قد مارست النسوة على الدوام تجربتها الصامتة · فنحن كلنا ازاء بعضنا البعض بمثابة صناع اننا نصنع بعضنا البعض · نكون جمادا فى البداية ثم نغدو أحياء مثلنا فى ذلك مثل النحات الذى يبدع من المادة التى لا شكل لها حركة جسم مرنة ·

وفى هذا الافق نلغى السياسة أشبه ما تكون بعمل الفن ·



في قرية سيدي سليمان الاشتراكية :
ويرى في الوسط السيد سالم ولد سالم السالك ، الوزير الصحراوي للاخبار .

ما أعطاه الإسلام للمرأة كافٍ وكفيل بأن يجنبنا التجارب والنكسات

السيد محمد الصادق بسيس
أستاذ بالكلية الزيتونية للشريعة
وأصول الدين (تونس)



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلاة وسلاما على محمد وآله وصحبه وسلم

قال الله تبارك وتعالى : يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ، وانزلنا اليكم نورا مبينا ، فاما الذين أمنوا بالله ، واعتصموا به ، فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ، ويهديهم اليه صراطا مستقيما •

ويقول : افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى ، امن يمشى سويا على صراط مستقيم ؟

سيادة الوزير المحترم ،

أيها الزملاء ، أيها الابناء الطلاب والطالبات ،

أنتم تعلمون ان مشكلة كيف يكون موقف العالم الاسلامى من الحضارية المعاصرة طرحت بشكل ملح فى أواسط القرن التاسع عشر ، حين اتصل بها العالم الاسلامى بواسطة ضجيج مدافع الاستعمار ، وصهيل خيوله •

وحين بدأ جنين النهضة يتحرك متفاعلا مع رجة الاتصال بين العقليتين : الشرقية والغـــربية ٠

وقد تصدى لذلك التحدى الكبير بعد توفر أسبابه ومعطياته لدى الشعوب الاسلامية المغلوبة والتى ضربت عليها الذلة والمسكنة من عهود الاستبداد والاستعمار انه المصلح الاسلامى جمال الدين الافغانى ، بدعوته الاصـــلاحية التى استقطبت هذه المبادىء والعنـاصـر ٠

ايقاظ العالم الاسلامى من رقدته، ومقاومة الاستعمار أنى كان واخضاع امرائه الى ارادة الشعوب بالحكم الشورى العادل، وتمكنه من وسائل روحية دفاعية لحماية وجوده الهزيل أمام أهوال الاستعمار المادية والفكرية ، ودعوته الى تعميق الفهم للقيم التشريعية والروحية ولم الجمع المتفرق المبعثر بالوحدة الاسلامية ، والتوفيق بين جوهر الحضارة ، وتعـاليم الاســلام ٠

وأنتم ترون ان هذه الاقطاب كانت مـــلائمة لــروح ذلك العصر ورائمة حصانة المشخصات القومية من التيار الاستعمارى المهدد لها بالزوال ، لانها تجمع بين الأصالة والتحديث أو بين الصالح من التراث ، والصالح من المدينة ، ولكن نزعته الاصلاحية كانت دفاعية ، لا تخطيطية منهجية حسبما يقتضيه زمانه ، وواقع العالم الاســلامى عصرئـذ ٠

فهو لا يريد قطع الصلة الوثقى بين المجتمع الاسلامى ، وجذوره الحضارية كوسيلة معاوية للدفاع عنها تجاه الغزو الاستعمارى ، واستمرت مبادىء ذلك الاصلاح ماثلـة معالمها فى الحركات الاصلاحية الاسلامية التى قامت فى بعض الاقطـــار الاسلامية ، وتجلت بشكل علمى فعال فى حركة جمعية العلماء هنا فى الجزائر بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله ٠

ولا ننسى مع مضى الزمان ، وبعد الحرب العالمية الاولى ظهور تيار آخر يزعم الاصلاح وقد أخذ بيد مقاليد السلطة فى بعض الاقطار الاسلامية فحاول بداء الهيكل الاجتماعى الاسلامى على الواقع الحضارى وبعده صارفا نظره عن الماضى بما فيه من خير وشر ، واشراق وأظلام ، فهو سياسيا تبنى مفهوم الدولة اللادينية ، رافضا ان يكون الاسلام

دين عقيدة وشريعة ودولة ، ودعا الى تحرير المرأة تحريرا لا يعترف بموقف الاسلام ، وحتى الحرف العربى تجنس بجنسية ايجابية وحتى لسان القرآن ، ترجم الى اللاتان ٠

وكان لهذه النزعة المعراة من كل ما هو اسلامى اتباع فى جميع البقاع فهم يجرون لاهثين وراء الغرب الذى خرجهم باساليب تعليمه وتربيته فى أوائل هـــذا القرن عندما كان الجبروت الاستعمارى فى عنفوانه المادى والفكرى وكان الوضع العام فى الاقطار الاسلامية لا يدعو للتفاؤل بالخلاص والانقاذ ، فلم يستطيعوا أن يقاوموا وهج الفتنة فذابوا مثل الشمعة وفقدوا شخصيتهم كما يعبر اقبال ، وكان لهذا النصر تداول وفروع ما تزال تتفنن فى هندسة مستقبل العالم الاسلامى على معمار أجنبى ، وزخرف صنـــاعى ؟

ولا يرد هذا التيار الا اذا قام المعسكر المصلح الاسلامى بمخطط اصلاحى علمى يتجاوز أسلوب الافغانى الى أسلوب عصرنا فى المنهجية والواقعية ... لان معتنقيه فى بعض الافكار يحمونه بالسلطان والقانون ، ويفصلون لقضية المرأة انماطا من اللباس الفكرى تضمن لهم تخريج الاجيال على وفق ما يحبون ، وتأتى المرأة الثانية للتحدى بعد الهزيمة أمام الصهيونية سنة 1967 ٠ ودولة اسرائيل فى نظر العـــرب تمثل فى الشرق الادنى حديقة حضارية غربية ، تحيط بها الصحارى العربية ، التى يسكنها البدو العرب ، ولكن البدو حين اتحدت كلمتهم لاول مرة فى تاريخنا الحاضر انتصروا عـلى الحقيقـة ، وحطموا أسطورة التفوق العسكرى الصهيونى ولكن احدثت الهزيمة زلزلة نفسية فى الشعوب والحكام منها القلق والحيرة والشك والسخط ، لانهم أحسوا جميعا فى كل مكان بوطأة ذل الاستعمار من جديد ومن يومئذ بعثت أسئلة القرن التاسع عشـــر بمظهر اعنف وأقوى : من المسؤول ماضينا أم حاضرنا شعوبنا أم حكوماتنا الى غيرها من أسئلة الادانة والاتهام حتى الخليع المائع المتخاذل من الادب والفن أشارت اليـــه الاصابع بجريمة تكوين المنهزمين وحتى الخطابة الميتة فوق المنابر كان بعضها مسؤولا لانه يخرج لكل موسم خطبة تعاد على مختلف الاجيال منذ قرون ! وانطلقت أقلام المفكرين تبحث عن أسباب أخرى وعلل ، وكان لبعض ما كتبوا حظ من النقد الذاتى الموضوعى ومن الذى يشرح صدرى منها أن العالم الاسلامى اعتبر بها وانتفع بدروس الهزيمة ٠

وكان لابد من حدوث هذا الزلزال للعالم الاسلامى ليعرف عدوه وحلفاء عدوه ، ليعيد النظر فى موقفه من الحضارة أو صانعى الحضارة ، الذين اغمدوا فى قلبه خنجر دولة عنصرية جلدت الارض بكرامة المسلمين، وشردت شعبا ما زال جرحه داميا من فظائع احفاد الصليبيين، الا ان هزيمة مرة المذاق والاحراق تفتح العيون وتلقن العبر خير لامتنا من انتصار يورث الغرور والاعجاب، وما زال العالم الاسلامى يعانى رواسب تلك الهزيمة رغم انتصاره فى رمضان ، وما مآسى الحرب الاهلية بلبنان عنا ببعيدة وعساها ان تكون خاتمة الكوارث ، ان للكوارث فى هذه الدنيا نهاية !

مجتمعاتنا فى منزلة بين المنزلتين :

يرى بعض المفكرين أن المجتمعات الاسلامية تعيش الآن فى وضع يمكن أن نصفه بأنه : منزلة بين المنزلتين ــ فى مختلف ألوان النشاطات والقطاعات ، مثلا : نحن فى الانتاج بين الطرائق القديمة ، والمرحلة الرأسمالية ، وفى السياسة بين دولة القرون الفردية الاستبدادية والليبيرالية والاشتراكية ، وفى الاجتماع بين أشد التقاليد التى انقرضت دواعيها ، وبين الانفتاح على الحديث ، وفى قضية المرأة بين اسدال الدستور والقبوع فى الخدور ، الى التحرر المطلق من كل القيود والحدود ، وبين المرأة البدوية الساذجة التائهة ، والاخرى التى تفرنست قشريا ، وتأمركت صدفيا فهى ما تزال تعيش على نسب متفاوتة قوة وضعفا بين جاذبية قوية معاصرة ، تفرض عليها لكى لا تبقى متخلفة تنظر الى الوراء أن تأخذ من هذه الحضارة ما لابد منه ، بعد أن تحررت سياسيا ، وأصبحت تفكر فى أن يكون دورها الحضارى ابداعيا لا تقليديا بعد قرابة قرن من الاحتكاك بالغرب وهى أيضا بين مراس تاريخية غلاظ ثقال تحاول اغراقها فى حمأة الماضى بما فيه من جمود وخمود وعقم وافلاس أمام شعوب ذات مدنية لا ترحم المتخلف المهيض الجناح عن سربها الطائر فى الآفاق ، وهندستها التقنية التى استخرجت كنوز الارض فكانت لبعض الشعوب نقمة وللرشداء نعمة **(ونبلوكم بالشر والخير فتنة)** . اننا لسنا وحدنا الذين مرت بهم هذه الازمة الانتقالية، وحاصرهم تحدى التطور ، ويتجلى بارزا فى تحول المرأة من حال الى حال والمجتمع يدفع

ضرائب التحول التاريخي جعله الله الى خير · هذه أوروبا فى العصر الوسيط مرت بها تجارب ونكسات واخطاء ولكن الخطأ غالبا يسبق الصوات ، والانتفاع بالتحليل الناتج عن التجربة أفضل من التقرير النظرى ·

وهذه أمم معاصرة شرقية كالصين واليابان شقا طريقهما الى حسنات الحضارة مع الحفاظ على المقومات الخاصة · ان هومنا الكبرى تتجسد الآن فى الخروج من التخلف ، والخلوص من هذا الجلدى الذى منع براعمنا من التفتح ، وعطرها من الانتشار ، وجمد دم الشباب فى حضارتنا فتصلبت منها الشرايين ، وكاد يقطع منها الوتين !

حقا أقول : انى عندما حضرت جلسات الملتقى العاشر للفكر الاسلامى فى العام الماضى ، وسمعت زملائى يتحدثون كيف انتفع الغرب بحضارتنا فى العصر الوسيط ، وكيف نصب الغرب الجسور للعبور الى مراكز الاشعاع الحضارى فى العالم القديم عصرئذ مثل : الاندلس ، وصقلية ، والقيروان ، وبغداد ، وبجاية · آنئذ ازددت يقينا وادراكا بأن تراثنا عاش فى حضارتهم ومات عندنا على السنة شعراء الافتخار بسوق عكاظ ! (**والله لا يحب كل مختال فخور**) ·

كان أحرار الفكر ورواد المعرفة فى عصر النهضة الاوروبية بين تيارين فى ذلك العصر لا ثالث لهما · يونانى وعربى ، انهم نظروا فلما علموا أن القيم الحضارية من يونانية ورومانية استنفدت أغراضها ، وتجاوزها الزمان ، وان الفكر اليونانى الذى هيمن قرابة ألفى سنة على مجرى التاريخ الفكرى أصبح متحجرا عقيما لا يعطى جديدا ، فرفضوه فى نطاق التفكير العلمى التجريبى ، وخلعوا أرسطو وافلاطون وسقراط من دولة الفكر ، ولكنهم أبقوا من التراث الصالح فى مجال مفاتن الفنون ، وروائع الآداب · أما الحلقة الحضارية الاسلامية فهى التى كانت عصرئذ البكر المنجاب المعطاء ، فاقبلوا عليها يترجمونها ويعالجون أمراض ابدانهم العليلة بقانون ابن سينا ، وينكسون الخرافة من عقولهم بفلسفة ابن رشد · هذا منهاج قدمته لنكون على بصيرة ورؤية فى الاقتباس الحضارى ، ولكى نعالج به مشاكل تخلفنا بما فى ذلك قضية المرأة ان كنا حقا جادين فى الخروج من ظلمات المحاق الى فجر التسابق واللحاق ·

المرأة بعد عام المرأة :

ماذا يعنى هذا العنوان المبهم الغامض ؟ وما القصد من اثارته ؟ أيـة امـرأة فى مجتمع ما يقصد ؟ وهل كان مصيبا فى وضعها نقطة من نقاط هذا الملتقى ؟ أظن أن واضعه كان يحس احساسا نفسيا بأن قضية حقوق المرأة وواجباتها ، لابد من اثارتها اثارة ماتعة لذيذة ايجابية كانت أم سلبية ولعله ادرك كما أوقن أنا بأن توعية المرأة لاداء واجبها مقدم منطقيا على أخذ الحقوق فى مثل مجتمعاتنا المحتاجة الى الاخذ أكثر من العطاء ، على ان قضية المرأة ما تزال مطروحة الى اليوم فى مجتمعات التقدم والتخلف وستبقى مطروحة الى مدى بعيد لان طموح المرأة دائما فى مزيد • فلم لا تطرح الآن عندنا على بساط الدرس ، وتقلب على جميع جوانبها لعلها بعد النقد والتمحيص تصبح قضية محكوم لصوابها والصلاح، ومحكوم على باطلها بالنقص والرفض فتضعف ضجة المتطرفين واستغاثة المعتدلين أو لعل الواضع لهذه النقطة استشعر أنه بعد عام كامل خصصته منظمة الامم لدراسة الموضوع ؛ ومع ذلك لما تتضح بعد الدراسات والمؤتمرات بصفة نهائية معالم الطريق فى علاج القضية ولذلك أثارها واظنه اراد أن يثيرها فى هذا الملتقى الاسلامى الذى عودنا فى ماضيه طرح بعض ما يعانيه المجتمع الاسـلامى مـن مشاكل ليست لها حلول حاسمة ، يحاول المتدارسون الوصول الى شبه حل أو بعض حل ! ومنه تاخذ المرأة المسلمة عامة والجزائرية خاصة ، وهى فى طور هبوبها الى تطور جديد، ولم لا يكون قصد واضع النقطة ذلك ، وهذا مالك بن نبى المفكر المصلح الجزائرى يقول عن أهداف الجزائر بعد استقلالها ، ان المسألة تنحصر فى عمل شعب قـام بانجاز ثورته لكى يقذف بالمحتل خارج حدوده ، وهو يريد أن يرسى داخل هذه الحدود نظاما عاما ، وشكلا من الحياة يمكن فيها لكل جزائرى أن يجد كل الدوافع ، وكـل الضمانات الضرورية لوجوده ، وقد كان الفلاح الجزائرى يناضل من أجل استقلال الجزائر ؟ وهو واع بانه شخص عربى مسلم ، فكل سياسة لكى تعرف نفسها كسياسة جزائرية يجب ان تظل وفية لينابيعها الروحية •

ولعلي بعد هذا أكون معذورا فى الادلاء بهذه التساؤلات، اذ ان الشان فى الشيء المبهم أنه يدعوك للبحث عن هويته ، والفارس الذى يلقاك ملثما شاكى السلاح أخطر من الفارس السافر الاعزل ؟

وأنا بصفتى مسلما أدرك ما فى الاسلام من قيم عقائدية مثلى ، وتشريعات حكيمة عادلة ، ومثل أخلاقية عليا ، وأومن من أعماقى بأن ما شرعه الاسلام من أحكام لعلاقة الانسان بربه ، وبأخيه الانسان ، وبالكون معاشا ومعادا هو الحكمة وفصل الخطـاب وأنه حينما تكون المصلحة فثم أوامر الله ، واينما تكون المفسدة فثم نواهى الله حتى قال علماؤنا : اذا أردت أن تعرف مواقع المضار والمنافع فعليك بمعرفة أوامر الله ونواهيـه ٠

يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ، وانزلنا اليكم نورا مبينا ، فاما الذين آمنوا بالله ، واعتصموا به ، فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ، ويهديهم اليه صراطا مستقيـما ٠

ان الاحكام والحلول تختلف باختلاف الفروق بين مجتمع وآخر مهما طغت هذه الحضارة بوسائل التبليغ والتأثير والشمول ولعل من أفدح اغلاطنا فى دعوتنا لاصلاح مجتمعنا اننا نتأثر بسرعة غريبة ، وبحساسية مرهفة حين نرى ما يجرى عند اصحاب الواقع المتحضر ولتكن قضية المرأة مثلا فنحن سرعان ما نصبح مبهورين مشدوهين وتأخذنا أخذة السحر ولعا بتقليد المغلوب للغالب ، والراجل للراكب ، قد يكون ثمة مريضا واحد ، والاعراض متحدة ولكن تبقى فروق دقيقة فى المزاج والمناخ ودرجة العمـــر مثـلا ولا يبصرها المتطبب العجول الدجال ، ولكنها لا تخفى مراعاتها على الطبيب النصوح الحـاذق ٠

وأنا اخشى ما اخشاه من خطر بسبب التمزق الفكرى والآراء المتنازعة فى قضية امرأتنا ، فهناك تيارات ومذاهب فى قضية المرأة بعضها متطرف فى تقليد الدعـــوة الى التحرير ، والآخـــر متزمـت عاكف عـــلى اصنـام الجمـــود ؟ أخشى ما اخشاه مـــن خطـــر التطـرف والجمـود ان ينطبـق عـــلى الطرفـين مثلنـا الشعـبى التونسى البليغ : (يدعى الطب ويموت بالعلة) ٠ حقا ان عدم وصولنا الى نتـائـج

عملية مفصلة على مقاس قدودنا رغم طول المدة فى الانطلاق نحو محاولة الاصلاح لا يعود الى انعدام الوسائل وانما يعود الى فقد التفكير العملى الجسور · من أجل ذلك قلت لنفسى وأنا اقرأ نقاط الملتقى : لم لا اختار القول فى نقطة موضوع المرأة ولا شك فى انك ستسمع الى ما ترضاه وما ترفضه ، فقدر اذن لرجلك أرضا صلبة تنطلق منها وانت واثق بانها تقيك من الضلال والعثار ، وتحميك من الميل الى أى تيار ؟

خاصة ومضمون كتاب الدعوة الى الملتقى كان مثيرا الى الصيال والجيال ، فالملتقون انماط فكرية بعضها منسجم متقارب وآخر متمرد ، ومعارك الفكر يحلو للنظارة ان يشهدوها لما فيها من روائع تنجب الحقيقة الخالصة ؟

قالت لى نفسى :

افترض انك ستسمع الى من يرضيه ما اعطاه الله للمرأة وان له ملاحظات وتنقيحات على القانون الالهى ، ومالك لا تفترض شيئا صدر من الافراد والحكومات **(أفرأيت من اتخذ الهه هواه ، وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ، أفلا تذكرون) ؟**

ولم لا يقع ذلك وباب الحرية مفتوح على مصراعيه للملتقى أأدخل الملتقى وأنا شاك لكى أخرج من بعد النقاش والانفضاض الى اليقين ، وما يدريك انى أبقى على شكى ، خسرت اذن وما أنا من المهتدين ان كان حضورى هنا لاجرب دينى « **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيظ له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ، ويحسبون انهم مهتدون** » وعزمت أن ادخل ميدان المعركة بين التيارات المتضادة وقد اعددت قاعدة لا اخونها مدافعا أو مهاجما وهى أن الاسلام عندى هو كما وصفه القرآن : دين الفطرة · والدين القيم ، والصراط المستقيم ، وانه فيصل الحكم فى معترك المذاهب وليكن عنوان كلمتى هو : ما أعطاه الاسلام للمرأة كفيل بأن يجنبنا التجارب والانتكاسات ·

« **وأسروا قولكم ، أو اجهروا به ، انه عليم بذات الصدور ، الا يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير** » ·

وأملي أن ينفض هذا الملتقى في هذه النقطة الخطيرة التي يهندس فيها مستقبل اجيالنا ان صوابا وان خطأ ، وقد وضع منهجا لا أحب أن أصفه الا بالعملية والتنفيذ ، ويحقق توق المجتمعات لحل المشكلات التي طال عليها الامد وهي تؤلم النوعين الرجل والمرأة في البيوت والمجتمعات وعسى حكومات الشعوب الاسلامية أن تتبناه تبنيا قانونيا كخطوة عمل ، تلك الحكومات التي تنص في دساتيرها على أن الاسلام دينها ، والعربية لغتـــها .

والا فان الشعارات الخادعة ، والعناوين البراقة مصيرها هو مصير من قال الله فيهم « **يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون الا انفسهم ، وما يشعرون** » .

قبل كل شيء أحب أن اتساءل عن مصير الحلول الاسلامية لمشاكلنا بهذا السؤال . هل نحن حقا مسلمون ملتزمون ، وأرجو أن يكون ذلك من نصيب ايماننا لينطبق عليها قوله تعالى : « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليما** » .

والا يكن ذلك فان الامام الغزالي كثيرا ما ردد في الاحياء قوله : « كن يهوديا ، والا فلا تلعب بالتوراة » !

ان كانت حضارة أوروبا قد فتنت عقولنا وضمائرنا واذواقنا ، الى حد أصبحت فيه هي المثل الاعلى في كل شيء ليكن الانفصال صريحا ، أولى من الانتساب الى الاسلام بالنفاق والرياء ، والادعاء والولاء .

وليس بغريب عنا مفهوم الالتزام فهو ركن النجاح لكل حركة تقوم الآن ومما يدل على أننا لم نتحل بعد بهذا المبدء جادين : أن تجارب المذاهب المستوردة في بعض انظمة الحكم والتعليم والاقتصاد والاجتماع كثرت فيها التجارب وأنا لا أصفها بالفشل فلها منها عليها شواهد وأنتم تعلمون أن الطب استخدم أنواعا عدة من الحيوانات كالاغنـام والارانب والقطط والديكة واليرابيع ونسيت أن اذكر القرد فهو الذي تقع عليـه التجربة حيا وميتا وجنينا لان القرد مثل في حب التقليد ، وهو الذي لـم يرض به الاسلام في العقيدة والتشريع والاخلاق ممن لاذ بالتمسك به .

قد يقول قائل : ما لفلان يلح هذا الالحاح الاكيد على قضية التحرر من مواريث الماضى ، ورواسب التقليد للحضارة المعاصرة ؟

وجوابى : سر ذلك أننا فى عهد نضالنا الوطنى ، كنا متمسكين تمسك الغريق بمنقذه بمشخصاتنا من دين ولغة وتقاليد أنها كانت لنا حضونا معنوية فى جميع الاقطار الاسلامية استنقذتنا من محاولات مشروعات الابتلاع فى أفكار المغرب كمشروع التجنس فى تونس ، ومشروع فيولات الادماجى بالجزائر ، والظهير البربرى بالمغرب والحكم الفاشيستين بليبيا ، أما الموقف اليوم بصراحة فانها بين ملحد رافض وبين شاك ساخر .

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

أيكون الاستعمار بعد رحيله وطرده داهية الى هذا الحد ونكون نحن واقعين فى شبكة مكره وكيده فى عهدى : الاستلاء والجلاء أهى القابلية للاستعمار سافرا ومقنعا ضربت علينا أبد الدهر ولا أظن الاستعمار عندما كان يحاربها ويظلمها كان أحمق عابثا فلولا أنه يعتقد أنها طاقات حضارية دفاعية وهجومية ما حارب الاسد القط !

عطاء الله للمرأة المسلمة :

يقول الله تبارك وتعالى : « **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا** » .

ولا أرى داعيا يدعونى الى الوقوف أمام وضع المرأة قبل مجىء الاسلام ، وانبلاج نوره . فالمصادر والمراجع كفيلة بالافادة أولا ، وثانيا : الوقت محدود ، وبحر الموضوع مسدود ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الصحيح : (انما النساء شقائق الرجال) أى فى الاعتقاد والاحكام والاخلاق . أرونى كلمة كرمت المرأة هذا التكريم الحفيل أو شبهها من الحضارات السابقة من يونانية ورومية وفارسية وهندسية « **أو من كان ميتا فاحييناه ، وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس ، كمن مثله فى الظلمات**

ليس بخارج منها » الا ترون هذه الآية التى صدرت بها سورة النساء كيف تخاطب الناس جميعا داعية الى أن الله يريد منهم كما يقول العالم المرحوم محمد المدنى :

أولا : الغاء الفوارق الطبيعية بين الناس ٠

ثانيا : الغاء الفوارق الدينية والعنصرية ٠

ثالثا : الغاء التفاوت فى الوزن الاجتماعى بين الرجل والمرأة ٠

رابعا : غرس الوازع النفسى فى المجتمع ، وهو المعبر عنه بتقوى الله ٠

خامسا : أحياء عاطفة الرحم الانسانية المعبر عنه بتقوى الارحام ايذانا بأن حق ذوى الارحام فى البر والصلة مستمد منه سبحانه فلا تحرموها من بركم ، ولا تقطعوها من وصلكم ٠

ولكن يجب أن لا ننسى بعد هذا أنها لم تلغ التفاوت الطبيعى بين الرجل والمرأة ، كما أنها لم تجعل الرجل والمرأة سواسية فى جميع الحقوق والواجبات ، بحيث أصبحا متساويين حتى فيما فرضته الطبيعة أختلافهما فيه ، بسبب التكوين والوظائف والملكات المغروزة فى الرجل والمرأة ٠ وعليه فان السورة قد قطعت الطريق على من يتوهمون ذلك أو يريدونه حيث يقول الله فى اثنائها : « **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما أكتسبوا ، وللنساء نصيب مما أكتسبن ، وأسالوا الله من فضله ان الله كان بكل شىء عليما** » ٠

فالله جل جلاله قد أكسب كلا من النوعين خصائص وطاقات واقام فوارق طبيعية لكل منها ما يختص به من أعمال لان الطبيعة لا تنشىء نوعين مختلفين لتكون لهما صفات الجنس الواحد ومؤهلاته ، وأعماله وغايات حياته كما يعبر العقاد رحمه الله ٠

وعندما نعود الى القرآن مصدر الشريعة الاكبر نجده قد عنى بالمرأة عناية فائقة ، وشرع لها الاحكام ، واحاطها بعنايته فى أكثر من عشر سور ، وفيه سورتان سميت الاولى سورة النساء الكبرى ، وهى النساء ، وسورة النساء الصغرى وهى التحريم والحديث عن المرأة يلقاك وأنت تتلوه متدبرا فى سور : البقرة ، والمائدة ، والنور ، والاحزاب ، والمجادلة والممتحنة والتحريم ، وتعالوا معى الآن الى استعراض الآيات

القرآنية ، والاحاديث النبوية التى يكرم اللـه المرأة فى مظاهر متعمدة نعد منها ولا نحصيها احصـاء ٠

أولا : تكريم الله المرأة كانسان فقال : « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » ٠

ثانيا : أبطل وأد البنات وحرمه ، وقد كان منتشرا فى بعض القبائل العربية فقال : « **واذا الموءودة سئلت ، بأى ذنب قتلت** » ٠

وقال : « **قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم** » ، وبهذا أضمن لها حقهـا فى أن تعيش ، بعد أن كانت حياتها مهددة بحفرة ترمى فيها غيلة ، ويهال عليها التراب وهى تستغيث ٠

ثالثا : أنكر على الرجل الجاهلى التشاؤم والتطير من ولادة الانثى والسخط عـلى امرأته فقال مصـــورا تعاسته النفسية ومهانتـه بـين النـاس ببـلاغـة القـرآن : « **ويجعلون لله البنات سبحانه ، ولهم ما يشتهون ، واذا بشر احدهم بالانثى ظـل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، ايمسكه على هون ؟ أم يدسه فى التراب ، ألا ساء ما يحكمون** » ٠

وأعلن أن الذكر والانثى كلاهما نعمة من اللـه بها على عباده تستوجب الشكر فقال : « **والله جعل لكم من انفسكم ازواجا ، وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة** » ٠ وفسر الحفيد ببولد البنت أو الابن ، ذكرا كان أو أنثى ٠

رابعا : وهذا الحديث يكرمها كبنت فيقول صلوات الله عليه وسلامه : « أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها » الحديث ٠

خامسا : وكزوجة فقال تعالى : « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم ازواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لايت لقوم يتفكرون** » ٠

سادسا : رغب فى تعليمها فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « **طلب العلم فريضة على كل مسلم** » (1) ، وفى الحديث الصحيح : « **نعم النساء نساء الانصار لـم**

---

(1) ليس فى خاتمة الحديث : ومسلمة كما هو شائع والمرأة داخلة فى الامر لان كل من ألفاظ العموم عند الاصوليين ٠

يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين » ، والعلم الواجب على المرأة تلقيه يختلف باختلاف الزمان والمكان والاحوال لان فروض الكفايات اتسعت دائرتها اليوم .

سابعا : واغدق عليها التكريم كأم فقال صلى الله عليه وسلم : « **الجنة تحت أقدام الامهــات**) .

ثامنا : مكنها من حق الميراث أما كانت أو زوجة أو بنتا ، كبيرة كانت أو صغيرة أو حملا فى بطن الام بعد أن كانت هى ميراثا فقال : « **للرجال نصيب مما ترك الولدان والاقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضــا** » .

تاسعا : نظم حقــوق الزوجين ، ووضع لها حقــوقا كحقوق الرجال ، مع قــوامة الرجال عليها ، ورئاسته للاسرة بالشورى فقال : « **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة** » ، فكل ما يحق للزوج ان يطلبه من زوجته من أمور مشروعة يحق للزوجة أن تطلبه منه ، وكلمة المعروف فى سلك التركيب القرآنى بليغة ووجيزة فيما ترمى اليه فهى تعنى من جملة دلالاتها ما هو متعارف عليه انه حق ، والضابط له الا يحرم حلالا ، ولا يحلل حراما .

عاشرا : اعتبر حق الطلاق للرجال وبغيضا لله سبحانه وفى الحديث : « ما احــل الله شيئا ابغض اليه من الطلاق » رواه أبو داود ، ومنع الرجال من استعمال التعسف فيه ، فله حد لا يتعداه ، ولايقاعه مشروعا وقت معين .

حادى عشر : جعل البنت قبل البلوغ تحت وصاية أوليائها ، وولاية رعاية لتربيتها ، وتصرف سديد فى مالها ، واعتبرها أمانة عند الولى ، وحذر ان تكون لابويها فتنـــة بالهائها أياه عن ذكر الله أو مخالفتها لشرعه اذا حاولت تجاوز حدود الله تعالى فى السلوك وهى بعد البلوغ يحق لها أن تتمتع بالالتزامات المالية : البيــع والشراء والاقــالة ، والخيار ، والصرف والشفعة ، والاجارة ، والرهن ، والقسمة ، والوكالة ، والكفــالة ، والصلــح ، والشركة ، والمضاربة ، والهبة ، والوديعة والوقف ... الخ وما يتبع ذلك من حقوق الدفاع عن مالها كالدفاع عن نفسها بالتقاضى أمام المحاكم فأنتم ترون مــن خلال ما سمعتم ان المرأة فى الاسلام لها مكانتها المرموقة ومنزلتها العالية فى الآفاق الانسانية والاجتماعية والحقوقية .

شمـول الاحكـام للمرأة والرجل :

وحسبكم بايجاز فى هذا المقام أن عموم الاحكام الشرعية مخاطب بها الجميع الا ما اختص بالرجل والمرأة فيما ورد من نصوص التخصيص فى الكتاب والسنة ، هـــذه الاحكام العادلة الخالدة فى جوهرها الربانى الاصيل والتى هى غير قابلة للتغير والتبديل كما يحاول ذلك بعضهم باسم الاجتهاد المرفوض اذ لا اجتهاد مع وجود النص والاجتهاد عند توفر دواعيه قائم على الكفاية العلمية الشرعية المشروطة فى المتعاطين له من العلماء وهو لا يكون فى هذا العصر الا اجماعيا شوريا حتى لا يهدم أحكام الله من فى قلوبهم مرض من اصفار العلماء ، وأصنام الحكام .

« وما كان لمؤمن ، ولا مؤمنة ، اذا قضى الله ورسوله أمرا ان تكون لهم الخيرة مـن أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » .

« قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا ، فليحذر الذين يخالفون عن أمـره أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب أليم » .

هذه الاحكام هى القاسم المشترك بين النوعين : الذكر والانثى من الجنس الانسانى ومن أجل هذا قرر علماء أصول الفقه : أن صيغ العموم فى القرآن والسنة تشمل الرجال والنساء مثل : من الشرطية وكل ، ولو كانت بعض ضيغ آيات الاحكام واردة على ضمير التذكير، التى وان كانت فى أصل الوضع للرجال، الا انها فى مصطلح الشرع مخاطب بها الجميع للادلة الدالة على عموم الشريعة ففى آية مبايعة النساء الواردة فى سورة المتحنة يشمـل قـوله تعـالى : « **ولا يعصينك فى معـروف** » أى النســاء المسلمات . جميـع الشريعة الا الاحكام المستثناة ولما وصل صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى عند مبايعة النساء يوم فتح مكة ، وقد نزلت عليه المبايعة يومئذ الى قوله تعالى : « **ولا يعصينك فى معـــروف** » .

قالت هند بنت عتبة زوج أبى سفيان : ما جلسنا مجلسنا هذا ، وفى أنفسنا أن نعصيك ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول لهن عند المبايعة فيما استطعتن وأطقتن ، فيقلن له : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا . أين هذا الشعور الغامر الصادق بالرحمة

الالهية والمحمدية فى تشريع الاحكام من أولئك الصحابيات الكريمات ، من شعـــور بعض النساء اليوم اللاتى يردن من ـ الموضة ـ أن تكون ناسخة لاحكام الله ورسوله ، فى ازياء اللباس والتجميل ، والتكحيل ، والتحمر ، والحلى فكانهن من شدة ولعهـــن بتقليد الغربيات ينتظرن وحيا يتنزل من تأثير الفتنة واحتجاب معـالم الطريق الاقوم عليهـــن !

« ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى اركب معنا ، ولا تكن مع الكافرين ، قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء ، قال : لاعاصم اليوم من أمر الله الا من رحم ، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين » ٠

هدف الاسلام : أسرة سعيدة ومجتمع متكامل :

أثيرت قضية المرأة فى شكلها المعاصر حين هـب كل المظلومين فى الارض يطلبون رفع الظلم بعد حرمان دام قرونا طوالا ، وبعد استسلام واذعان وقبول له من المظلومين فالشعوب مطالبة بالحقوق والحريات من السلطة الاستبدادية الوراثية والعمال يحاولون افتكاك حقـــهم من جشع أربـــاب المعامل والمزارع والمستعمرون يناضلون المستعمر ليستردوا الحق السليب ، والحرية الضائعة وما من شك فى أن المرأة فى عهود انحطاط الرجل نفسه كانت مظلومة لا من الرجل وحـده ، بل من الوضع المنحـط العـام فى السياسة والاقتصاد والاجتماع فالنوعان كانا فى بؤس متشابه ، فالرجل مظلوم وظالم والمرأة مظلومة وظالمة ، لان الجهل الجاثم على العقول ، والجمود الخانق للعزيمة ، والخنوع المطلق لرجال الدين ، كل هذه العوامل تشد الانسان الى الارض والعبودية ولا تعرج به الى آفاق الحرية وهى التى جعلت الجميع خاضعين ان طوعا وان كرها لظلم الطغـاة فى تلك العصور ٠

هذا هو الاطار الصحيح الذى يجب وضع قيام قضية المرأة فيه وهذا هـو المنطلق الاول الذى حرك الجامدين هذا الموضوع وما زلنا الى الآن نسمع القاعدين من الرجال والقـــواعد مـن النســاء حـــين يحـــيق بهـم الظـــلم السيـاسى والاجتمـاعى ، وتنهـــال عليهم المصـــائب ، ويبخســـون حقهـــم مـن السلطـــان فى المجـــال السيـــاسى والاقتصـــادى والاجتمـــاعى تسمـــع منـــهم تمنـــى حصـــول الآمال بدون أعمال وهو موقف العاجزين أما موقف الارادة الشعبية التى تفرض على

الحاكم تغيير الواقع البغيض لا على هواه السياسى المتقلب ، بل على هوى الارادة الشعبية التى كانت عبر التاريخ هى اداة التغيير فى تاريخ الشعوب التى كانت حياتها تؤرخ ، بعهود الملوك ، فجعلتها تؤرخ بثورات الامم ومن التجنى الصارخ والاتهام المرفوض أن يحصر مصدر ظلم الرجل للمرأة ، وأنتم عالمون بما يترتب على هذا الموقف من تخريب للاسر وعداء بين عناصر المجتمع وأن تتحول المطالبة بالحق الى خصومة ضاربة حاقدة بين عنصرين متكاملين ، وكيف تسرى العدوى الى براء الاطفال ومستقبل الاجيال ذلك ما حدث بالغرب أمس ، وسرعان ما تسرب الينا اليوم وهكذا فرضنا على أنفسنا شغفا بعبادة الغرب بل بعبوديتنا له أن نستر عرينا بما يطرحه الغرب من أثـــوابه الهدوم واسماله البالية القذرة ! وانك لترى هذا النمط من التظلم ، وتستمع لهذه النغمـــة الناشزة عندنا فى أقلام الداعين الى انصاف المرأة فى المقالة والخطبة والقصيدة والقصة والاقصوصة والتمثيلية والملتقيات والمؤتمرات والتوصيات ولا أدرى لماذا هذا الحملة المسعورة والتى قصدت أم لم تقصد أخطأت أم أصابت فى الاجتهاد ولا تفسير لهـــا عندى الا تقويض جسور التفاهم والتكامل بين الشريكين ، وأشعال حـــريق التناكر والتقاطع لمن خلق الله بينها المودة والرحمة وقد شاءت مادة ساس ويسوس وما تصرف منها أن تغتنم هذه الفرصة السانحة السائغة تملقا منها لمشاعر المرأة الرقيقة لتعدها من مكاسب صفها المتعاطف معها فتزعمت الحملة بما لها من وسائل التبليغ بتسخير القلم المأجور والكلمة الخائنة فازدادت الازمة بين الرجل والمرأة اشتعالا وأصبح الرجل فى المحاكم مدانا مسؤولا وفى نظر المجتمع ظلوما أنانيا ، وفى البيت مصـــدر السلطة مرفوضة ولما دخلت المرأة مجال الشغل أصبح دخلها وسيلة تفوق واعجاب ، وشعرت أو أشعروها بأنها ملكت استقلالها التام فأصبح تشغيلها ذريعة الى ازمات اقتصادية واخـــلاقية باعترافهم ، كما أصبح وسيلة الى عداوة وبغضاء بين قلب خلق ليحب ، وقلب خلق ليحـــب .

انها مغالطة كائدة غاشة للمرأة قبل الرجل ، لانها عوض أن تحـــل مشكلة ذات رأس واحد أصبحت ذات راسين ولان ظلمها نابع من مجموع أسباب تاريخية كان فيها الطرفان مهضومان ، كما قال البكـرى : تعجبـوا . وكان الواجب أن يكـون الحـــل

الناصح السديد هو أن توضع قضية المرأة على أساس أنها علاقة بين شريكين ـ تتوزع بينهما الحقوق والواجبات على حسب اختلاف طاقات الوظيفة والاستعداد ، وكلاهما خاسر مغبون اذا اخل بحق شريكه ، ونازعه عمله واختصاصه وكفايته ، مع تفاهم يفضى الى المودة ، وتكامل يقرب من الكمال ، انه عداء يحدث صدعا فى وحدتنا القومية ولعل من يسير ما قدمت ، ومن كثير ما طويت وليست كلمتى متقصية لجميع التفاصيل لتعاليم الاسلام المتعلقة بالمرأة تستطيعون أن تكون معى فى أن الله خالق المرأة هو الذى انصف المرأة وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان وهو يحتضر يوصى بالمرأة خيرا ، وأنه من حسن معاشرته لزوجه عائشة لفظ نفسه الآخر ورأسه الكريم بين سحرها ونحرها • ولكن بعد أن وزعنا تركة ظلم المرأة على اصناف من المتهمين يجب أن لا ننسى هذا الرجل المسكين الذى ربما أصبح يكالب بحقه أيضا وان يؤسس الاتحاد الرجالى فى مستقبل قريب يجب أن نعترف بان الرجال فى عصور انحطاطنا وبعدهم عن مبادىء الاسلام حرموا المرأة مما أعطاها الله ، وحجبوها عن نور العلم ، واهملوها من التربية القويمة وفصلوها عن المجتمع،وغبنوا مواهبها بالكبت والحرمان،واعتبروها ظرف شهوة وتحفة متعة ، وطرحوها من قائمة انسان شريك ضرورى للانسان الرجل ، وضربوا عليها حجابا غليظا ارضاء للانانية ، وحبسوها فى البيت للخدمة والانجاب كسجين محكوم عليه باطلا بالسجن والاشغال الشاقة مدى العمر ، ونفوها من الواقع المعاش الى المتوهم المجهول حتى وقف عقلها عن النمو والنضج ، وردم تحت انقاض الجهل ، وانحرفت مشاعرها الدينية الى قباب الصلحاء ، والاستعانة والاستغاثة بهم فى رفع المصائب ، ونيل الرغائب ، والتعلق بتمويهات الدجاجلة من الضاربين على دسوت الرمل مما جعل عقيدتها هى الكفر أقرب منها الى الايمان ، فهى غارقة فى الخرافة الى الاذقان ، وهى مقودة بالتقاليد السيئة ولا تشعر بسوئها من طول الامد عليها فى التدهور والتعود وكانها أصبحت تطبيقا لمثلنا التونسى الشعبى الذى صورها لنا صورة دقيقة لا نجدها فى أدبنا الفصيح ، الذى انهمك خلاعة فى وصف ورد الخدود ، وبان القدود ، وليل الشعور ، وبرق الثغور يقول هذا المثل التونسى : فى النهار دابة ، وفى الليل شابة !

تعبير صريح عما كان فى تونس ولعل المثل صالح للانطباق على الواقع فى العالم الاسلامى كافة ، ومنذ ثمانين سنة ألف عالم جزائرى هو محمد بن الخوجة كتابا سماه (الاكتراث بحقوق الاناث) وكان هذا باعتبار وظيفته كاتبا بادارة الولاية الفرنسية يعول فى اصلاح المرأة الجزائرية على وجود فرنسا بالجزائر فكان على حد قول الشاعر :

ومكلف الايام ضد طباعها   متطلب فى الماء جذوة نار

ولكن الكتاب يبقى مع هذا الامل الخائب فى فرنسا أن ما حكاه عن ظلم الرجل للاخت الجزائرية واقع ما له من دافع فى عصره وما قبل عصره ·

ولا أرى مانعا من ذكر هضم الرجل حق المرأة فى بعض الفئات هنا أو هناك فنحن فى الهم شرق كما يقول شوقى ولكن الذى يمنعنى هو ضغط الوقت على قلمى ، واكتفى هنا بذكر أرقام الصفحات التى أحيل عليها ص : 30 ـ 32 ـ 34 ـ 53 ـ 44 تشير الى ظلم الرجل للمرأة أما صفحات 64 ـ 92 ـ 97 فهى نقد اجتماعى لحالة المرأة الجزائرية عصرئذ وعلى ما فى الكتاب من أمل ضائع فى اصلاح المرأة على يد حضارة فرنسا التى طالما سمعنا بأن لها رسالة تمدينية فى مستعمراتها ·

فانه يحتوى على نقد اجتماعى ، وانارة لتحرير المرأة تحريرا اسلامية ، وفيه ملامح عن حال المرأة والرجل فى المجتمع الجزائرى صالحة لمن يريد البحث ، والدرس من أبناء وبنات الجامعة الجزائرية ولما اتصلنا بالغرب ونعم الاتصال فى مظاهره الحسان وبؤس الاتصال فى سلبياته ، نادى المنادون بتحرير المرأة وكانوا أصنافا ، هذا يدعو الى أحياء التشريع النسائى الاسلامى ويرى فى ذلك اعادة الاعتبار للمرأة كمساوية للرجل ، وصيانة لها مما تردت فيه المرأة الغربية ، وآخر يحب أخذ الحضارة مرة واحدة ينادى بلا فرق ولا تمييز فلتكن المرأة عربية أو لا تكون عنده ·

وكانت المرأة وهى مثال الطموح ترى الفريقين ، بل الفرق تتصاول من أجل انصافها وتستمع الى حجتهم حتى لا يبقى نصف المجتمع مشلولا كسيحا ، وفى أثناء هذا الصراع الذى مضى عليه أكثر من نصف قرن بين المعتدلين والمتطرفين كانت ظروف الزمان ، ومتطلبات العصر تحرض المرأة على التحرير من مظالم القرون ، والاندماج ·

فى الواقـع كان بعض النسـاء قد انـدفع ـ ولا أعمـم ـ وهـن غـير مستعـدات لتلقى واجبات التطور وحقوقه الى محاولة التحرر فى تهور وسذاجة وبعاطفة لا بعقل وتجرعت من اجـل ذلك الاسرة والمجتمع آلام الارتجـال ، ومـرارة الانتكاس على أن طموح المرأة ـ ولا أعمـم ـ الى أن تصـير كالغربية فى الشكل والمظهـر دون الصميم والجوهر يجعلها كصدفة جوفاء ملقاة على شاطىء موحش لانها تنسى أن التدرج الطبيعى فى نيل الحقوق ، وقـع حتى فى الغرب ، وتنسى أن اداء الواجب مقـدم فى شعوبنا المتخلفة على حسب الحـق .

فالـرجـل والمـرأة فى مجتمعـاتنـا النـاميـة يجـب أن يكـون كلاهما معطيين فى سماحة وايثار الى أن يخرج المجتمع من فقره ، ويعافى من مرضه ، ويتحرر من جهله ، ويومئذ تتوفر لديه طرق اعطاء الحقوق كاملة غير منقوصة ، ان سلم الحقوق له درجات والاولى مقدمة على الثانية حتى نصل الى القمـة هاضمين المراحل والنتائج مرحلة ونتيجة نتيجة وكما أن الخطر يكمن فى التخمة من الحرية خاصة اذا كان الجهاز الهضمى لم يتعود الاكلات السمينة ذات التوابل الحريفة كذلك يكمن بمـا هو أخطر عواقب وآثارا حين تجوع الامم الى الحرية ولا تعصاها كحق أول فى الحيـاة حينئذ يكون الحرمان داعية الى الهيجان والثورات وهنا اتساءل ما هو واقعنا اليوم : هل نحن فى تخمة أم فى مجاعة الى الحرية ؟ واخشى ما أخشاه أن يفسر كلامى بأنه حجة صالحة لما يدعيه الدعاة من معاذير الى الحرمان ، لا ، لست أنا هنا محاميا عن قضايا الظلم والحرمان من الحرية ولكننى أقول رأيى وأنا معتبر بتجارب من فتحوا الباب على مصراعية للمرأة لحاجة فى نفس يعقوب بينما الحريات الاخرى التى هى لسان الميزان فى تقييم حـرية المرأة ونقدها وتعييرها ، معدومة وكيف تغذر على تعيير الذهب الزائف المغشوش من الذهب الا بريز ، بلا معيار الحرية جنس وأنواعها متكاملة كى تكون للانسان كرامة ، والا تكن فلا كرامة بل حيوانية انسانية تأكل اطعام وتمشى فى الاسواق !!

ان المرأة فى العالم المتخلف بصفة عامة ، وفى مغربنا الاسلامى بصفة أخص قاومت الاستعمار بجانب أخيها الرجل ، وضربت الامثال فى الحماس والثبات والمصابـرة والاستماتة دافعة لوطنها قسطا من دينه ، وانها لمدعوة بواجب الى أداء واجب ملح عينى فى عهد التحرر الوطنى الى أن تكون امرأة مسلمة بالمعنى الكامل الملتزم وعليها أن تنشىء

لامتها ووطنها جيلا صالحا، ترضعه حب دينه ووطنه ولغته وحضارته، بعد أن حاول الاستعمار أبادة تلك القيم ليخرج الجيل عاريا من مقومات شخصيته ونحن نحاول فى نهـــاية المطاف من حملة القضاء على التخلف أن تخرج لنا حضارة من لحمنا ودمنا ، من روحنـا وعقلنا سليمة من الجراثيم التى تنخر حضارة غيرنا معتبرة بالعظات التى قضت عـلى الحضارات بالزوال ، من هو المفكر الرشيد الذى يرفض أننا لسنا فى أكيد الاحتياج الى تقنيات الحضارة المعاصرة ، وهى التى تقتحم الدخول على أبوابنا بلا استئذان وتملك بقوة التأثير وبسرعة الصوت ولكن من الذى يحاول الخروج من التخلف وهو مجمــوع نقائص وعيوب ، ويرضى أن يزيد من كمية التخلف ، ويضيف الى أوجاع المريض كربا بنقائص أخرى ؟ والتاريخ يحدثنا أن كل حضارة تحمل بين جنبيها جراثيم موتها • لقد جربنا العقاقير من خارج مناخنا ومراجنا فما زادتنا الا خبالا ، وكاد أن ينقرض الحيوان السليم من كثرة التجارب فى مجتمعاتنا وأقولها أخيرا على سبيل الفرض والمجـاز ، والاسى يفتت قلبى انه بقى علاج نملكه ولكنه مجهول ، ومفترى عليه وانه متهم بكبائر التهم والشبه منا ومن احقاد التبشير ومطامع الاستشراق ، اتدرون ما هو ؟ أمـا اذا سألتمونى فانى اعتقد فى جدوى علاجه لا لمشكلة المرأة فقط ، بل لجميع مشاكلنا معاشا ومعادا طالما ينعق الناعقون أن لغتنا عاجزة عن التعبير عن شؤون الفكر لان نهضة العربية تزحزحهم عن كرسى مستورد من الخارج، وأمتنا تبحث عن الاكتفاء الذاتى فى الكيفيات والكميات ولكنها لا تهضم لغتها لدلال الغوانى من اللغات الاجنبية ، وينعقون بأن الاسلام استنفذ أغراضه ، وانتهى دوره فى هذا العصر ليمهدوا الطريق للادينية والفسوق والتفسخ ، ولو انصفو العربية والاسلام لقالوا : نحن وقفنا حضاريا ووقفت اللغة لانها اداة تعبير وعلام تعبر وأهلها بكـم ! واطرحنا الاســـلام جانبا ورميناه بأنه سبب التأخر ونحن الجناة عليه وأصبحنا فى نظر غير ناجحة عليه ، عوض أن نكون حجة له . وهكذا رمتنى بدائها وانسلت كما يقول المثل • وهذا التشريع المقارن الآن يشهد بأن تشريعنا كأنه نزل اليوم من عالم الغيب ليحـــل مشاكل عالم الشهادة ماضيا وحـاضرا ومستقبلا « **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق** » • نحن فى حضـــارة تجريبية ، فجربوا الاسلام ، وحاشا الذهب الابريز أن يعير ، وحاشا فضل النــور أن ينكره « **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** » •

والسلام عليكم ورحمة الله •



العشاء ، في خيمة،ضيوفا على بلدية توغورت، عاصمة بني جلاب .

المـــرأة بعد عام المـــرأة

د· كيليا سارنيلي تشركوا
أستاذة بالمعهد الجامعي للدراسات الشرقية
جامعة نابولي (ايطاليا)



حضرات السيدات والسادة ،

أود قبل كل شيء أن أعبر عن سروري بوجودي اليوم بينكم وعن شكري العميق لسعادة الوزير مولود قاسم نايت بلقاسم وزير التعليم الاصلي والشؤون الدينيـــة للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية لدعوتي كي اشترك في هذه الندوة ، كما أوجه شكري لكل معاونيه في التنظيم الرائـع لهـذا الملتقى الحادى عشر للفكــر الاســلامى ·

وقد أتاحت لى الدعوة الكريمة الفرصة لاحضر لثانى مرة الى الجزائر ذلك البلد الذى ترك فى نفسى أثرا لا يمحى ولاعرف أكثر فأكثر هذه الارض محققة حلما كـان يداعبنى منذ سنوات ·

ان هذه الفرصة عزيزة على حيث أحمل الى الجميع تحية المعهد الجامعى الشرقى فى نابولى الذى أتشرف بالانتساب اليه وبأن أترجم عن الاهتمام العظيم الذى يوليه معهدنا لدراسة اللغة العربية والعالم العربى وحضارته .

وعندما وجهت الى الدعوة لالقاء محاضرة فى أثناء انعقاد هذا الملتقى فكـرت فى اختيار موضوع يمسنا عن قرب وهو « المرأة فيما بعد عام المرأة » وهذا لعدة أسباب :

فقبل كل شىء هناك أحوال المرأة وتغير علاقاتها وكيفيـــة حياتها مما يشكـــل الموضوعات التى تثير النقاش فى هذه الايام كثيرا ليس فى ايطاليا فقط ولكن فى جميع بلاد العالم تقريبا .

وأيضا لاننى أعتقد أنه يمكن أن يهمكم عرض سريع لما قمنا به فى بلدى ـ ايطاليا ـ فى هذه السنوات الاخيرة .

فاننى أرجو من معالجة الموضوع من جديد معكم ـ أيها الاصدقاء الجزائريون ـ ومع كل من حضر من مختلف البلاد ومن الاستماع الى الملاحظات والى المناقشات أن ننور عقولنا أكثر من ذى قبل وأن نوسع تجاربنا بفضل الاتصال المباشر بتجارب مختلفة ومتنوعة كما أننى أرجو من تبادل آرائنا أن نتمكن من حل بعض مشاكلنا المستعصية أو على الاقل أن يسهل لنا البحث عن مبادرات أخرى بهذا الصدد ، وكل هذا عبر كلام موضوعى هادىء مع احترام الآخرين واحترام آرائهم بواقعية وحداثة وذلك بطريقة تجعل المشاكل أقل درامية وأكثر تقبلا .

وكما تعرفون جميعا فقد أعلنت الجمعية العامة للامم المتحدة فى 18 ديسمبر سنة 1972 أن سنة 1975 هى السنة العالمية للمرأة .

وقد وافقت لجنة أحوال المرأة التى كانت تعمل فى الامم المتحدة منذ وقت طويل على البرنامج الواسع المفصل الذى كان ينص باختصار على ما يلى :

ـ الوصول الى المساواة القانونية الفعلية بين الرجال والنساء .

ـ توطيد التكامل التام للمرأة فى كل مبادرات التطور مع ابراز مسؤولية المرأة ودورها الحاسم فى مجال التطور الاقتصادى والاجتماعى والثقافى علـى المستويين الوطنى والعالمى ٠

ـ الاعتراف بأهمية المساهمة المتزايدة التى تستطيع المرأة أن تؤديها فى ميدان تطور العلاقات السليمة والتعاون بين الدول وتأكيد السلام ٠

وقد كانت موضوعات هذا العام : المساواة والتطور والسلام ٠ وترجع أهميته سواء الى نطاق وحجم الحركة عالميا ، والى اتساع النشاط والى الاصلاح الذى حاول أن يثيره أو الى اقتراح مشروع منظم يضم المبادىء العامة الهادفة الى ترقية المرأة فى وضع مساواة مع الرجل وأحوال تطور كل المجتمعات أى ليس فقط ترقية أحـوال المرأة ، كهدف قائم بذاته ـ ولكن أنها طريق خير لكل المجتمعات الانسانية ٠

وقد قصدت الامم المتحدة باعلان السنة العالمية للمرأة ابراز أولا أن جميع شعوب الارض تقريبا تعترف بالتحول التاريخى العميق الذى حدث وساهـم فى عمليـة التشكيل الحديث للمثل الاعلى للمساواة ٠

وتحقيق هذا المثل يعترف به أكثر فأكثر كحاجة لا يمكن الاغضاء عنها بالنسبة للعدالة الاجتماعية ٠

وثانيا : فان الامم المتحدة أرادت أيضا تحريك وتكملة التحول من أجل السـلام والتقدم ٠ وأرى أن هذا الاعلان اظهار للتقدير والثقة والآمال المعقودة على مقدرة المرأة التى دعيت لانقاذ ورفع القيم المعنوية والروحية وهى الوحيدة التى تجعل الحيـاة ذات قيمـة ٠

وقد تابع الفاتيكان باهتمام وتعاطف خطوات عام المرأة وبمناسبة المؤتمر الدولى الذى أقيم فى مدينة المكسيك فى أواخر يونية أرسل لجنة خاصة اشتركت فى جميع الاعمال بنشاط ملحوظ كما وأنها اتصلت بممثلى مختلف الحكومات والمنظمات الغـير حكومية ،وأكدت اللجنة الاهتمام البالغ للفاتيكان وتقديره للعمل الايجابى من أجل ترقية المرأة وأثبتت أن المساواة بين الرجل والمرأة لها مغزى فقط في المجتمع الـذى

يعترف فعليا لكليهما بكرامتهما الانسانية وفى المجتمع الذى يعطى المكان اللائق للاسرة أى لنواته الاساسية ، المجتمع المتفتح للترقى الفعلى المتكامل أى الهادف بخاصة الى تطور الوعى المعنوى ٠

ولنر الآن ماذا حدث واقعيا فى ايطاليا فى هذه السنوات الاخيرة وماذا بقى بعد لعمله ٠

ولنأخذ بعين الاعتبار قبل كل شىء وضع المرأة فى الاسرة الجديدة بعد تعديل قانون الاسرة (1975/5/19) ٠

لا أقصد هنا توضيح جميع النظم واللوائح ولكن أكتفى باختصار بعرض دور المرأة الجديد بالنسبة للاسرة وبالنسبة للمجتمع ٠

ان تقييم دور المرأة وشخصيتها يمثل تنفيذا دقيقا للمساواة فى الحقوق التى يحتويها الدستور ـ بينما مجموعة قوانين سنة 1942 كانت تتعارض معها لانها كانت تنص على نظام الدرجات داخل الاسرة والتفرقة بين المرأة والرجل والاتحاد فى الحياة الزوجية التى كانت تتعارض مع انفصال الاموال ٠

ولكن هذا التفكير قد سبقه الزمان ، زمان تأكد المشرع فيه بعد نتيجة الاستفتاء على الطلاق (1974/5/12) أن معظم الشعب قد أراد تعديل كل للتشريع الخاص بالاسرة وجعلها أكثر التصاقا بالحقيقة التاريخية الإجتماعية الجديدة ٠

وقد انطبقت فى الواقع كل لوائح قوانين الاسرة على مبدأ مساواة الزوجين بطريقة مرضية سواء فى العلاقات الشخصية أو الملكية أو فيما يتعلق بالابناء ٠ وهناك لوائح عديدة أعطت للمرأة كرامة دورها فى الاسرة وفى المجتمع والاكثر أهمية فيها هو : المادة 143 مكرر ـ وتنص على أن المرأة المتزوجة لا تأخذ اسم عائلة الزوج كما كان فى مجموعة القوانين القديمة ـ ولكنها تحتفظ باسم أسرتها وتضم اليه اسم أسرة الزوج وتحتفظ بهذا الاخير حتى ولو كانت أرملة ، الا اذا تزوجت من آخر وهذا يعنى أن تحتفظ المرأة فى الزواج بكامل شخصيتها ٠

وتحتفظ المرأة بجنسيتها الايطالية ، الا فى حالة التنازل الصريح عنها ، حتى ولو أنها حازت جنسية أجنبية نتيجة لزواجها أو نتيجة لتغير جنسية الزوج ٠

وتنص المادة 43 على حق كل واحد من الزوجين فى اتخاذ محل اقامته فى المكان الذى ركز فيه جل أعماله ومصالحه ٠ وهذه المادة أساسية بالنسبة لتحرير المـرأة وتبدو ثورية حقا فى نظام عائلى كان وضع الزوج فيه ـ حتى الآن ـ مقدما بلا نزاع ، ولكن الحقيقة الاجتماعية والاقتصادية العائلية التى فيها أكثر عدد النساء اللائى يقمن بنشاط عملى مع نتائج لا يمكن اغفالها فى اقتصاد العائلة قد دفعت المشرع الى السماح للمرأة المتزوجة بأن تتخذ محل اقامة لها حيث يوجد مركز أعمالها ولو كان يختلف عن اقامة الاسرة ٠

وفيما يختص بالوصاية على الاولاد فان التعديل يعطى حق القيام بها لكلا الوالدين ولابد من اتفاقهما بهذا الصدد والا فلابد من الرجوع الى القاضى ٠

وكذلك أعطى التعديل للام ايضا حق انكار الابوة ٠

وهناك أمر آخر بالغ الاهمية وهو العلاقات المالية بين الزوجين التى أسست على نظام توحد الممتلكات وقد قصد التعديل تقييم العمل الذى تؤديه المرأة فى المنزل وذلك باعطاء المرأة قيمة لمساهمتها الفعالة فى تكوين ما تمتلكه الاسرة ٠

وقد حدث تعديل أيضا بصدد الميراث وأصبح كل من الزوجين وارثا له كل حقوقه قانونا وكذلك له حق السكن ، وحق استعمال الاثاث الموجود فى مسكن الاسرة ، وفى الواقع تحتفظ المادة 540 من أجل مصلحة أى من الزوجين بالحق فى نصف الميراث وبالحق في الاقامة فى البيت الزوجية ٠

وهذا التجديد من أهم مميزات التشريع الجديد لانه أزال عن الذى بقى مـــن الزوجين على قيد الحياة صفة المرتبط فقط بالربع وما توحى به من اذلال وما جعلـه يتلقى غالبا نكران الجميل من جهة الابناء ٠

وأود الآن ألاحظ أن القانون الجديد معمول به الآن فى ايطاليا منذ أغسطس سنة 1975 ولكن المرأة لابد أن تكون مستعدة لتقبله ولاتخاذ المسؤولية الاكثر الناتجة عن حقوقها الجديدة الزائدة وكذلك عن الواجبات التى حصلت عليها بالتعديل ·

ومن ثم فمن الضرورى ان تحيط المرأة علمها بها حتى تكون واعية ومسؤولة ليس فقط بالنسبة للحقوق بل أيضا بواجباتها الجديدة · والعمل الباقى ضخم ولابد من القيام به بالتدريج وهو دون شك سيتحقق بمرور الزمن اللازم للنضج الانسانى ، فالوسائل التشريعية وحدها لا تكفى ·

ولننتقل الآن الى عرض قضية عمل المرأة ، فقد عين مجلس الوزراء الايطالى بمناسبة عام المرأة لجنة خاصة قامت بنشاط كبير فى أثناء السنتين 1975 ـ 1976 ونظمت مؤتمرا وطنيا عن عمل المرأة وانعقد المؤتمر بمدينة رومة من 26 الى 28 نوفمبر 1976 وكانت رئيسة المؤتمر الدكتورة Tina Auselmi وزيرة العمل وهى أول امرأة تولت منصب الوزارة فى تاريخ ايطاليا ·

واشترك فى المؤتمر وفود من شخصيات السياسة والثقافة والجمعيات النسائية وممثلى الاقاليم · وقد عرضت رئيسة المؤتمر فى خطبة الافتتاح بعض البيانات التى يستنتج منها أنه ما زالت المرأة فى بلدنا حتى الآن تعتبر مواطنة من الدرجة الثانية فمثلا نجد أن النساء يمثلن أكثر من نصف السكان (51٪) ولكن أقل من ثلث القوة العاملة (28٪) وثلث المتعطلين ·

ومن المعروف أن أكثر من مليون ونصف من النساء يشتغل فى المنزل من أجل التجار أو المصانع مع استغلال قاس دون ضمان أو تأمين ويسمى « العمل الاسود » ·

وأسباب هذه الامور ترجع الى عناية المرأة بمنزلها وبخاصة أبناءها لنقصان الوضع بالنسبة للخدمات الاجتماعية كما هو الحال فى عدم كفاية عدد دور الحضانة ورياض الاطفال والمدارس ذات الوقت الواحد ·

وكل هذه الاسباب تقلل من امكانية المرأة للاندماج فى ميدان العمل والى جانب هذا فنجد أن التعليم والتخصص المهنى اللذان غير كافيين حتى الآن أو ينفذان بطرق

قضى عليها الزمن ـ يجعلان المرأة تتجه غالبا الى أنشطة مكملة لما يقوم به الرجل وقليلا ما تصل الى مستوى الادارة ، فهى لا تعرف شيئا تقريبا عن المكينة الزراعية وعن التكنولوجيا وأخيرا فان المرأة مرتبطة بالنطاق الاقل تأهيلا والاقل مكافأة واستقرارا فى عالم العمل • وقد اختتم رئيس مجلس الوزراء الايطالى أعمال المؤتمر بخطاب عرض فيه مشروع القانون الجديد الذى قدمته وزيرة العمل لمراعاة المساواة فى المعاملة بين الرجال والنساء فيما يختص بالعمل ورعاية المرأة • وقد وافق مجلس الوزراء على هذا المشروع القانونى فى الجلسة المنعقدة يوم 23 ديسمبر سنة 1976 وهو يمنع أى تفرقة بين المرأة والرجل فى التعيين من أجل العمل على السواء بين الرجل والمرأة •

وفى الواقع نجد أن جميع التسهيلات للمرأة نظرا لامومتها الى آخره أصبح يتحملها التأمين الاجتماعى ، ولا يفوتنا أن الرجل قد حظى هو الآخر بالاستفادة من أيلولة المعاش وبالعلاوات الاجتماعية •

وللاسف يجب أن نستبين أنه لم يؤخذ بعين الاعتبار فى هذا المشروع القانونى الهادف الى ازالة أية تفرقة بالنسبة للمرأة فى مجال عمل المرأة مشكلتان كبيرتان : أولاهما العمل بالمنزل وهو مثقل بالمسؤوليات ولكنه خال من الاعتراف القانونى ولو أن له قيمة اقتصادية لا تحصى منافعها ولا تجازى ـ وثانيتها : هى العمل الذى تقوم به المرأة نفسها حسب الطلب (العمل الاسود) وهذا الاخير على الرغم من قانونى سنة 1958 وسنة 1973 المنظمين له لا يزال حتى الآن يتهرب من أى اشراف ولهذا السبب قهرت التجاهل التام لهذين القانونين لاسباب كثيرة غنية عن البيان •

ومما عرضته حتى الآن يتضح جليا أن المشرع قد اعترف للمرأة العاملة بنفس حقوق الرجل وبنفس المكافأة التى يستحقها الرجل عندما يؤدى كل منهما نفس العمل • أما فيما يختص بالاسرة فقد وضعت المرأة فى حالة استقلال تام ومساواة مع الرجل ولكن لننظر كيف تسير الامور فى الواقع ، نجد أنفسنا أمام هذه الظاهرة : تشريع متقدم وحديث منبعث من النظرة الى مجتمع متحرك ولكنه قد طعمت به واقعية اجتماعية لا تزال غير مهيأة فى التركيب ومرتبطة بهيكل قديم متأثر بتقاليد تريد أن تجعل من المرأة جزءا من اطار المنزل وتبقى فيه أو أن تشتغل فقط فى أنشطة مكملة

لما يفعله الرجل أو قائمة بأعمال يدوية وعلاوة على ذلك فان المرأة توجه فقط الى فروع وقطاعات للانتاج ومنهن كالمساعدة الاجتماعية والمعلمة والمحرضة ومربية الاطفال ومساعدة الاسرة وهى أعمال فى جوهرها وظيفة الام على المستوى الصناعى ٠

حقا أن هناك نساء قد احتللن مناصب فى الاعمال الحرة والثقافة وفى أعمال كانت مغلقة أمامها حتى الآن (كقبطان باخرة وسائق قطار سريع) وحتى أيضا فى ميدان السياسية من عدة سنوات ولكن هذه أمور استثنائية لان أغلبية النساء لا زالت تعمل على هامش النشاط الانتاجى ٠

ويمكننى الآن أن أختتم معترفة بأن التكوين الاجتماعى الحالى يمنع المرأة غالبا من أن تعتبر العمل نشاطا ضروريا وليس اضافيا أى كشىء مؤقت هو وسيلة لكسب مرتب آخر هو استثناء مما خلقت له وهو أن تكون زوجا وأما ٠

ولكن المشكلة أبعد من التكوين الاجتماعى وفى الواقع اذا لاحظنا ما يحدث فى بلاد أخرى وفى أوضاع أكثر تقدما منا ونظم وخدمات اجتماعية أحسن نرى أن المرأة عندما ترجع الى المنزل تبدأ فى العمل من جديد أيضا وفى النهاية نجد أن المساواة أدت الى أن تعمل المرأة مرتين ٠

لا أعتقد أن هناك حلولا عامة لهذه المشكلة نظرا لان الامر يتعلق بمشكلة شخصية بطريقة ما ٠ وفى الواقع هى معتمدة أيضا على القوة المعنوية والجسمية لكل امرأة وكذلك على عزيمتها وشجاعتها وأكثر من هذا على اختيار المرأة وكجميع الاختيارات لابد من الجهد ومن التضحية ولابد أيضا أن تقتنع المرأة التى حصلت على حقها فى الوجود كشخص وكمواطنة بوظيفتها التى لا يستغنى عنها فى المجتمع وواضح أن هذا فى الاسرة أيضا وفى الامر الاخير يجب عليها أن تبذل جهدها لتحقيق كيفية جديدة من الحياة بوسيلة تربية تهدف الى الاحترام والتفاهم المتبادلين والتعاون الاكثر تكاملا فبتغيير نفسها تغير أيضا الرجل الذى يعيش بجانبها سواء أكان زوجا أو أخا أو ابنا ٠

وفى اطار هذا الملتقى عن التفكير الاسلامى لابد لنا الآن ولو بايجاز من النظر الى الوضع الحالى لاخواتنا المسلمات فى الاسرة وفى المجتمع ولكن نظرا لاننى مهتمة بدراسة العالم العربى الاسلامى بخاصة لا أستطيع أن أتكلم الا عن هذا القطاع .

لقد أعطى الاسلام بلا شك للمرأة العربية قيمتها بعد أن كانت خاضعة لعادات الجاهلية وحسن من حالتها معلنا المساواة الجوهرية بين الرجال والنساء . وتقرأ فى القرآن الكريم فى سورة الانعام الآية 98 : « **وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة** » .

ومن ناحية الدين والاخلاق فقد تساوت المرأة مع الرجل ولها نفس الواجبات المعنوية والدينية وفى الآخرة نفس العقوبات والثواب . فنقرأ فى سورة النحل الآية 97 « **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** » .

وفى سورة الحجرات ، الآية 13 « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير** » .

وكذلك فى سورة النساء ، الآية 124 « **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا** » .

وينص القرآن على المساواة المطلقة فى عقوبة كل من الزانى والزانية وهى مساواة اعترف بها فى ايطاليا منذ وقت قريب فقط ونقرأ فى سورة النور ، الآية الثانية : « **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** » .

وهكذا بالنسبة لانواع أخرى من العقوبات ففى سورة المائدة الآية 38 : « **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم** » .

وكذلك فى سورة النساء ، الآية 32: « **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** » .

ولان المرأة والرجل متساويان فى النظام الدينى والخلقى للاسلام فان المرأة فى الوضع السياسى وغالبا القضائى أقل من الرجل فنحن نجد أن المرأة خارجة عن السلطة العليا فلا يمكن أن تتولى منصب القاضى أو الامام أو الخطيب أو الولى وفى

القضايا شهادة الرجل فى الغالب تساوى شهادة امرأتين وفى الميراث يعطى للمرأة غالبا نصف نصيب الوارث والمرأة بالنسبة للطلاق حقها أقل من حق الرجل ·

ولكن كل هذا لم يمنع المرأة فى صدر الاسلام أن تلعب دورا مهما حتى فى الحياة العامة ـ يكفى أن نستحضر الدور الذى قامت به نساء مثل خديجة وعائشة · ومن ينسى نساء مثل الخنساء وسكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة ورابعة العدوية وزبيدة زوج الرشيد وبوران زوج المأمون ·

واذا كانت مراجع الادب قد حفظت لنا هذه الاسماء فمن يدرى كم من النساء لسن أقل منهن قد عشن مغمورات ولكن قد ساهمن بعملهن فى تكوين عظمة الاسلام :

ربات بيوت وقرويات وعاملات مهضومة وسيدات بسيطة قد أعطت مآثر قيمة بعملهن الدائب وانكار ذاتهن وتضحيتهن فى جميع ميادين الحضارة العربية الاسلامية ·

واذا كنا ذكرنا كل هذا فلابد أيضا من الاعتراف بأنه على أثر النفوذ الاجنبى وكثرة الاحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية تكونت أوضاع تاريخية جعلت المرأة تقاسى حالة من الظلم ونقصان القيمة فى محتوى المجتمع العربى الاسلامى ·

وكان من الضرورى اذن اصلاح حالة المرأة والتكوين العائلى بما يناسب التقاليد الاسلامية · وقد ظهرت فى الاسلام حركة حديثة بارزة دائما من أجل تحرير المرأة مع مراعاة عدم التمسك الشديد بتقاليد قانونية تستطيع أن تكون معوقة لمطالب الحياة الحديثة والمصالح العامة وعدم الانفصال التام عن الماضى ·

وفى هذه الحركة قد جاهد كثير من الرجال والنساء ولا يزال منهم من يجاهدون حتى الآن وقد حصلوا على نتائج ملحوظة ·

ولنذكر عن طريق المثال السيد جمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده وقاسم أمين والشيخ طاهر الجزائرى وهدى شعراوى وعائشة التيمورية ومى زيادة وكثيرون وكثيرات ممن أكدوا ضرورة تطبيق المساواة فى الحقوق والواجبات بين الرجال والنساء وهذا لتكوين المجتمع العربى الاسلامى الجديد ·

ويجب أن نذكر أنه فى أوقات التقدم للنصر من جهة حركات التحرر الوطنى فان النساء دائما الى جانب الرجال ويتعاون معهم دفاعا عن الحرية وعن حقوق الوطن · ولنذكر عن طريق المثال دور النساء فى مصر أيام الحركة الوطنية برئاسة سعد زغلول وكذلك النساء فى الشام والعراق وما قامت به المرأة الجزائرية من أجل تحرير بلدها عندما جاهدت مع الرجل معطية برهانا للبطولة وكاتبة لصفحات مجد فى تاريخ بلدها ونذكر أيضا النساء الاخريات اللائى ينتسبن الى العالم العربى المعاصر من الخليج الى المحيـــط ·

ولكن المساهمة التى بذلتها النساء للتحرير الوطنى لم تكن دون نتائج فقد ساعدت هذه المساهمة فى تطور المرأة وأسرعت بها بالسير الى الامام ومن الدوافع الاخرى التى أدت الى هذه النتائج انتشار التعليم على جميع المستويات ، وقد تحقق الكثير وفعــلا حصلت المرأة فى بعض البلاد العربية على الحقوق كاملة فقد اشتركت فى السياســة وفى السلك الدبلوماسى ونالت مناصب رئيسيـــة فى الوزارات وفى النقابات وفى الصحافة وثبتت أقدامها فى المهن الحرة ولكن هذا دائما كما هى الحالة فى ايطاليــا وتقريبا فى كل العالم يتعلق بأقلية · وتقدم المرأة لا يزال حتى اليوم تقدما لبعض النساء فقط ولهذا فقد بقى الكثير لعمله وطبقا لما يتفق مع مبادىء الاسلام ·

فمن الضرورى انتشار التعليم أكثر فأكثر وتحسين التكوين المهنى واعطاء المزيد من الخدمات الاجتماعية المفيدة جدا لان المرأة بفضلها يمكن أن تقسم بين عملها الخارجى وعملها المنزلى بتضحية أقل توفق بين واجباتها كزوج وأم وواجبات عملها ·

واذا كانت تلك الواجبات الاولى ـ فى نظرى ـ مهمة جدا لان الاسرة هى النواة الاساسية للمجتمع ، فان الواجبات الثانية ليست أقل أهمية لان اشتراك المـــرأة فى ميدان العمل قوة لابد من جعلها فى خدمة المجتمع أيضا ، ومع هذا فان الاستقلال الاقتصادى الذى تناله المرأة بعملها يؤثر على وضعها فى الاسرة والسماح لها بحرية أكثر وبأمان وثقة واسعة عند القيام باختيار حاسم ·

ولاعد القول أنه بقى الكثير لعمله وليس هذا فقط بالنسبة للمرأة العربية بل لجميع نساء العالم وانى معتقدة أن كفاحنا ـ معشر النساء ـ سيسير الى الامام بتحقيق تعاون بين نساء العالم وبالطلب الى الرجال أن يساعدونا فى تحقيق المساواة بينهم وبيننا ليس فقط فى القانون ولكن أيضا فى الحياة اليومية وكذلك فى اعطائنا امكانية القيام بدور بارز فى بناء عالم جديد ، عالم مساواة ومشاركة وكرامة وسلام وأحوال من الحياة أحسن من أجل الجميع ٠



في غارداية : ويرى في الصف الاول : السادة والسيدات : شارل جيدز (كولورادو ـ أمريكا) ، سيغريد هونكه (ألمانيا الاتحادية) ، علي صبري (سوريا ـ روما) ، اسماعيل بلتيش (يوغوسلافيا ـ فيينا) ، عمر تومي الشيباني (ليبيا) ، عباس ببرسوف (أوزبكستان ـ موسكو) ، محمد اركون (الجزائر ـ باريس) ، ريتا فيندا (استوكهولم) ، عبد الله الشماحي (اليمن الشمالية) ، محمد عبد الله عنان (مصر) ، عمر فون ايرنفيلز (فيينا ـ هايدلبرغ) ، ارجمند كوران (تركيا) ، فرانسين مالي (باريس) ، محمد مجتهد الشبستري (ايران ـ هامبورغ) .

النقطة 4

لا تنمية بدون استثمار موارد الثروة الباطنية والتحكم المباشر فيها

السيد الجيلالى صارى

أستاذ بالمعهد الجغرافى

جامعة الجزائر



ثم يتأكد دور الموارد الباطنية ويتفوق على ما عداه الا حديثا ، بعد أن تمكن الانسان من تسخير الطاقة البالغة الاهمية والغاز الطبيعى ، واستطاع أن يتغلب على مختلف العقبات ويغير أوجه الاقاليم والبلدان تغييرا جذريا فكانت المرحلة الحاسمة فى تقدم الانسانية ، وخاصة النهضة العلمية والتقنية والاجتماعية ٠

وهذه النتائج التى حققت فى مدة زمنية قصيرة نسبيا ـ وذلك أثناء بضعة عشرات السنين الاخيرة فقط ـ أثارت وتثير دائما وبصورة أشد مما مضى مشاكل جد خطيرة تظهر فى الفوارق الجسمية التى يتميز بها العالم اليوم وتتمثل فى تقسيمه الى قسمين متناقضين ، قسم لا يأوى سوى ربع سكان المعمورة ولكنه يستهلك أكبر نسبة من المنتوجات العالمية ، وقسم يضم الاغلبية الساحقة من البشر لا ينال الا نسبة ضئيلة

من هذه المنتوجات سواء كان ذلك في ميدان الصناعة أو الانتاج الثقافي ، ويعاوني مشاكل متعددة ويتعرض للاوبئة والاضطهاد ٠

وهذه الوضعية خطيرة جدا ، وخاصة أن الفوارق تشتد وتزيد باستمرار في تبعية العالم المحروم وفي استغلاله واضطهاده في نفس الوقت ، فهل هذه ناجمة عن ضعف موارده الباطنية أم هل هي راجعة الى الاوضاع السياسية والاقتصادية الراهنة ؟ وبالخصوص أن هذا العالم «المحروم» يساهم مساهمة فعالة في التنمية الاقتصادية العالمية بوسائله البشرية والمادية وهناك عدد من بلدانه تحتل الصدارة في انتاج مواد أولية حيوية ولا سيما الطاقة الضرورية للصناعات الحيوية ٠

وهذه هي النقاط التي ثنوي تحليلها في اطار العناصر التالية :

- دور الموارد الباطنية في تحويل الاقتصاد العالمي ٠
- مشاكل وأخطار النظام الاقتصادي العالمي الحاضر ٠
- شروط استغلال الموارد الباطنية والتحرر ٠

1) دور الموارد الباطنية في تحويل الاقتصاد العالمي :

لم يتأكد هذا الدور ويتفوق الا منذ قرنين فقط بعدما توصل الانسان الى تسخير الموارد الباطنية للطاقة وبعد استغلالها بكميات ضخمة ، فاستعمال طاقة البخار ثم طاقة الكهرباء والنفط غير أوجه الاقطار والاقاليم تغييرا جذريا بالاضافة الى تحسين ظروف معيشة بعض الشعوب ٠

أ - الثـــورة الصناعية والمـوارد الباطنية :

ان تسخير طاقة البخار بعد مرحلة حاسمة في تاريخ البشرية وخاصة في البلاد التي توفرت فيها ظروف استعمال هذه الطاقة بكميات متزايدة أي الاقطار الـــتي تأهبت الى ادخال هذه الثورة والتي تملك أراضيها مناجم الفحم وبعض المعادن الاخرى ٠ فالطاقة الجديدة أصبحت منذ بداية القرن التاسع عشر تنشط وتدعـــم عددا مـــن

الصناعات كالنسيج والتعدين • وكذلك المواصلات الحديدية ابتداء مـــن 1830 ، والمواصلات البحرية « البواخر » ولذا ارتفع فجأة انتاج الفحم فى العالم من 100 م ط فى سنة 1850 الى 1330 م ط فى سنة 1913 (1) أى تضاعف بـ 14 مرة فى ظرف 75 سنة وأصبح المعبر المباشر لكل اقتصاد ولكل حيوية لا سيما وأن معظم هذا الانتاج اختص بعدد قليل من دول أوروبا وأمريكا الشمالية ، فثلث الانتاج كان يرجع قبيل الحرب العالمية الاولى الى الولايات المتحدة (513 م ط) ، والربـــع لبريطانيا العظمى (60 ٪ فى سنة 1890) و 23 ٪ لالمانيا ، وأما الباقى فكان يخص باقى أوروبا وروسيا •

ومثل هذا التفوق وهذا التوزيع يشاهدان فى انتاج مناجم الحديد ، فانتاج أربع دول بلغ 123 م ط (166 م ط للمجموع العالمى فى سنة 1914) منها 60 م ط للولايات المتحدة و 23 م ط لالمانيا ، و 21 م ط لفرنسا ، و 15 م ط لبريطانيا العظمى وبفضل هذه الكميات وما يترتب عنها احتلت هذه الدول الصدارة فى الاقتصاد العالمى ففرضت نفوذها على جهات واسعة من العالم •

وهكذا توسعت وتنوعت الصناعة بعدما تعزز فرع الحديد والصلب الذى أصبح منذ منتصف القرن التاسع عشر المحرك للنشاطات الحيويـــة كالميكانيكيا والآلات ، وصناعة البناء ، والورق والطباعة وكل هذه الصناعات تتطلب كميات مرتفعة مـــن الموارد الباطنية وأصبحت تستعمل حتى المعادن الغير الحديدية كالنحاس والرصاص والزنك ، واستعمال هذه الموارد التى توجد غالبا بعيدة عن أماكن التحويل لا تشكل صعوبة بسبب تعزيز وسائل المواصلات وأصبحت كميات هامة تنقل بين قارة وأخرى •

ولم ينحصر هذا التطور السريع فى الصناعة فحسب بل أثر تأثيرا بالغ الاهميـــة فى الزراعة فأدخلت هذا القطاع تحولات جذرية بفضل الوسائل الحديثة المتمثلة فى استعمال الآلات الزراعية كالجرارات التى كانت السبب الرئيسى فى توسيع الاراضى فى أمريكا واستراليا وغيرها ، كما أن ادخال المزروعات فى أراض مختلفة تم فى مثل هذه الظروف وكانت النتيجة رفع الانتاج وتنوعه وتصنيعه فى آن واحد فضلا عـــن التجارة العالمية وتغطية الحاجيات فى البلدان المتطورة •

وفى مثل هذا الجو تمت اختراعات احدثت ثورة صناعية أخرى فى أواخر القرن التاسع عشر بعد ما تمكن الانسان من استغلال طاقة الكهرباء وفرضت موارد أخرى وجودها فى الصناعة وخاصة مجال النقل ، وهى موارد النفط والغاز الطبيعى ·

ب ـ تفوق اهمية الطاقات الجديدة :

سرعان ما أصبحت هذه الطاقات تنافس الفحم نظرا لاختصاصاتها ومميزاتها سواء فى الحياة الاقتصادية أو فى الحياة الاجتماعية نفسها ، فضلا عن دورها الرئيسى فى المواصلات الجوية وغزو الفضاء ·

وللكهرباء وظائف معينة فى بعض المجالات فهى الطاقة المطلوبة فى عدد من فروع الصناعة خاصة تحويل بعض المعادن التى لها أهمية كبرى فى الاقتصاد ، وهى الالمنيوم والنحاس والزنك كما أن دورها فى النقل والحياة الاجتماعية لا تقل أهمية فعليها تعتمد المواصلات اللاسلكية والتلفزة والآلات المنزلية وآلات الادارات ، والمكتبات ، ولذلك قفز انتاج هذه الطاقة فجأة كما تدل عليه الاحصائيات ، فارتفع الانتاج العالمى من 4.64000 م ك و س فى سنة 1938 الى 6.248000 م ك و س فى سنة 1974 (2) وفى نفس المدة ارتفع انتاج الولايات المتحدة من 141.955 الى 1.941.000 م ك و س ، والانتاج السوفياتى من 504.000 الى 1.036.000 ، ومن المعلوم أن مصدر هذه الطاقة هو الماء والفحم وحديثا الغاز الطبيعى .

ويلاحظ تزايد مثل هذه الاهمية بالنسبة للنفط الذى تأكد تفوقه وسيطرته تقريبا على المصادر المذكورة خلال العشريات الماضية وكانت الاسبقية من حيث تطور حجم الانتاج ويتجلى ذلك فى الاحصائيات التالية : 271 م ط فى سنة 1938 ، و 772 م ط فى سنة 1955 و 2870 مط فى سنة 1974 أى تضاعف بـ 10 مرات فى ظرف 36 سنة ، ونفس الملاحظة تتعلق أيضا بالغاز الطبيعى اذ ارتفع انتاجه من 300.000 م ط فى سنة 1955 الى 1.272.000 م ط فى سنة 1974 وان كانت نسبته الى مجموع الطاقة المنتجة محدودة . (3)

وهكذا تبرز وتتأكد أهمية المحروقات ، فعلاوة على كونها مصدرا من مصادر الطاقة تعد أيضا من الموارد الاولية التى تحتاج اليها الصناعات العصرية ، وهى أنفع الموارد الاولية بالنسبة للصناعة الكميائية التى تعتمد على كثير من مشتقاتها ، فبعد عملية التكرير يستخرج من الغاز الطبيعى والنفط موارد فرعية متنوعة مثل الاثلين والبيرويلين والكحول التى تستعمل بدورها فى عدة صناعات أخرى تتمثل فى مختلف المنتوجات البلاستيكية التى تقوم اليوم مقام منتوجات مواد مختلفة كالخشب والزجاج والصلب أحيانا وخامات المنتوجات التقليدية كالصوف والحرير والقطن ، بل أصبحت منتوجات البلاستيك مطلوبة جدا نظرا الى اسعارها المعتدلة وانخفاض تكاليف نقلها من جهة وحسن استعمالها وأناقتها من جهة أخرى ، ولهذه المميزات أهمية كبرى جعلت هذه الصناعات تتوقف فجأة على عدد من الصناعات التقليدية خاصة منتوجات القرن الماضى وفرع كمياء الفحم ونلاحظ يوميا ادراج منتوجات الصناعات الحديثة فى الحياة اليومية سواء بالنسبة للاستعمال المنزلى أو الصناعى وهذا يدل طبعا على مدى أهمية هذا الفرع الصناعى الذى صار من جديد محركا لتنمية الزراعة اذ أنه يزودها بكل ما تحتاج اليه من أسمدة ومواد كيميائية ، فضلا عن تأثيره العميق فى الملاحة البحرية اذ أن اسطول ناقلات النفط تلعب الآن دورا رئيسيا بين البلدان المنتجة والبلدان المستهلكة كما أن أسطول ناقلات الغاز ظهر حديثا وسيتعزز بسرعة من دون شك .

وهكذا تتجلى لنا بوضوح دور الموارد الباطنية فى التصنيع وباقى المجالات الاقتصادية من زراعة الى نقل ومن مواصلات الى اختراع تقنيات فى مختلف الميادين ، فاستغلال هذه الموارد أدخل تغييرات جذرية فى العالم ولكن هل كانت فى صالح الجميع أم فى صالح أقليات أو بلدان معينة ؟ وفى مثل هذه الحالة ما هى المشاكل والاخطار ؟

2 ـ مشاكل وأخطار النظام الاقتصادى العالمى :

ان التحولات الاقتصادية الجذرية التى شهدها العالم خاصة خلال السنوات العشريات الماضية تعمل وتفرز مصالح أقليات محدودة فى العالم وبعض الشعوب

على وجه العموم بينما نتائجها وتأثيراتها المختلفة تخلق عدة مشاكل وأخطار بالنسبة لباقى البشرية ٠

أ ـ تقسيم العالم وتناقضاته :

اذا كانت الموارد المختلفة لا تتمركز فى أقاليم وأقطار محصورة بل تتوزع عبر العالم مع تكامل بين البلدان غالبا ، واذا كانت بعض مصادر الطاقة وخاصة تلك التى تلعب دورا حيويا فى الصناعات الحديثة توجد فى الدول التى لا تستغلها بصفة مباشرة ، فان الاستغلال والاستهلاك لا يخصان الا ربع البشرية فقط بينما امكانيات وطاقات باقى العالم هامة ومرتفعة جدا وكثيرا ما تأتى بعض الدول فى المرتبة الاولى فى بعض منتوجات الموارد الاولية كما يتجلى ذلك فى الاحصائيات ومثل هذه الوضعية تبرز فى الملاحظات التالية المعبرة كلها فى تقسيم العالم ، ذلك التقسيم البالغ الخطورة اذ ان الدخل الفردى السنوى لربع البشرية يزيد عن 2000 دولار ويرتفع أحيانا الى 4000 دولار بينما ينخفض المعدل بالنسبة لاغلبية بلدان العالم المحروم الى حوالى 100 دولار فقط ، وأما الفوارق بين القارات والمناطق فهى جد كبيرة ، فنسبة أمريكا الشمالية ترتفع الى 43٪ بينما نسبة سكانها لا تبلغ الا 7٪ (4) وأما أمريكا اللاتينية التى تمثل نسبة سكانها نفس نسمة شمال القارة فانها لا تنال الا 3 ، 4 ٪ من الدخل العالميواذا كانت نسبة سكان القارة الآسيوية تبلغ 54 ٪ فان دخلها منخفض جدا ولا يبلغ الا 12 ٪ فقط ... ويلاحظ أن هذه الفوارق فى زيادة متواصلة خلال السنوات القادمة ٠

وأما ما يتعلق باستهلاك أهم المنتوجات الصناعية وخاصة الطاقة نلاحظ أيضا فوارق جسيمة بين العالم المصنع والعالم غير المصنع بينما هناك علاقات وثيقة بينهما لان تصنيع الاول فى حاجة أكيدة الى موارد الثانى والى اليد العاملة التابعة له فاستهلاك الطاقة يبلغ حوالى 10 ط بالنسبة لكل فرد فى العالم الغربى بينما ينخفض المعدل الى حوالى العشر فى العالم الثالث ، واذا اعتبر مقياس آخر أكثر تعبيرا عن مستوى التصنيع وهو الفولاذ تكون الفوارق جسيمة أيضا اذ يقدر المعدل عندنا بأقل من 300 غراما بينما يتراوح بين 437 ، 721 فى أوروبا الغربية ٠

ومثل هذه الفوارق توجد أيضا فى المجالات الاخرى وخاصة فى استهلاك المنتوجات الزراعية والانتاج الثقافى ، ولذلك فان الوضعية الصحية والعلمية والثقافية تعانى مشاكل خطيرة فى العالم الثالث فهل يرجع ذلك الى فقر موارده وطاقاته ؟

ب ـ دور العالم الثالث فى التنمية العالمية وطاقاته :

اذا كان نصيب العالم الثالث ضئيلا فى الاستهلاك والانتاج الصناعى والعلمى والتقنى فان دوره هام فى بعض منتوجات الموارد وخاصة المحروقات وان كانت هذه الموارد تتمركز احيانا فى عدد قليل من بلدانه .

فسرعان ما أصبحت مساهمة العالم الثالث تتزايد بانتظام فى انتاج الموارد الاولية سواء كانت مصادر طاقة أو غير طاقة وقد تأكدت هذه المساهمة خاصة بعد الحرب العالمية الثانية وتتجلى الآن فى منتوجات المواد التالية : البكسيت ، والانتموان ، والكرم ، والكوبالت ، والايتان ، والمنغنيز ، والنحاس ، وزيادة على هذا التفوق أصبحت لبعض الدول اختصاصات فى انتاج مادة معينة كما هو الشأن للزايير بالنسبة للكوبالت ، وبولفيا بالنسبة للايتان ، بل هناك أيضا دول لا يستغنى عنها اذ أن منتوجاتها فى هذا المجال مرتبطة كل الارتباط بمركبات ومعامل الشركات المتعددة الجنسية ويتجلى مثل ذلك فى قارة أمريكا اللاتينية الى بعض خاماتها من النحاس والايتان والحديد التى تصنع فى شمال القارة ، والامر كذلك بالنسبة لمنتوجات الزايير أو زمبيا وغيرها من دول القارة الافريقية ، ونفس الملاحظة تتعلق بباقى دول العالم الثالث على وجه العموم باستثناء الصين .

وأما ما يتعلق بمصدر الطاقة ، خاصة النفط فى الوقت الحاضر ، والغاز الطبيعى فى المستقبل ، فان الفصل بين الانتاج من جهة والتصنيع والاستهلاك من جهة أخرى يكاد يكون تاما ، فاصبحت الآن دول الشرق الاوسط تحتل المرتبة الاولى فى انتاج النفط بعد ما كانت نسبتها فى الانتاج العالمى محدودة عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى سنة 1946 كانت لا تمثل الا 3 و 7،4 فقط ، أى 16 م ط . ثم ارتفعت فى سنة 1955 الى 22 ٪ (70 م ط) وبلغت 17 و 33 ٪ فى سنة 1974 بينما الانتاج العالمى يقترب من

مليون ط (5) وتدل آخر الاحصائيات على وجود تحسن ملحوظ فى صف الشرق الاوسط اذ أن العربية السعودية أصبحت تحتل المرتبة الاولى بدل الولايات المتحدة ، وفى استطاعة المنتج الا يزيد فى الانتاج نظرا لقوة احتياطاته ، كما أن الشرق الاوسط يحتل أيضا المرتبة الاولى فيما يتعلق باحتياطات النفط والغاز الطبيعى معا وهذا ما يبين أهميته فى المستقبل القريب ، اذا أن مثل هذه المواد تعد مواد استراتيجية للغاية خاصة وأن مشتقاتها بما فيها المحروقات كالبنزين والمازوت ... ومواد البلاستيك والاسمدة والنسيج وتلعب دورا رئيسية فى الاقتصاد العالمى لا سيما وأن هذه الصناعات المتعلقة بمعالجة النفط والغاز الطبيعى تتمركز على وجه العموم فى الغرب واليابان .

وهكذا تتجلى لنا أهمية بلدان العالم الثالث فى تنمية الغرب فصناعة هذا الاخير لا تستطيع أن تستغنى عن المواد الاولية المنتجة بعيدا عن مراكز الصناعة حسب ما كشف من ذلك ما سمى بأزمة النفط فى 1973 ـ 1974 حيث أصاب تخفيض انتاج النفط تسيير الاقتصاد الغربى وزيادة على ذلك يتجلى دور العالم الثالث أيضا فى ميدان آخر وهو الاستثمارات اذ أن الغرب يستقبل سنويا مبالغ هامة من رؤوس الاموال التابعة لبعض دول الشرق الاوسط تبلغ حوالى 40 مليار دولار فى سنة 1975 ونفس المبلغ يعادل نصف احتياط العملة الصعبة والذهب فى الغرب كله . (6)

وهكذا تتأكد لنا بصفة فظيعة أهمية دور الموارد الباطنية فى الاقتصاد العالمى وبالتالى فى التنمية العامة ومثل وجود هذه الموارد فى بلد ما من العوامل للتغييرات الجذرية فى شتى الاماكن ولكن هذا العامل وحده غير كاف كما تبينه الاوضاع الراهنة المتمثلة فى استغلال ثروات العالم الثالث وتبعيته ، ولذلك يتوجب علينا أن نعالج شروط استغلال الموارد مباشرة ليتسنى لها ان تكون فى خدمة مصالح المنتجين أى أغلبية البشر .

3 ـ شروط استغلال الموارد الباطنية والتحرر :

بما أن وجود الموارد الباطنية له أهمية كبرى فى الاقتصاد الحديث وتعد احدى عوامل التنمية علينا أن نحلل العوامل الاخرى وذلك باستخلاص تجربة العالم المتقدم

وان كانت ظروف نهضته غير الظروف التى يعيش فيها الآن العالم المتخلف . علينا أن نمعن النظر جيدا فى هذه الظروف نفسها وفيما تمثله من عقبات فى طريق التنمية.

ان هذه العقبات كلها تقريبا سواء كانت على المستوى الوطنى أو المستوى الدولى انما هى نتيجة النظام الاقتصادى العالمى الذى عزز ولا زال يعزز العلاقات الموجودة بين العالمين ، والتى تخدم العالم المتقدم على حساب العالم المتخلف كما يتجلى ذلك من الملاحظات التالية : فرغم ارتفاع أسعار المواد الاولية حديثا الا أنها لا تتناسب مع الواقع الاقتصادى العالمى بل هناك فوارق كبيرة بين تطور أسعار المواد الخام وتطور المنتوجات الصناعية وبصفة عامة كل القوة الشرائية لبلدان العالم الثالث خاصة وانه أصبح مضطرا الى استيراد أشياء كثيرة كما أنه أصبح أيضا يقدم الى أوروبا الغربية أفواجا كبيرة من الايدى العاملة التى لا تكلف الشركات المتعددة الجنسية أية مبالغ لتحضير هذه القوة منذ نشأتها بل يتم ذلك فى البلدان المصدرة لليد العاملة .

هذا ومن جهة أخرى تلاحظ علاقات أخرى تخدم أيضا مصالح العالم المتقدم فنظرا الى تفوق هذا الاخير فان النقل والمواصلات والاعلان وغير ذلك تسيطر عليها الدول المتقدمة بواسطة الشركات الوطنية والمتعددة الجنسية ، بل أصبحت هذه السيطرة تغطى حتى النظام السياسى فى عدد كبير من الدول المتخلفة ولذلك تتلاشى السيادة الوطنية تدريجيا فى هذه البلدان

فمثل هذه الوضعية السياسية خطيرة جدا لانها تزيد فى اضطهاد الشعوب بالاضافة الى تعزيز التبعية ، وليتحتم وجود سلطة قوية تعمل والمصالح العامة الشعبية فالتحرر السياسى يكون اذا شرطا أساسيا ويتوقف عليه حتميا الشروط الاخرى على المستوى الوطنى ، فاذا كان حقيقة يعمل ويخدم مصالح الجماهير لا مصالح الاقليات فانه من الممكن أن يتغلب على العقبات ويستطيع أن يمهد الطريق لادخال تغيرات جذرية وهى المرحلة الحاسمة لكل انطلاقة بناءة ففى هذه الحالة من الممكن أن تغير البنيات الاقتصادية والاجتماعية الموروثة فتجند القوات الحية لوضع أسس متينة لكل بناء طويل الامد يتماشى وترقية الكادحين فى اطار مخطط محكم يراعى ويضمن متطلبات التنمية

الشاملة ومهما كانت المجهودات المبذولة على الصعيد الوطنى فان العقبات تبقى كما هى على المستوى الدولى نظرا الى الاوضاع الراهنة التى أشرنا اليها سابقا وهنا لابد من تعاون مثمر متواصل بين الدول المعنية بالامر أى الدول المتخلفة ، فعليها أن تتضامن وأن تنسق سياستها ولو فى برامج محدودة بعد دراسة عميقة للوضع الاقتصادى الحاضر وعليها دائما أن تعمل جنبا الى جنب كما هو الشأن فى الغرب ٠

وبالفعل فان لكل تنسيق ولكل تضامن من نتيجة كما يتجلى ذلك مثلا فى وحدة الصف لمنظمة دول منتجى النفط ٠ فان النتائج التى حصلت عليها خلال هذه السنوات الماضية هامة جدا وقد أرغمت الغرب على عقد الحوار بين الجنوب والشمال وقبول مناقشة المشاكل المختلفة المتعلقة الآن بين العالمين وأن لا يقتصر النقاش على أسعار المواد الاولية فقط ٠

ولكن الطريق لا زال طويلا وشاقا كما تبينه الاحداث الاخيرة ومن الواجب مواصلة المجهودات وتنسيق أكثر مما مضى فى الميادين المختلفة بين شعوب دول العالم الثالث كما أن كل هذه المجهودات يجب أن ترمى دائما الى تحرر اقتصادى متين هدفه تنمية شاملة وليس نهضة قطاع معين فقط كما هو الامر غالبا الآن فى العالم الثالث ، فكل التحليلات تلح على هذه النقطة الرئيسية ، فالتنمية لا تتوقف على زيادة انتاج مادة أو مادتين ولو كانتا استراتيجيتين كالنفط والغاز الطبيعى وانما ذلك احدى عوامل التبعية ، كما أن التنمية لا تتوقف أيضا على تنمية قطاع معين ولو كانت فروع صناعتها حيوية لان المواد الزراعية أصبحت هى الاخرى تلعب دورا هاما وأصبحت سلاح الغرب ٠

ان التنمية الشاملة غير ذلك فهى انفراج حاسم يتحقق شيئا فشيئا حينما تستوفى الشروط المشار اليها وحينما تحدث تغيرات هامة على المستوى الاقتصادى والاجتماعى ، فعلى المستوى الاقتصادى قد يعود الدور الرئيسى الى الزراعة أو الصناعة أو كليهما معا ، ومهما كانت الظروف فالصناعة دور حيوى اذ انها القطاع الذى فى استطاعته أن ينشط القطاعات الاخرى ولا سيما الزراعة التى يزودها بالآلات الميكانيكية والكهربائية ، وكذلك الاسمدة والمواد الكمياوية فتندرج حينئذ فى

الاقتصاد الوطني وتنشطه ، ومثل هذه الظروف هامة ولها علاقة وثيقة بالتنمية العلمية وهكذا يقضي تدريجيا وبصفة لا رجعة فيها على البطالة والتخلف .

ولكن هذا الدور لا يتم الا في شروط معينة كاقامة سلسلة من فروع الصناعة التي لها تأثير بالغ في التصنيع الشامل أي بناء فروع حيوية مستقلة عن الخارج ولها ارتباطات متينة مع باقي المجالات الاقتصادية الوطنية وهذا الدور يرجع الى ما يسمى بالصناعات المصنعة (7) وهنا تتجلى لنا الفوارق بين هذه الفروع والفروع التي أصبحت تشيد حديثا هنا وهناك من طرف الشركات العالمية فهي كثيرا ما تتمثل في في فروع معينة غايتها التخلص من التلوث في مواطن الشركات العالمية ، أو استغلال موارد والايدي العاملة في آن واحد في البلدان المتخلفة ، وهذا التصنيع الحقيقي متقيد دائما بالاستقلال الوطني .

وأما ما يتعلق بالتنمية الاقتصادية وتأثيرها في التخلص من المخلفات الاجتماعية فيظهر ذلك في تزايد أفواج المستخدمين من جميع الاختصاصات ومن عدة مستويات وتكون العامل الفعال في توسع ديمقراطية التعليم وفي تدعيم البحث العلمي والتقني والتنشيط الثقافي ، وكل هذا لا يتحقق تدريجيا وبصفة حاسمة الا في ايطار تنمية شاملة مدعمة من سلطة وطنية في استطاعتها أن تسخر كل الوسائل البشرية والمادية لخدمة مصالح الجماهير والطبقات الكادحة .

وهكذا تتجلى لنا في النهاية شروط استغلال الموارد الباطنية ودورها الرئيسي في كل تنمية شاملة تتماشى والسيادة الوطنية من جهة ، وترقية الجماهير من جهة أخرى .

الخلاصة :

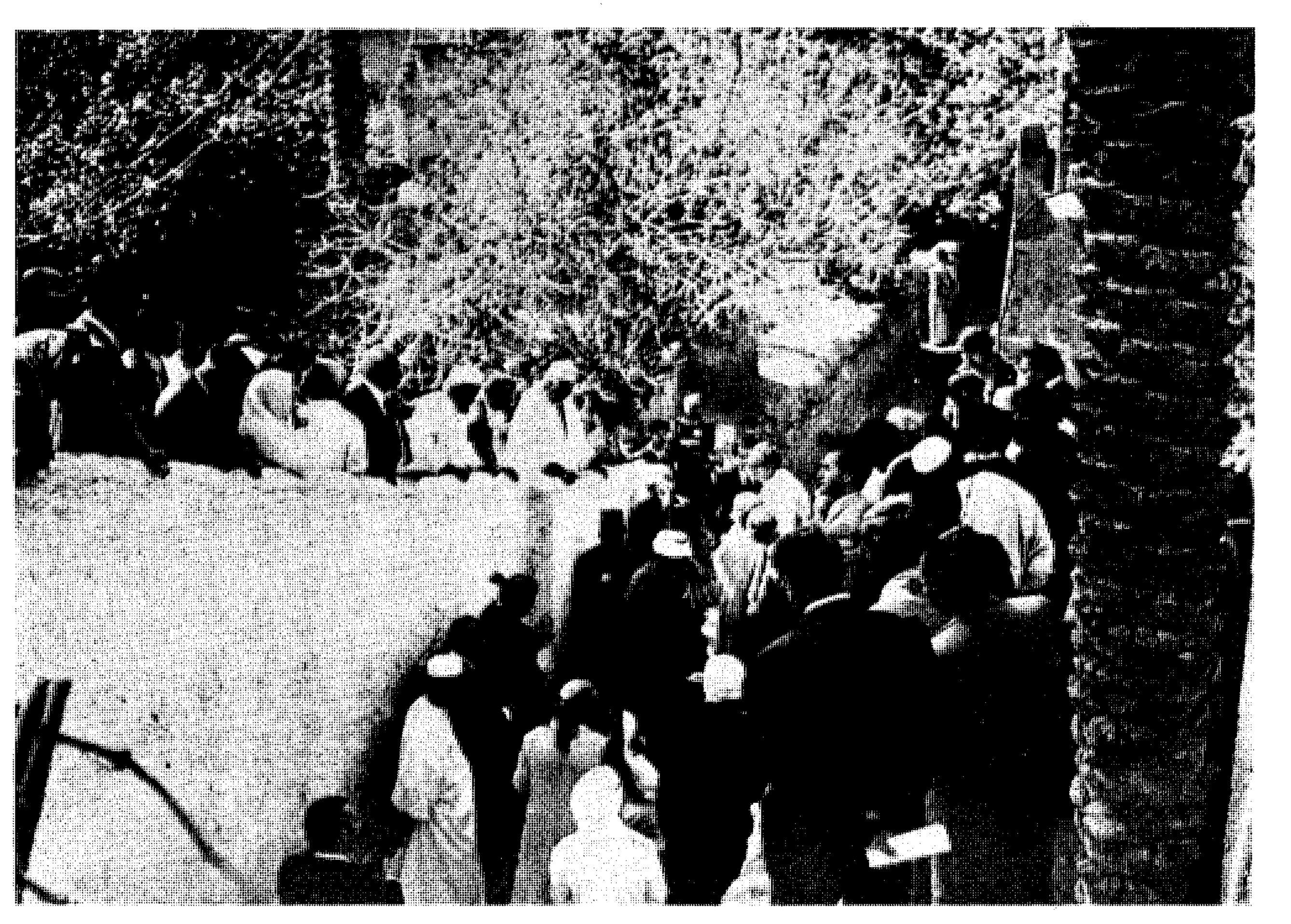
ان الموارد الباطنية أصبحت تلعب دورا هاما وحاسما في النهضة الحديثة وذلك بعد ما استطاع الانسان ان يستغل الطاقة الطبيعية بكميات هامة ، فتغيرت بسرعة أوجه بعض البلدان بفضل التغلب على الطبيعة والعقبات ، وفتحت آفاقا جديدة تتجاوز الآن الحدود الارضية الضيقة .

ولكنه سرعان ما نتج عن هذه التحولات الجذرية مشاكل وأخطار تتمثل فى الفوارق الجسيمة الموجودة بين العالم المتقدم والعالم المتخلف خاصة وان تنمية وتفوق الاول كثيرا ما تواصلتا على حساب الثانى اذ أن الموارد المختلفة لم تتمركز فى احداهما بل تتوزع عبر العالم كله كما أن هناك عدة علاقات بين العالمين الا أن وضعها تحكمت فيه وأشرفت عليه مباشرة الدول الصناعية ٠

ولهذا لابد من جعل حد لمثل هذه العلاقات والمبادلات وما ينتج عنها أى لابد من تغيير الاوضاع السياسية والاقتصادية التى تتخبط فيها الآن معظم دول العالم الثالث وذلك ليتسنى لها أن تستغل ثرواتها مباشرة وتشرف على شؤونها حسبما تمليه مصالح جماهيرها وذلك لتوفير كل الشروط لتحقيق تنمية شاملة ، أليس تلك متطلبات كل الشعوب ؟ وهل التنمية ليست السبيل المستقيم للتعاون المثمر ولتقارب الشعوب ؟

الهوامش :

(1) J.A.L. Sourd et C. Gérard : Histoire économique, XIXe et XXe siècle, Paris 1963, collection U, A. Coio.
(2) J. Beau Jeu Garnier : Image économiques du Monde 1975, Paris 1975, p. 53
(3) J. Beau Jeu Garnier : Image économiques du Monde 1975, Paris 1975, p. 57-9
(4) Finances et Développement Waingt thon 1972, B.I.R.D.
(5) Beau Jeu Garnier op. cit.
(6) Le jeu de l'oie du pétrole, le Monde du 18-11-76.
(7) Destonnes de Beroie : Les industries industrialisantes et les options algérinenes. Revue du Tiers Monde, Paris, juillet, septembre 1971, n° 47, pp. 545-564.



الملتقون فى مكان توزيع المياه فى ضواحى غارداية ٠

البترول العربي
نعمة أم نقمة على العرب ؟

د. محمد على صبرى
مدير مركز البحوث والانباء الاسلامية
(شيزى) فى روما (ايطاليا)
مدير المناجم والبترول سابقا فى سوريا

الاخ وزير التعليم الأصلى ، اخوانى وأخواتى .

كان بودى ان احدثكم بشكل مفصل عما تحتوى عليه بطون الارض من الثروات الطبيعية فى العالم الاسلامى وبشكل خاص من النفط سيما ونحن فى ضيافة دولة عربية منتجة للنفط وفى ولاية النفط بالذات ، لكن وقت الفراغ الموجود تحت تصرفنا فى ورقلة كما ترون قصير جدا فاكتفيت بالملامح الآتية التى سجلتها هنا لاعطائكم فكرة واقعية عن النفط ومشاكله لنتخلص منها فيما اذا كان البترول العربى نعمة أم نقمة على العرب .



ثروات الارض الباطنية هى بشكل عام نعمة اذا أحسن استخدامها وتصنيعها وتم التحكم فى استثمارها بمعنى ان المنجم مكمن محدود الاطراف له طرق فنية لاستخراج

فلزاته بكميات يجب ان تتناسب مع اتساع حجمه والامكنة التى يستخرج منها وبظروف اقتصادية ملائمة تتماشى مع أعمال التسويق والجهات المستهلكة ... فاذا اختلت هذه الشروط أو اختل بعضها ضاعت الفائدة الكاملة من المنجم وتناقصت هذه الفائـــدة بنسبة هذا الاختلال ...

فى بطون الارض مناجم كثيرة ولكن المنجم لا يعد تجـــاريا الا اذا كانت عناصره الايجابية تفوق العناصر السلبية التى تصرف فى سبيل استثماره اما محليا أو خارج منطقة الاستثمار .

لنتحدث بعد هذا الايجاز عن النفط وعن الجوانب البترولية التى عشناها ونعيش بهـــا .

النفط فى الشرق الاوسط كان من أهداف الحرب العالمية الاولى ، فاينما كنت تجد النفط كنت تجد معه الاحتلال الاستعمارى الغربى ... وكان العرب خداما لثرواتهم البترولية ومع الاسف ظهر البترول عندنا ونحن فى هوة سحيقة من الجمال . كـــان النفط يتنقل من أراضينا بالانابيب ومحملا على البواخر الى أوروبا وأمريكا واليابان أمام اعيننا وباسعار رمزية مذهلة عمرت أوروبا من بترول العرب وزدهرت صناعتها ودخلت فى عصر التكنولوجيا وعمت خيرات البترول العربى على كل فرد غربى وارتفع مستوى الحيـــاة ...

ولم يصبنا نحن العرب من هذه الثروة الا رخاء ملوكنا وأمرائنا بوبال الاثم علينا فاكتفينا بالقشور الذهبية التى كان يتفضل بها المستعمرون علينا ولم تكن بأكثر من اثنى عشر بالمائة من الفوائد التى كانوا هم أنفسهم يسجلونها ويراقبونها ويجددونها .. اما حقوق نقل النفط بالانابيب عبر البلاد البترولية فكانت مجانية تقريبا وحكوماتها العربية المحكومة بالانتداب ملزمة بالمحافظة عليها من التعديات .. وزيادة فى الحرص على الاستغلال وخوفا من ضيـــاع هذه الثروة الفخمة خلال عشرات السنين مهـــد المستعمرون لاقامة قاعدة لهـــم فى الشرق الاوسط فأقاموا بالتدرج دولـــة اسرائيل لينطلقوا منها فى كل مرة يشعرون بالخطر على مصالحهم .

المتتبع لتواريخ تحريات النفط ونتائجها الايجابية يلاحظ ان بهذه التواريخ بالذات ابتدأت عمليات هجرة اليهود الى فلسطين وعندما اكتشف النفط بكميات اقتصادية كبيرة ابتدأت عندنا ما يسمونها ـ بازمة الشرق الاوسط ٠

كانت من نتائج الحرب العالمية الثانية دخول دولتين عملاقتين الى المنطقة هما الولايات المتحدة الامريكية وروسيا وتفننا فى ابتزاز أموال النفط ، الاولى تأخذه عينا وتعطينا الدولارات عن طريق الترانزيت لنسلمها بدورنا مرغمين الى الثانية ونأخذ بدلا عنها أسلحة دفاعية لنتقى بها شرور اسرائيل العسكرية ونستعملها أيضا لتنفيذ المخططات الاستعمارية المتمثلة فى الانقلابات واقامة الاحزاب السياسية التى تكونت بجميع ألوان التيارات المعروفة بالعالم ٠٠ من أقصى اليمين الى أقصى الشمال وكان هذا التخطيط لابد منه لمنح المستعمرين الامتيازات البترولية التى كانت تبرم بحراسهم تشريعية من قبل الحكام المستعمرين والامراء وليس من مجالس الشعب ٠

الدولة الاولى التى تصدت لهذه التصرفات الجائرة هى سورية ، ألغت امتياز النفط الذى منحه الفرنسيون باسمنا الى انكلترا واعتبرت اتفاقية الانابيب التى تمر بالترانزيت من الطرق الى سورية فى أوائل الخمسينات غير لائقة ومجحفة ٠٠ وكنت آنئذ مديرا للمناجم والبترول فى دمشق ٠

ظل الامتزاز من المستعمر والحكام والامراء فى الظروف التى تعرفونها الى حرب رمضان 1973 حيث تضامن العرب بعد نكستهم واستطاعوا انطلاقا من الحركات التحررية الى تحطيم بعض السلاسل الاحتكارية البترولية فتصرفوا تحت ظل القوة العسكرية التى نضجت بمرور الزمن الى تحديد شرائط بترولية أفضل وسعر جديد للنفط ارتفعت بموجبه العوائد الى نيف وثلاثة اضعاف وتوصلوا بعد الجهد الجهيد والتأنى العميق الى مناصفة الارباح مع المستثمر ثم الى التأميم ٠٠ والراجح ان للعملاق الامريكى يدا فى هذا الموضوع استعملها ليصقع بها بعض الدول الاوروبية التى تطاولت بطلب التحرر من الضغط الامريكى عليها ٠٠ فكسرت الجرة على رأس الدول الصناعية فى أوروبا وتحسنت بعدها أوضاع أمريكا واستقام ميزانها التجارى

واستقرت عملتها من الاموال الطائلة التى أتتها من الشركات الامريكية صاحبة امتياز النفـط العـــربى ٠

اما القاعدة الاسرائيلية فقد انتقلت ملكيتها من المستعمرين الاوروبيين القدماء الى العملاقين الجدد فامريكا تمنـــح اسرائيل الاسلحة الفتاكة وروسيا تمونها بالعلجاء والضباط والجنود لتجعلان منطقة النفط جميعا مع أصحاب البترول ٠ اما النفط فيسيل بصورة منتظمة وبعيد عن الضجيج فى الانابيب كشريانات الدم فى جم البلاد العربية لتمتصه ناقلات النفط العملاقة وتوصله الى جميع انحاء الدنيا لينعم به الجميع ٠٠٠ ونحن نقاسى مد سلبياته ٠

بينما نحن نتحكم هنا الآن تجرى معركة قوية بين البلاد العربية المنتجة للبترول بدسائس المستعمرين سماها المراقبون (بحرب الاسعار) لان بعض العرب زعمـــوا ان سعر البترول عال ولا حاجة لرفع سعره ٠٠ بينما هو فى الواقع رخيص ٠٠ ان القوة الشرائية لسعر البرميل من النفط رغم ارتفاع هى كما كانت بالسابق تماما لان سعر المواد الاستهلاكية ارتفع أكثر من ثلاث مرات عما كان عليه فى الخمسينات بنتيجة التضخم المالى الحالى ٠٠٠ وسعر البترول المنطقى بالنسبة الى ما يماثله من الطاقات يجب ان يتراوح بين ت د ص دولار للبرميل وعندى دراسة مفصلة فنية خاصة بذلك فى رومـــــا ٠

لا أريد ان اتعمق أكثر من ذلك بهذا الموضوع وانما أشرت اليه لاوضح حادثـــا غريبا وهو ان الدولة الصناعية فى أوروبا وأمريكا واليابان تستطيع ان تضاعف اسعار منتوجاتها مرة ومرتين وأكثر بدون ان يرتفع صوت الانسان ٠٠ اما نحن اذا تدخلنا بأسعار بترولنا فتقوم الدنيا وتقعد ٠٠٠ دول العالم تصنع على بترول العرب فى بلاده ضرائب خيالية 200٪ 400٪ 500٪ ٠٠٠ وترفع سعره بشكل عجيب وتمـلأ خزائنها من هذه الضرائب وتنفذ مشاريعها العمرانية على حسابنا ٠٠٠ وتدعى باننا نحن الذين نرفع سعر النفط ونمتص أموال العالم ٠

ألقى الدكتور برهان الدجانى أمين الاتحاد العام للغرف التجارية للبلاد العربية محاضرة فى روما منذ أسبوعين عنوانها (دور الدول العربية فى الاقتصاد الدولى) يستمع اليها عدد كبير من رجال الاقتصاد والمال والسياسة استعرض فيها الحالة الخيالية التى يتصورها الناس عن العالم العربى وقال ان العرب عندما يتكلم عن الاقتصاد الدولى يتخيل ان العالم العربى غارق فى الثروة والاحلام ويوجه اليه التهم الباطلة على تأثيرات السلبية التى يسببها من جراء احتكاره للثروات المالية والقطع النادر وضغط عن تحديد الاسعار وتوظيف الاموال وتملكه الصناعى والعقارى فى البلاد المستوردة للنفط ولكونه عاملا مؤثرا على الحالة الاقتصادية المنهارة التى يتخبط فيها العالم اليوم ـ وأكد الاستاذ برهان فى محاضرته ان الحالة ، من وجهة النظر العربية تختلف تمام الاختلاف عما يتصوره الغربيون عن البلاد العربية ٠ ان الدول العربية المنتجة للنفط هى التى ترضخ دائما بدون قيد وشرط الى مطالب المجموعة الدولية بوجه عام ومجموعة الدول الصناعية فى الغرب واليابان بشكل خاص لتؤمن لهم احتياجاتهم من النفط الخام ٠٠٠ وبهذا الشكل تحرم البلاد العربية المنتجة لخامات النفط من امكانية تطبيق برامجها العمرانية وتنفيذ سياستها التقنية للمحافظة على مخزونها النفطى الذى قد ينضب فى يوم من الايام ٠٠ وعالج الدكتور الدجانى النواحى السلبية التى أصابت البلاد العربية من ثورة النفط ووضع بجانبها وبجانب التضخم المالى والاحتكارات وتبذير الاموال انحطاط القيم الاخلاقية والصفات البشرية فى حياة الانسان ولكن الشيء الذى أراد الاشارة اليه فى هذه الناحية ان عوائد البترول الناتجة عن ضغط مضاعفة الطلبيات هى بالنسبة الى مطالب الدول العربية المنتجة نقمة وليس نعمة ٠

انني لا أفكر هنا ان اتساع نطاق التصرف بأموال النفط قد اعطانا من ناحية مردودا ايجابيا يساعد على تحقيق مشاريع كبيرة كما هو الحال فى الجزائر وليبيا ولا سبحا فى مجال الخدمات الاجتماعية والعمران وفى مجال الاقتصاد الانتاجى وكذلك أيضا ساهم فى تحسين مستوى حياة الانسان فى البلاد العربية ٠

اذن هنا أطرح السؤال : هل البترول العربى نقمة أم نعمة على العرب ؟

ولكى يكون النفط العربى نعمة لابد بنظرى من ان تتحقق عـدة عوامل من بينها :

1 ـ ان الحدود الجيولوجية للثروات الباطنية التى انعم الله بها على سكان الارض لا تتوافق عادة مع الحـدود الوضعية السياسية السطحية ٠ فالدول العربية النامية التى أصابتها سلبيات البترول وهى لا تملك من البترول شيئا يجب ان تستفيد من هذه الثروة وان يكون لها حق فيه ٠

2 ـ يجب ان تستهلك كمية كبيرة من البترول داخل البـــلاد العربية والاسلامية وتستثمر فى تصنيع المـــواد البتروكيميائية التى نحن بحاجة ماسة لها كالاسمدة والخيوط بمختلف أشكالها وألوانها والبلاستيك والقـوة الكهربائية لاستخدامها فى الصناعات وعدد كبير جدا من المنتجات الهيدروكاربونية التى نحن بحاجة اليها كـل يوم ونستوردها باسعار النفط (ان الاستهلاك المحلى للنفط فى الدول العربية المنتجة للبترول فى الوقت الحاضر يتراوح بين 2 ـ 10 ٪ تقريبا والباقى يصدر) ٠

3 ـ يجب ان تكون الكميات المستخرجة من النفط تتناسب مع الكميات المستهلكة ومع الاحتياجات المحلية اللازمة للتخطيط وتنفيذ المشاريع على مراحلها الزمنية لان التفريط بلا استثمار من الناحية الفنية ليس من صالح المناجم ويؤدى الى تدفق أموال زائدة تذهب تبذيرا وفى غير محلها ٠٠ (أنا أذكر على سبيل المثال ان وزيرا فى دولة عربية مسلمة خسر منذ فترة ليست بعيدة فى ليلة واحدة صحراء فى احدى النوادى بين ايطاليا وفرنسا أكثر من مليون دولار ولم ينل ٠٠ واستقطب هذا الحادث أخبـار معظم الصحف الايطالية والافريقية وعندنا فى ايطاليا امثلة أخرى عن هذا التبذير ٠٠ عدد ولا حرج ٠٠) ٠

4 ـ يجب ان تتدارس مجموعة الـدول الاسلامية المنتجة للنفط قضية تخفيض الانتاج بالتضامن وحصره باحتياجاتها النفطية والمالية فيصبح المرض أقل من الطلب فيرتفع سعر البترول تلقائيا ويصل الى مجراه الطبيعى ٠٠ وليس هناك خوف عـلى النفط من مزاحمة الغير فوجوده فى مكامنه افضل بكثير من الدولارات الموضوعة فى

البنوك وربما تعلمون ان المانيا ، هذه الدولة العاقلة ، حاولت مؤخرا شراء كميات كبيرة من النفط لحقنها فى مكان النفط الصالحة لديها لاستعماله وتموين جاراتها به عند الاقتضاء ٠٠ وحاجة العالم الى النفط ستدوم عشرات وعشرات السنين حتى يتمكن من ايجاد بديل عنه ٠

5 ـ يجب على المؤسسات العربية النقدية التى خصصت لتوظيف أموال النفط ان لا تنتصر على المشاريع ذات المردود المالى والمكاسب الكبيرة ٠٠ فهناك مشاريع اجتماعية خاسرة من حيث المردود ولكنها رابحة من حيث تشغيل الايادى العاملة ورفع مستوى الحياة فى الشرق الاوسط وفى افريقيا ٠ فالمال المودوع فى المصارف ، بغض النظر عن هويتها يتأكله التضخم المالى الذى توجهه الدول الاستعمارية والصهيونية بشكل خاص.

6 ـ هناك عوامل فنية أخرى لم أتعرض اليها ، كتكوين جهاز عربى فى أعمال الاستثمار ووسائط نقل عربية وجهاز عربى دولى لتوزيع المحروقات وما اليها فاكتفيت بهذه الملامح التى ترافق حياتنا اليومية ٠

فاذا كان أصحاب البترول ، وهم الدول الاسلامية المنتجة للنفط ، صادقين ومسلمين ، وهم فى هويتهم مسلمون ، ومؤمنين حقا فى دينهم وفى عدل دينهم وفى اخلاق دينهم ومنصفين يجب ان تعم ثروة بترولهم على الجميع وعلى أقل تقدير فى حدود العوامل الايجابية الانفة الذكر وفى غيرها مما لم أتمكن من شرحه لضيق الوقت وهى معروفة لدى الاختصاصيين فى قضايا النفط وقضايا المجتمع ٠٠٠

عندها يمكن أن نقول ان البترول العربى نعمة وليس نقمة على العرب ٠

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

الملتقون فى داخل مصنع الحديد والصلب فى غاردايه ٠

التوصيـــات



اللجنـــة الاولى

موضوعها : مساهمة الرستميين فى حضارة الاسلام وفكره ٠

أعضـــاؤها :

- **الدكتور احسان عباس** (فلسطين) ، أستاذ بالجامعة الامريكية ـ لبنـــان وأستاذ زائر بجامعة برنستون ، الولايات المتحدة الامريكية ٠

رئيســـا

- **الدكتورة وداد القاضى** : أستاذة فى الجامعة الامريكية ـ بيروت ـ (لبنان) وأستاذة زائرة بجامعة هارفارد ، الولايات المتحدة الامريكية ٠

مقـــررة

- **الشيخ سليمان داود بن يوسف** : مؤرخ ـ الجزائر ٠

عضـــوا

- **السيد المهدى البوعبدلى** : مؤرخ ومكلف بمهمة بوزارة التعليم الاصـــلى والشؤون الدينية وعضو المركز الوطنى للدراسات التاريخية ـ الجزائر ٠

عضـــوا

ـ **الدكتور محمد اركون** (الجزائر) : أستاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة السوربون الجديدة باريس (فرنسا) ٠

عضوا

ـ **الدكتور سلفادور غوميت نوغاليس** : رئيس قسم الفلسفة الاسلامية بالمعهد الاسبانى العربى للثقافة ـ مدريد ـ (اسبانيا) ٠

عضوا

ـ **الدكتورة ماريا خيسوس فيغيرة** : أستاذة بقسم الدراسات العربية الاسلامية جامعة مدريد ـ (اسبانيا) ٠

عضوا

ـ **الدكتور ابراهيم فخار** : أستاذ التاريخ بمعهد العلوم الاجتماعية جامعة وهران (الجزائر) ٠

عضوا

ـ **الدكتور عمرو خليفة النامى** : أستاذ فى كلية التربية ، جامعة الفاتح ـ طرابلس (ليبيا) أستاذ زائر بجامعة ميشيغان (الولايات المتحدة الامريكية).

عضوا

ـ **الدكتور عبد الحليم عويس** : أستاذ بكلية الشريعة ، جامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية ـ الرياض ـ (المملكة العربية السعودية) ٠

عضوا

ـ **الاستاذ فرحات الجعبيرى** : أستاذ بثانوية الزهراء ـ تونس ـ (الجمهورية التونسية) ٠

عضوا

ـ **الاستاذ اسماعيل العربى** : مؤرخ ومستشار لدى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر ٠

عضوا

ـ **السيد محمد الشريف طوالبى** : أستــاذ بثانوية المقرانى ـ ابن عكنون ـ الجــزائر ٠

عضــوا

ـ **السيد اونيس قرقاح** : طالب بمعهد الحقوق ، جامعة عنابة (الجزائر) ٠

عضــوا

ـ **الآنسة فاطمة بن نوح** : مدرسة بمدرسة حسين داى (الجزائر) ٠

عضــوة

فى اطار الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى ، المنعقد تحت اشراف وزارة التعليم الاصــلى واشؤون الدينية بورجــلان (ورقلة ـ سدراتة) بالجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية فى الفترة الواقعة ما بين 17 ـ 26 صفــر 1397 هـ (06 ـ 15 فبراير 1977 م) اجتمعت اللجنة المختصة بدراسة النقطــة الاولى بتاريخ 23 صفر 1397 هـ (12 فبراير 1977 م) موضوعها :

« **مساهمة الرستميين فى حضــارة الاســلام وفكــره** » ٠

وانطلاقا من المحاضرات والمناقشات والتعقيبات ذات الصلة بالموضوع المذكور ، وبعد الاستماع الى آراء جميع أعضاء اللجنة ، وجدت اللجنة أن من واجبها أن تذكر بكل شكر وتقدير جهود وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية فى تخصيص نقطـة من نقاط الملتقى الاسلامى كل عام ، لدراسة الجوانب التاريخية المتصلة بالبلد الذى يعقد فيه الملتقى ، وحيث أن ورجلان ـ موطن الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى ـ قد شهدت حضارة اسلامية اباضية زاهرة ، كما تمثلها الدولة الرستمية ، تدرك اللجنة مدى أهمية التراث الاباضى من حيث هو جزء هام من التراث العربى الاسلامى العام ، وبما أن ذلك التراث ما زال مجهولا لدى الغالبية العظمى من أبناء الامة الاسلامية ، وأنه حقا يستحق كل عناية واهتمام ، لهذا رات اللجنة أن توصى بما يلى :

أولا : أن تهتم وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية ببعث التراث الاباضى فى نواحيه المتعددة ، فتكلف من يبحث عن المخطوطات التى ما تزال فى حوزة الافراد والجماعات من الاخوان الاباضيين ، تمهيدا لضربها ونشرها ، كما تعمل على اعداد ببليوغرافيا مستوفاة شاملة لكتب الاباضية الموزعة فى أنحاء العالم ، وأن يكلف بهذا الامر شخص ذو كفاية وتجربة فى هذا الميدان (ملحوظة تنوه اللجنة بكفاية د٠٠عمرو خليفة النامى فى هذا المجال لخبرته الطويلة فيه) ٠

ثانيا : توصى اللجنة ـ ضمن نطاق بعث التراث الاباضى أيضا ـ برصد الاطروحات والرسائل التى قدمت فىمختلف الجامعات فى موضوع التاريخ الاباضى والعقيدة الاباضية وتصويرها والاحتفاظ بها فى المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة ، لتصبح فى متناول من يود الاطلاع عليها ٠

ثالثا : إستكمالا للجانبين المذكورين آنفا ترى اللجنة أن تقوم الجهات المختصة بتشجيع البحث عن آثار الرستميين عامة والاباضيين خاصة ، واسترجاع ما يمكن استرجاعه من هذه الآثار التى تسربت الى خارج البلاد الجزائرية زمن الاحتلال ، وبتوجيه نداء لعلماء الآثار المسلمين كى يولوا الآثار الاباضية اهتمامهم ٠

رابعا : رغبة فى تكامل الدراسات فى الحقل المشار اليه توصى اللجنة أن تشفع دراسة التراث الاباضى بدراسة واقع المجتمع الاباضى دراسة علمية ميدانية ، تتناوله من النواحى الاثنوغرافية والديمغرافية والاجتماعية ، ورغم ادراك اللجنة أن الطريق الى مثل هذه الدراسة قد يكون محفوفا ببعض الصعوبات فانها توصى أن تقوم الجامعات بتشجيع هذا النوع من الدراسة بقوة ، وذلك فى نطاق دراسة المجتمع الجزائرى والمجتمع العربى عامة ٠

خامسا : اقترحت اللجنة أن نؤلف من السادة : المهدى البوعبدلى وسليمان داود ابن يوسف وعمرو خليفة النامى وفرحات الجعبيرى ، لجنة خاصة تقوم بالاعداد لاصدار كتاب يتضمن دراسات وبحوثا عن الاباضية فى تاريخها وحاضرها ، ويكلف بتلك الدراسات والبحوث عدد من الدارسين فى مختلف أنحاء العالم ، بحيث يكون الاجل

المضروب لتسلم تلك البحوث ديسمبر 1978 م ، حتى تتمكن اللجنة المذكورة من تحرير الكتاب واعداده للطبع خلال سنة 1979 م ، وترجو اللجنة المكلفة ببحث النقطة الاولى فى هذا الملتقى أن يجد هذا الاقتراح تأييدا وتشجيعا من وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية بل تقترح أن يصدر هذا الكتاب باسمها وباشرافها .

سادسا : ترى اللجنة أن يتجه الباحثون المسلمون فى شتى المذاهب الاسلامية الى القيام بدراسات عن مختلف الفرق والمذاهب الاسلامية على أن تكون دراسات علمية موضوعية وأن تتناول الفرق والمذاهب التى نشأت فى ظل الاسلام ، وكان لها فى دار الاسلام دور تاريخى مرموق ، وتنبه اللجنة الى ضرورة التمييز فى تلك البحوث بين المنهج التاريخى والمنهج الكلامى المتصلين بتلك الفرق ، وعلى أن يستعمل المنهجان معا لاثراء الفكر الاسلامى المعاصر ، وايجاد قدر أكبر من التفتح بين المسلمين فى المذاهب المختلفة .

حافلات الملتقين تفرغ ركابها واحدة بعد الاخرى في حاسي مسعود ٠

اللجنـــة الثـانية

موضوعها : « الاســلام فى افريقيـا اليــوم » ·

أعضــاؤها :

- **الاستاذ محمد عبد الله عنان :** مؤرخ ، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة (مصــــر) ·

رئيســا

- **د· عبد الحليم عويس :** أستاذ بكلية الشريعة ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض (السعودية) ·

مقــــررا

- **د· وليام مونتو قمرى وات :** أستاذ بقسم الدراسات العربية والاسلامية ، جامعة ادنبره (بريطانيا العظمى) ·

عضــــوا

- **د· محمود دياب :** كاتب : القاهرة (مصر) ·

عضــــوا

- **د· دونيس ووكر :** أستاذ بقسم دراسات الشرق الاوسط ، جامعة ملبورن (استــراليــا) ·

عضــــوا

- **الشيخ سليمان داود بن يوسف :** بحاثة جزائرى فى التاريخ (الجزائر) ·

عضــــوا

- **الاستاذ محمود منصور :** جامعة الدول العربية ـ القاهرة ـ مصر ·

عضــــوا

- **الاستاذ محمد الاخضر عبد القادر السائحى :** عضو اتحاد الكتاب الجزائريين ورئيس مكتب بوزارة الشبيبة والرياضة (الجزائر) ·

عضــــوا

اجتمع السادة أعضاء اللجنة المساهمون فى الكتابة عن النقطة الثانية من جدول أعمال الملتقى ومن اليهم من المشاركين بتاريخ 24 صفر 1397 هـ (13 فبراير 1977 م).

وقد استعرضت اللجنة الدراسات التى قدمها الاساتذة المذكورون فى هذا الموضوع ، والتعقيبات والمناقشات التى دارت حوله ، وتبين لها بعد هذا الاستعراض والدراسة المقارنة ، أنه قد عولج الكثير مما يتصل بالموضوع الجوهرى ، ولكنه قد تبين لها فى الوقت نفسه ـ على ضوء ما أثير من المناقشات ـ أن هناك عناصر وجوانب أخرى فى هذا الموضوع الخطير ، ما زالت فى حاجة الى استكمال الدراسة والبحث ، ومن ثم فان اللجنة ترى أن توصى فى هذا الصدد بما يأتى :

أولا : ان تعمل دراسات تكميلية تفصيلية فى المشكلات والعناصر التى ما زالت فى حاجة الى الدراسة فى موضوع الاسلام فى افريقيا اليوم ٠

ثانيا : تبنى القضايا والمشكلات التى يواجهها المسلمون فى افريقيا السوداء ، وبذل مجهود لامداد هذه البلاد بكل ما تحتاج اليه من وسائل التعريف بالعلوم الاسلامية ، وتزويدها بالمدرسين والدعاة وعلماء الدين المستنيرين ، وبالمصاحف الشريفة والكتب والنشرات التى تزيدهم علما بأصول الاسلام وتعاليمه الصحيحة ٠

ثالثا : العمل على اعداد الدعاة وعلماء الدين والوعاظ الذين يمكن أن يسدوا هذا الفراغ فى افريقيا الغربية والوسطى والشرقية ٠

ومن المستحسن أن يكون هناك عدد كبير من الدعاة الافارقة أنفسهم يجرى اعدادهم اعدادا اسلاميا وفكريا صحيحا ٠

رابعا : دعوة الدول الاسلامية ومنظمة المؤتمر الاسلامى (التى تمثل الدول الاسلامية) ـ وما اليها من الهيئات الاسلامية الاخرى ، للمساهمة فى انشاء جهاز للدعوة الاسلامية ، وذلك لتقديم المعونات الفنية والعلمية والاقتصادية للبلاد الافريقية المحتاجة اليها ٠

والله ولى التوفيق ٠

في قاعدة 24 فبراير في حاسي مسعود ، على جهاز التنقيب وهـو يشتغل .

اللجنـــة الثـالثـة

موضوعها : المـرأة بعد عـام المـرأة ...

أعضـــاؤها :

– **د. مصطفى أحمد الزرقاء :** (سوريا) ، أستاذ بكلية الشريعة ، الجامعـة الاردنية عمان ، ووزير سابقا .

رئيســا

– **د . عمـر التـومى الشيبانى** ، الاستاذ فى كلية التربية ، جامعة الفاتح طرابلس (ليبيا) .

مقـــررا

– **د . بارفين شوكت على** ، الاستاذة المساعدة بمعهد السيدة ماكلاغان ترينغ لاهور (باكستان) .

عضـــوا

– **د . الحبر يوسف نور الدايم** ، الاستاذ بكلية الآداب ، جامعة الخرطـوم (السودان) .

عضـــوا

– **الاستاذ محمد الصادق بسيس ،** الاستاذ بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين (تونس) .

عضـــوا

– **الاستاذ الاكحل بن حواء** – محام لدى المجلس – (الجزائر) .

عضـــوا

– **د . عبد الكريم سايتوح** ، أستـاذ الاقتصاد بجامعـة تاكاشوكو طوكيـو (اليـابان) .

عضـــوا

- **الاستاذة فاطمة هيرين سركا** ، المركز الثقافى الاسلامى ، ميونيخ (ألمانيا الاتحادية) ٠
عضوا

- **السيدة ميراى أباى** ، استاذة الاقتصاد سابقا بجامعة تريفاندروم (الهند) ٠
عضوا

- **السيد الهادى خسرو شاهى** ، مدير مركز البحوث الاسلامية (ايران) ٠
عضوا

- **السيد محمد مجتهد الشبستري** ، مدير المركز الاسلامى فى هامبورغ (ألمانيا الاتحادية) ٠
عضوا

- **السيد عبد الرحمن شيبان** ، المفتش العام بوزارة التعليم الابتدائى والثانوى (الجزائر) ٠
عضوا

- **د٠ خير الله عصار** : (سوريا) أستاذ بكلية الآداب ، جامعة عنابة (الجزائر) ٠
عضوا

- **السيد حبيب بوخريصة** ، عضو الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادى الذهب ٠
عضوا

- **الطالبة عائشة مساحل** : كلية العلوم ، جامعة الجزائر ٠
عضوا

- **الطالب : الهلالى علوش**، معهد العلوم السياسية والاعلامية جامعة الجزائر.
عضوا

اجتمعت اللجنة الثالثة بتاريخ 25 صفر 1397 هـ (14 فبراير 1977 م) للنظر في موضوع : « المرأة بعد عام المرأة » وهو النقطة الثالثة في بحوث الملتقى الحادي عشر للفكر الاسلامي ، واستعرضت ما دار حول ذلك من محاضرات ومناقشات وتعليقات ، وتدارست موضوع حقوق المرأة المسلمة وواجباتها ، وحريتها وحدودها ، وطبيعتها التي فطرها الله عليها والخصائص التي وهبها اياها وميزها بها لتؤدي وظيفتها الاساسية في المجتمع البشري خير أداء ، في نطاق الاسرة وفي نطاق المجتمع ، وقضية عملها خارج البيت ، ومردود هذا العمل بحسب أنواعه ايجابيا وسلبيا على مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية والتربوية .

وانتهت اللجنة الى الاقتناع بأن ما منحه الاسلام ونظامه للمرأة المسلمة من حقوق وحريات وما حملها اياه من واجبات ضرورية لصلاح الحياة ولا يستطيع سواها النهوض بها وكل ذلك بحدوده التي قررها القرآن العظيم والسنة النبوية الثابتة وسيرة الرسول العملية صلى الله عليه وسلم هو خير ما تتمتع به المرأة المسلمة وما تستطيع به أن تؤدي دورها العظيم في المجتمع السليم ، وهو الذي يضمن للمرأة المسلمة كرامتها وحصانتها وحمايتها ووسائل الحياة الكريمة لها في جميع مراحل شبابها وشيخوختها .

وان الاسلام وجه نشاط كل من الرجل والمرأة في مجالات من حياة المجتمع الصالح ، منها مشترك ومنها مفترق بحسب ما أودع الله في كل منهما من خصائص هيأه بها يمتاز فيها على الآخر . وجعل المجال الاساسي للمرأة داخل الاسرة وللرجل خارجها ، لتصان الاسرة التي هي الخلية الاجتماعية الاساسية من عوامل الفساد وتكون مصنعا مباركا لتنشئة النشء الطيب والاجيال الصالحة ، فالنساء شقائق الرجال كما أخبر الرسول (ص) ، ولهن مثل الذي عليهن ، كما نطق به القرآن العظيم ، ولكن الخصائص المختلفة في تكوينها ، وتوزيع الوظائف بحسب تلك الخصائص ، هذا التوزيع الذي هو من مقتضى الرقي في نظام الحياة هو التطبيق الصحيح لهذه المساواة في تسيير الحياة الى ساحل النجاة .

هذا ، وقد رأت اللجنة ان تعليم المرأة يجب أن يبلغ به مستوياته اللائقة بما يحفظ عقيدتها ، وبما يتفق مع خصائصها ومهمتها فى اطار اسلامى ويكفل توعيتها ورفع مستواها فى المدن والارياف ، وأن الاصالة يجب ان تكون هى المنطق الاساسى فى تعليم المرأة وتثقيفها ونشاطاتها ٠ وفى ضوء ما تقدم اتفقت الآراء فى اللجنة على تقديم التوصيات التالية :

1) يوصى الملتقى المسؤولين والعائلات في المجتمعات المختلفة ، على المستوى العالمى ، كلا حسب معتقداته الدينية ، وقيمه الخلقية ، ونظامه الاجتماعى ، بالعناية بالاسرة ، وبالاهتمام خاصة بالمرأة ، بما لها من حقوق وعليها من واجبات ٠

2) وفيما يخص العالم الاسلامى بالذات ، يوصى الملتقى المسؤولين والعائلات بتطبيق ما منحه الاسلام للمرأة من حقوق ، وما كلفها به من واجبات تتفق مع طبيعتها وخصائصها ومواهبها ، ولا سيما فى ميدان الاسرة التى لها فيها المركز الاساسى والاثر العظيم ، لانها الخلية الاجتماعية التى تصلح بصلاح المرأة ووعيها وحسن سلوكها ، كما تفسد بفسادها ، وهى فى ذلك مثل الرجل تماما ٠

3) أن يهتموا بتعليم المرأة على جميع المستويات ، وبتربيتها تربية أصيلة ، لتمكينها من حسن أداء مهمتها ووظيفتها الاجتماعية والتربوية التى تتفق مع المقاصد والآداب الاسلامية ٠

4) العناية بالتعليم الاسلامى بصورة خاصة للفتاة المسلمة أحكاما ونظاما وثقافة وتربية فى جميع مراحل التعليم بما يحقق الفهم والتطبيق ، تحصينا لها وللمجتمع ٠

5) أن توضع فى البلاد العربية والاسلامية برامج ووسائل توعية وتثقيف للمرأة الريفية بما يكفل رفع مستواها ، وهذا لصالح الفرد ، والاسرة ، والمجتمع ٠

6) الحفاظ على حشمة اللباس الساتر لمفاتن المرأة ، داخل بيتها وخارجه ، لان ذلك في الاسلام واجب ومصلحة معا فى اطار ما رسمه القرآن العظيم ، والسنة النبوية الثابتة ، فهو صيانة للمرأة وللرجل وللاسرة والمجتمع ٠

7) وجوب مساعدة المرأة والاسرة المسلمة فى البلاد غير الاسلامية علـــى رفـــع مستوى ثقافتها الاسلامية وتربية أطفالها تربية سليمة وفق الوسائل الحديثة ، وعلى كفالة المعاملة العادلة فى تلك البلاد للاسر الاسلامية ، وتوجيه المرأة المسلمة فى هذه البلدان الى ضرورة تجنب المظاهر والعلاقات والممارسات التى لا تتمشى مع تعاليـم الاسلام وآدابه ، وحض الدول والمنظمات الاسلامية على تحقيق هذه المساعدات بكل الوسائل الممكنة من مالية وبشرية ٠

فى قاعدة 24 فبراير فى حاسى مسعود

اللجنة الرابعة

موضوعها : هل بطون الارض نعمة أم نقمة ؟

اعضاؤها :

ـ **د • صلاح الصاوى** ، أستاذ بكلية الآداب ، جامعة طهران (ايران) •
رئيسا

ـ **الاستاذ الجيلالى صارى** ، استاذ بالمعهد الجغرافى (الجزائر) •
مقررا

ـ **د • محمد رشيدى** ، كاتب ـ جاكرتا ـ (اندونيسيا) •
عضوا

ـ **د • داود كاون** ، الاستاذ فى قسم الشرق الادنى والاوسط بمعهد الدراسات الشرقية ، جامعة لندن (بريطانيا) •
عضوا

ـ **د • محمد على صبرى** ، مدير مركز البحوث والانباء الاسلامية « شيزى » فى روما ، مدير المناهج والبترول سابقا فى سوريا •
عضوا

ـ **السيدة فضيلة قارة مصطفى** ، استاذة الجغرافيا والتاريخ بالثانوية المختلطة ـ قسنطينة (الجزائر) •
عضوا

ـ **السيد مراد زعيمى** : الطالب بمعهد الحقوق والعلوم الادارية جامعة قسنطينة (الجزائر) •
عضوا

– وقد اجتمع اعضاء لجنة النقطة الرابعة يوم الاثين 25 صفر 1397 هـ (14 فبراير 1977 م) بورجلان (ورقلة – سدراته) .

وبعد الاستماع الى محاضرات الاساتذة والتعقيبات التى دارت حولها واستغرقت الموضوع من جوانبه الجوهرية ، تاريخيا وجغرافيا واقتصاديا وسياسيا واسلاميا ، والربط بين الحالة الداخلية فى البلاد الاسلامية والحالة العالمية وأخذ امكانيات العالم الاسلامى من ناحية الثروات المعدنية فيه من جانب وآماله واهدافه فى رفع مستوى الحياة الى ما يؤهله لما يليق له من مقام فى الوجود ، بعين الاعتبار .

ان الثروات الباطنية وخاصة النفط لعبت ولا تزال تلعب دورا حيويا فى انشاء المشاريع الكبيرة وتقديم الخدمات الاجتماعية والعمران والاقتصاد الانتاجى مما رفع مستوى الحياة الانسانية ، الا ان هناك جوانب سلبية من شأنها ان تقلب هذه النعمة الى نقمة ، وعلينا ان نأخذها بعين الاعتبار من ذلك أنها حركت أطماع الغرب التى تمثلت فى النفوذ الاجنبى وضرب الاقتصاد الوطنى وشل حركات النهوض وتزييف الحكم السياسى وخلق ركائز احتكارية مضادة لحركات نهوض الشعوب ، وما نشاهده علاوة على ذلك فى دول العالم الثالث من تخلف وتبعية وخلق حروب ، وناهيك أن فلسطين المحتلة والصحراء الغربية هما ضحيتان لضمان بناء المصالح الاجنبية فى الاقطار الاسلامية واستغلال ثرواتها .

هذا الى جانب ما يجره علينا هذا الوضع من الازمات التى ابتلى بها الغرب كأزمة البيئة والطاقة والتلوث والمدينية وما يتبع ذلك من انهيار فى الاخلاق وحط فى كرامة الانسان وتفريغه من كل القيم وتحويله الى آلة .

خاصة وان الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية قد اختطت لنفسها خطة بشرت بمستقبل ناهض عظيم وحققت فى أقصر مدى أكبر قسط من النهوض على مختلف المستويات فقد لاحظنا أثناء هذه الاقامة هذه التجربة الايجابية فى احترام هذه النعمة سواء فى استخراجها أو استهلاكها أو الافادة من عائداتها ، فهذا كله موجه الى المشاريع الانمائية متدرجا من القرية الاشتراكية فى قلب الصحراء الى المصانع

الى المعاهد العلمية فى كل مكان بما يعتبر مظهرا كاملا للعدالة الاجتماعية ونزاهة الحكم ويثبت ان نهوض العالم الاسلامى شيء واجب التحقيق .

وبناء عليه توصى اللجنة بما يــلى :

1) ايجاد جهاز وطنى كامل ينهض بجميع العمليات من التنقيب الى تصنيع المواد حتى نحافظ على هذه النعمة ونوجهها الى التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

2) يجب ان تأخذ البلاد العربية والاسلامية نصيبها الكافى من النفط لاستثماره داخل بلادها فى التصنيع والزراعة مما يحد من التبذير .

3) يجب ان تراعى فى عمليات الاستخراج مسألة المحافظة على قيمة هذه النعمة . فوجود النفط فى باطن الارض أفضل من توجيه رؤوس الاموال الى البنوك الاجنبية .

4) على الدول الاسلامية المنتجة ان تساعد البلدان المحرومة من هذه النعمة وان توجه اليها العائد مباشرة لا بواسطة البنوك الاجنبية ، فالدول الاسلامية التى لا تملك شيئا من هذه الخيرات فى شبه الجزيرة يجب أن تستفيد من هذه الثروة .

كنوز الأرض للشعب المالك ،
وهذا وحده خير المسالك ! (1)

مولود قاسم نايت بلقاسم
وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على خاتم النبيئين والمرسلين

حضرات الأساتذة الأفاضل والأستاذات الفضليات
حضرات السادة والسيدات
إخوتي الطلبة والطالبات

بعد عشرة أيام من حضار دائب ونقاش متواصل ، لم تغفلوا فيها النقاط ولا الفواصل ، ها قد أتيتم إلى النتائج والحواصل !

فرغم تنوع البلدان ، والأديان ، والمذاهب ، والفوارق في الأعمار ، والمستويات ، والمواهب ، فقد وفقتم ولم تأتوا شططا ، ولم يكن بعضكم للآخر فئرانا وقططا ، بل أجمعتم إذ وضعتم تصميما وخططا !

الميورقي ، أم المرق والمروق ؟

1) لقد استخلصتم من التاريخ والمشاهدة ، والسير في الغبار والمجاهدة ، أنه كانت هناك قمة علم ، وفكر ،

---

(1) كلمة اختتام الملتقى الحادي عشر للفكر الاسلامي بورجلان (ورقلة) .
(17 ــ 26 صفر 1397/06 ــ 15 فبراير 1977 م) .



جلسة الاختتام

ويرى من اليمين الى اليسار السادة رؤساء لجان التوصيات والمشرف على الملتقى :

1) محمد عبد الله عنان ، 2) د · مصطفى الزرقاء ، 3) مولود قاسم نايت بلقاسم ، 4) أحمد اسماعيل ، 5) د · صلاح الصاوى ،
6) اسماعيل العربى ·

وحضارة لبني رُسْتُم، وأنكم ضد الإعتراف لهم بذلك أبدا الستم، وأنكم إلى العرفان لهم بالجميل أميل، وإلا كنتم من كل البحثة أزفت وأنيل!

نعم! ولكن في كل من تيهرت، وسدراته، ووَرَجْلان، لانَ الهصورُ وفر كالخروف الوجلان، وأصبح ذلك الصلد كالخائف الخجلان، أشبه بعملاقٍ خانته الرجلان، وأضحى الحصيفُ المتزنُ الطائشَ العجلان، إذ ضمرت في الدولة الجذور والعروق، وأمسى أحفاد الأتقياء الأنقياء همهم المَرَقُ والمروق، يعبثون بالليل ولا ينامون إلا عند الشروق، وحل مكان العدل والمساواة شر التميز والفروق، فلَحِق بدولة رُسْتُمَ ما حاق بروم وروما ن، ككل أندلس ونرمان، وانضمت إلى آشور وبابل، وانهالت عليها الرزايا كالمنهمر الوابل، وأصبح كل ما كان كما رأيتم، ولن تنكروا الحقيقة مهما واريتم، وتتمنون لو ما رأيتم!

ومن هنا فالعظام هي التي أصبحت نخرة، عوقب عليها في الدنيا قبل الآخرة، ولم يكن الفاصل في إنهاء رستم دولة زيري ولا الميورقي والميارقة، وما كانت لتقهر لولا داؤها حتى لو اجتمع عليها المغاربة والمشارقة، وتلك سنة الله ولن تجد لها تبديلا ولا فارقة!

انتم يا قريقش[1] يا فريقش[2] !

2) وألقيتم بنظرة إلى إفريقيا وتراءى لكم قلب القارة من وراء الكثبان، وتذكرتم - إن نفعت الذكرى! - ما يفعله بها الثعبان، وقلتم: آن لنا أن نميز من رمضان شعبان، وألا ننصرف كالمرتخي التعبان، ورددتم: كفى ما يجري لافريقش من طلاح، وناديتم أن حي على الفلاح، وأن حان القيام لأهل الصلاح!

إنكِ عمدة المجتمع والأسرة، فإياكِ أن تلقي بها في الحفرة!

3) وفي نقطة المرأة رجعتم إلى آدم وحمورابي، وكان فيكم المتراجع والمرابي، ووجدت المرأة في صنوها الخصم بينكم العادلَ المنصف، كما لم تعدم المزايدَ المجحف.

وقد امتد حوار كن من لالا نوره إلى بنورة، ومن وَرَجْلانَ إلى العاطف وغارداية، وقلنا لكن: كن ان شئتن الوزيرةَ والرئيسةَ والداية، واعترف لكن الجميع بالحقوق وغير الحقوق، شريطة تحاشي الفوضى والعقوق، وألا تهززن المجتمع بصدع وشقوق!

وقلنا: فلتكوني في كل ميدان بانية صانية، وإياكِ وتخريب الميورقي بن غانية، أو تنسى أن كل سيطرة فانية، وأن الموت منك دوما دانية، فاحذري كل غلطة ثانية، وإلا كنت على نفسك جانية!

1) اقريقش شخصية فكاهية في المسرح الجزائري الحديث ترمز للغفلة، والسذاجة، واللامبالاة.
2) افريقش اسم الإفريقي الأول حسب ابن خلدون، وفي هذا السياق يرمز للقارة كلها.

لا تقصصن للرجل شنبا، لتنسجن منه قرنبا، أو تفتلن منه ذنبا، ولا تجعلن من كرامته كنبا، أو تحسبنها عنبا!

إياكِ أن تقولي له إن سأل: «إنى مستقلة حرة»؛ أكانت هذه الكلمة فى أذنه حلوة أو مرة، لانك فى عينيه قرة، وفى قلبه جوهرة ودرة، وإلا كان مصيركما معا فى قاع الجرة!

والرجل لا ينسى أنكن الفصول والغايات، والأعلام والرايات، وأنكن شرط الحياة إذ عمدة المجتمع والأسرة، فإياكن أن تلقين بهما فى الحفرة، وكن إن شئتن الماهرات الساحرات، ولكن لا الساهرات الناحرات، وكن الهازئات الساخرات، لا الماكرات الناخرات، وإلا أصبحتن أنتن البائرات الخاسرات!

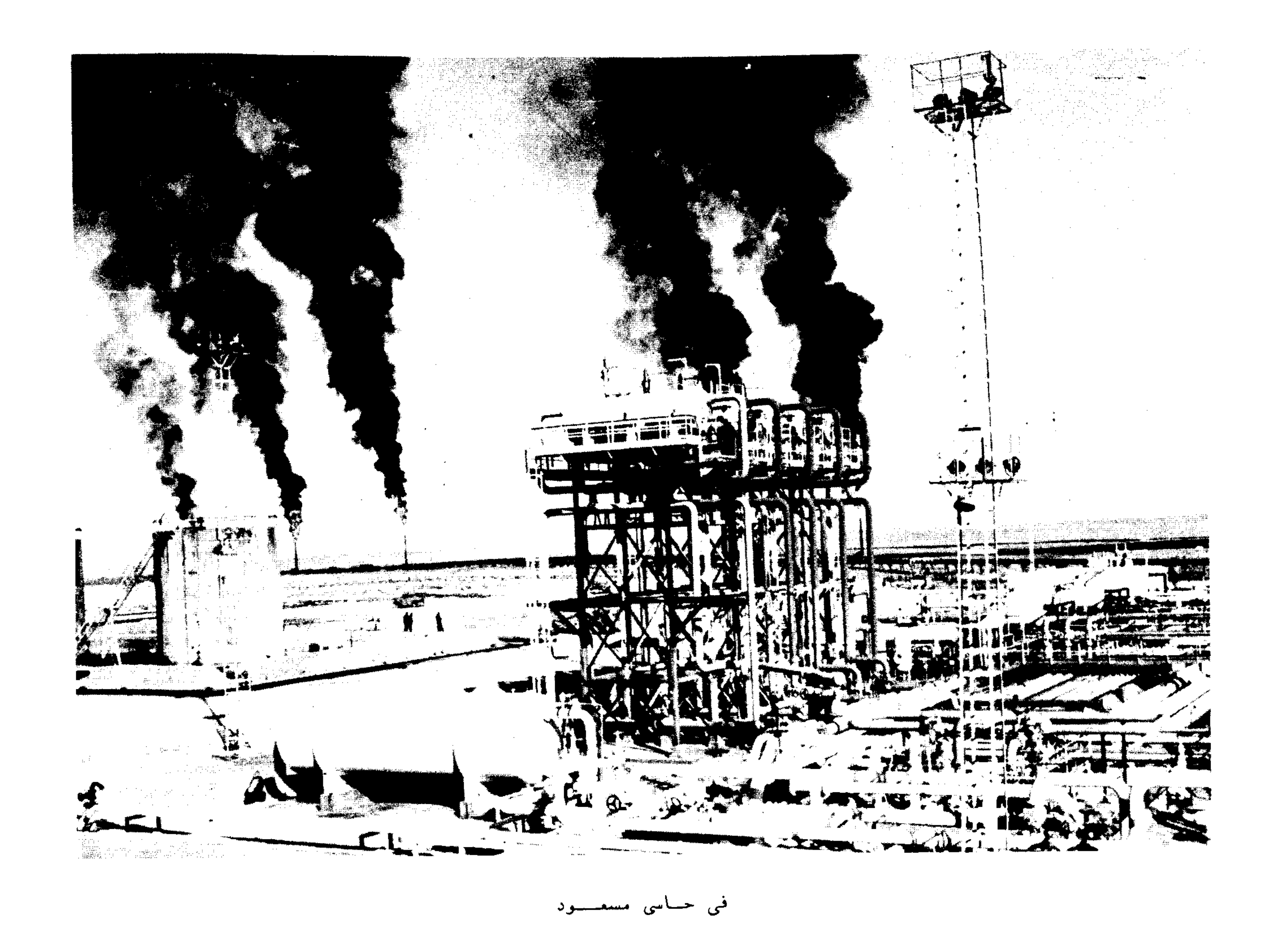
بطون الأرض نعمة ومصيبة، إذا لم نحولها نحن إلى مصيبة!

4) وتساءلتم: هل بطون الأرض نعمة أم نقمة؟ واجبتم بنعم إذ هى منحة لا محنة، وان ذلك واضح بالبداهة لا بسر مهنة، وأن رحمة الله كانت لنا مجيبة، وإرادته لنا فى هذا وذاك طبعا مصيبة، إذا لم نحولها نحن إلى مصيبة، إذ هى لنا من الله باقة، تنعش وتزيل الفاقة، تكمل ولا تعوض الناقة، وإن لم نعرف ذلك حقت علينا الحاقة، وتلتها الأشغال الشاقة، وقلتم فى الأخير إن كنوز الأرض للشعب المالك، وأن هذا وحده

خير المسالك، وتبا لمن لا يميز بين الضوء والحالك!
وقلتم أخيرا إنها إن لم تكن بأيدي الدولة وللشعب كانت للأمة ضربة وطعنة، وعليها من الله غضبة ولعنة، وأنه إلى جانب كل نفط، أو فوسفاط، أو زفت، ينبغي ألا تنسى الزراعة من قمح ولفت، ولا التجارة والصناعة، والقيم الإصيلة أصل المناعة!
إني أشكر كل من في هذا الملتقى حاضرا أو عقب، وفي سبيل ذلك بحث أو نقب، وإن سمح لي البعض ما بدر مني عن خلقة من حدة، وما استعنت به قصدا في الحرص على الملتقى من صرامة وشدة، نسيت ما جنحوا إليه عن النظام من خروج وردة، وتجاوز ما حدد لهم عند المنصة من دقائق عدة، وأنسى ما مالوا إليه من مكرر معاد ضد كل ابتكار وجدة، وإن لم تصفحوا لم أنس والله بيننا فيما أتى كل منا من فعلة إدة، مشابهة للخطأ الكبير ندة.
وأصفحوا بعضكم للآخر تبادل الإتهام بفقر المادة، بل والخروج عن الجادة، وان محاضراتهم عن الطريق الصحيح حائدة صادة، لأن معلوماتها من مصادر أجنبية مستمدة، ولو كانت بعض بضاعتنا المستردة.

إننا إذ نشكر إذن جميع السيدات والسادة، الذين
رموا إلى الإجادة، نشمل طبعا من حلموا في القاعة
بالوسادة، أوعزفوا عن تتبع النظام وحسن العادة،
ونسوا أنهم للشباب القدوة العمادة.
ونثني بالشكر على كل الولاية ودائرة غارداية
على حسن الإستقبال والوفادة، وعلى الجميع هنا
من مقودين وقادة.
وداعا للتوقرت ولحاسي، ووَرجْلانَ جميلةِ
الأماسي، وإلى اللقاء في أحد معاقل مقاومتنا قبل
الفتح وبعده، الذي وجد فيه فاتح نفامبر منذ
البدء مهده، إلى سفح الشلية والشلعلع، ولو كان
هذا أوذاك أجرد أصلع، إلى مراتع تنتشي بالحرب
عند الضرورة، حينما ينادي المصير والصيرورة،
إلى جبال تحب دَوِيَّ البارود كأنغام الأجراس،
وتحتفل بالإستشهاد كالأعراس، إلى باتنة الأوراس.

والسلام عليكم ورحمة الله



فی حاسی مسعود



في قاعة 24 فبراير في حاسي مسعود ، ويرى من اليمين الى اليسار السادة والسيدات :
محمد بلمبخوت، مندوب وكالة الانباء الجزائرية في ورجلان، الدكتورة وداد القاضي (لبنان ـ هارفارد)، د • البشير تركي (تونس) منحنيا ، د • علي صبري (سوريا ـ روما) ، د • كيليا سارنيلي تشركوا (نابولي ـ ايطاليا) ، ووراءها المهندس زكرياسن (الدانمارك) ، عزوز الرباعي (تونس) ، محمد مجتهد الشابستري (ايران ـ هامبورغ) ، د • داوود كاوون (لندن) ، وبينهما رشيد خضارو (جزيرة موريس) ، د • عبد الجليل التميمي (تونس) ، د • مصطفى الزرقاء (سوريا ـ عمان) ، د • عبد الحليم عويس (مصر ـ الرياض) ، د • دونيس ووكر (استراليا) ، د • محمد شريف قاهر (الجزائر) ، د • عمر تومي الشيباني (ليبيا) ، وبينهما د • عمر خليفة النامي (ليبيا ـ أمريكا) ، الشيخ سليمان داوود بن يوسف (الجزائر) ،

Nos remerciements vont également à toute la wilaya et à la daïra de Ghardaïa, pour l'excellence de l'accueil, ainsi qu'à tous ceux qui ont œuvré à la bonne tenue de ce Séminaire.

Au revoir Touggourt et Hassi, Ouaradjlane et Sadrata, vallées aux crépuscules si beaux. A nous revoir dans l'une des citadelles de notre résistance avant et après l'avènement de l'Islam, là où le 1er novembre a trouvé dès l'origine son foyer et son berceau, au flanc des djebels Chélia et Chala'la', même si l'un ou l'autre est chauve, dans ces contrées promptes à déclencher la guerre à l'appel de la nécessité et du destin, vers ces montagnes altières qui considèrent le bruit de la poudre comme des sons de cloches et fêtent le martyre à l'égal d'une noce : à Batna des Aurès.

Que le salut soit sur vous !

« Evite, ô femme, de répondre à l'homme : « Je suis indépendante et libre », même si ces vocables lui sont bien amers, car tu es à ses yeux la prunelle, dans son cœur la perle et le joyau. Sinon, votre destin à tous deux sera au fond de la jarre, comme dit le proverbe arabe !

L'homme n'oublie pas, quant à lui, que la femme est pour lui le lien et le but, l'étendard et le drapeau, la condition même de la vie puisque la base de la société et de la famille. Evitez donc de précipiter l'une et l'autre dans le gouffre. Soyez, si vous voulez, habiles et sorcières mais non cruelles et assassines de l'honneur, désinvoltes et moqueuses mais non machiavéliques et saboteuses, sinon vous resteriez vieilles filles et seriez les perdantes !

4°) Vous vous êtes demandé : « Est-ce que les ressources du sous-sol sont un bienfait ou une malédiction » ? Vous avez répondu qu'elles étaient à l'évidence un bienfait, un don et non une épreuve, que la clémence de Dieu nous en a dotés et que sage est la volonté divine. Ceci à condition que nous n'en fassions pas de nous-mêmes une calamité, si Dieu les a destinées à l'élimination de la misère. Car si nous ignorions cette vérité nous mériterions l'opprobre et la servitude !

Vous en avez déduit que les richesses du sous-sol appartiennent au peuple qui les possède, que c'est là la seule voie à suivre, n'en déplaise à ceux qui ne distinguent pas entre la lumière et l'obscurité !

Vous avez conclu que si ces richesses n'étaient pas entre les mains de l'Etat et du peuple, la nation en recevrait un coup mortel et encourrait par là-même la colère et la malédiction de Dieu. Comme vous n'avez pas omis de souligner qu'outre le pétrole, le gaz et les phosphates, il ne faudrait pas négliger l'agriculture, le commerce, l'industrie et les valeurs authentiques qui constituent la véritable immunité.

Je remercie tous ceux qui sont dans cette salle, conférenciers, commentateurs et chercheurs, et si certains me pardonnent, j'espère, le ton parfois cassant que m'a infligé la nature de naissance, une certaine fermeté à l'égard de la bonne marche de ce Séminaire, j'oublierais volontiers, pour ma part, les écarts, les dépassements dans le temps imparti à la parole, l'absence chez certains de recherche et d'innovation. Mais si vous ne pardonnez pas, je n'oublierai pas, et Dieu nous départagera.

Pardonnez-vous les uns les autres les accusations réciproques « d'interventions incomplètes » ou mal étayées, de « digressions » hors du sujet, de « conférences parfois non conformes à la vérité historique parce que puisant dans des références étrangères », quoique celles-ci soient en partie notre propre marchandise récupérée.

En remerciant donc toutes celles et tous ceux qui se sont efforcés de bien faire, nous n'oublions certes pas les dormeurs occasionnels à qui il serait advenu de prendre la salle de conférences pour un lieu de repos, ni ceux qui ont rechigné à respecter l'ordre et la discipline, oubliant qu'ils étaient pour la jeunesse les guides et les exemples.

germes de la désintégration étaient dans l'Etat. Et c'est ainsi que les descendants des vertueux et des purs se muèrent en ennemis d'eux-mêmes et en détracteurs, occupant leurs nuits dans les frivolités pour ne s'assoupir qu'aux aurores. La justice et l'égalité firent place aux maux de la discrimination et de la différenciation, et la dynastie rostomide connut à son tour le destin de Byzance et des Romains, le sort des Andalous et des Normands, rejoignant dans l'histoire la cohorte des nations et des cités déchues, telles Babylone et les Assyriens. Tout ce qui fut devint ce que vous avez constaté et c'est là une réalité que vous ne pouvez nier, quoique vous fassiez et même si vous souhaiteriez que pareille vision d'un si lamentable déclin vous soit épargnée ou désiriez voiler les faits !

D'où il ressort que ce sont bien les structures qui étaient minées — ce de quoi il a fallu répondre déjà ici-bas et devant Dieu — et que ce ne sont point l'Etat ziride, ni le Majorcain et les Majorcains qui mirent fin à la dynastie rostomide. Celle-ci n'aurait pas connu la défaite — n'était son mal profond — même si les Maghribins et les Orientaux s'étaient ligués contre elle. Telle est la loi immuable de Dieu !

2°) Vous avez jeté un regard sur l'Afrique et entrevu le cœur du continent à travers les dunes, vous rappelant — si tant est que le souvenir soit utile — les abus dont il est l'objet et vous vous êtes dit : « Il est temps de distinguer entre ramadân et chaâbâne et de nous départir enfin de la nonchalance et de l'apathie ». Vous avez même répété à l'envi : « Halte aux vicissitudes imposées à l'homme africain, agissons, car l'heure a sonné pour les hommes de bonne volonté » !

3°) S'agissant du point de l'ordre du jour consacré à la femme, vous avez opéré un retour à Adam et Hamourabi et, s'il se manifesta dans vos débats quelque réticence ou complaisance, la femme n'en a pas moins découvert dans son adversaire et néanmoins partenaire, en dépit d'inévitables enchérissements ou extrémismes, la justice et l'impartialité qu'elle était en droit d'en attendre.

Votre dialogue — et je m'adresse ici aux femmes — s'est élargi de Lalla Noura à Bounoura, de Ouaradjlane à El Atteuf et Ghardaïa, et nous vous avons dit : « Soyez, si tel est votre désir, ministres, présidentes et dayas » (1). Tous les présents ont été unanimes à reconnaître ce qu'impliquent aussi bien vos droits que d'autres considérations et impératifs, à condition toutefois que vous sachiez éviter les désordres et l'outrance et ne point ébranler la société dans ses assises !

Nous vous avons dit : « Soyez, dans tous les domaines, édificatrices avec persévérance, mais non destructrices comme Ibn Ghânia le Majorcain. N'oubliez pas que toute tyrannie est éphémère, que la mort est toujours proche, craignez d'instituer une nouvelle imposture, sinon vous n'en voudrez qu'à vous-mêmes ! »

« Ne coupez pas à l'homme de moustache pour en tisser une corde ou en faire un appendice de servilité, ne transformez pas sa dignité en impuissance et ne la considérez pas comme un fruit digne d'être dégusté !

(1) Féminin de deys, anciens chefs d'Etat d'Algérie.

ALLOCUTION

prononcée par Monsieur Mouloud Kassim NAIT BELKACEM,
ministre de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses,
à l'occasion de la clôture des travaux du XI^e^ Séminaire
sur la Pensée Islamique tenu à Ouaradjlane - Sadrata
du 17 au 26 safar 1397 (6 - 15 février 1977)

Au Nom de Dieu, le Clément, le Miséricordieux,

Que le Salut de Dieu et sa Bénédiction soient sur l'ultime de ses Prophètes et de ses Envoyés.

Messieurs et Mesdames les distingués professeurs,

Mesdames et Messieurs,

Frères étudiants, sœurs étudiantes,

Après dix jours de conférences et de débats continus, au cours desquels vous n'avez omis ni les points ni les virgules, voilà que vous en êtes à l'heure des résultats et des bilans !

Malgré la diversité des pays, des religions et des rites, malgré les différences dans les âges, les niveaux et les dons intellectuels, vous avez quand même réussi dans votre entreprise, sans pour cela aller jusqu'aux solutions extrêmes, mais sans fuir non plus vos responsabilités, et vous avez réalisé en fin de compte un notable consensus sur les résolutions et les projets que vous préconisez.

1°) Tirant les enseignements de l'histoire et de l'observation, poursuivant vos efforts, complétant les recherches livresques par vos marches dans les dunes, vous en êtes arrivés à la conclusion qu'il a existé une apogée des sciences, de la pensée et de la civilisation chez les Beni Rostom, et, loin de leur dénier cette contribution au progrès de l'humanité, vous avez tenu au contraire à leur marquer votre gratitude, en chercheurs impartiaux et intègres !

Certes ! Mais à Tihert aussi bien qu'à Sadrata et à Ouaradjlâne, le lion s'est amolli et a fui tel un mouton craintif, cet indomptable est devenu pusillanime, géant aux pieds d'argile. Le sage et le pondéré se firent agités et stupides, car les

leurs économies, paralyser les mouvements de renaissance, dénaturer les pouvoirs politiques en place dans ces pays et, en fin de compte, créer des bases monopolistes destinées à contre-carrer l'émancipation de ces peuples,

— Eu égard, par ailleurs, au sous-développement, à la subordination et aux conflits fomentés dans les pays du tiers-monde, et il n'est à ce propos que de citer l'exemple de la Palestine occupée et du Sahara Occidental, victimes de prétentions à la pérennité des intérêts étrangers au sein des pays islamiques et à la poursuite de l'exploitation de leurs ressources,

— Considérant les préjudices que nous occasionne cet état de fait à la suite des crises auxquelles fait face l'Occident sur les plans de l'environnement de l'énergie, de la pollution et de la civilisation en général, ainsi que les résultats qui en découlent et ont nom : effondrement des valeurs morales, abaissement de la dignité de l'homme dépouillé de toutes ses vertus au point de devenir un simple rouage,

— Considérant en particulier que l'Algérie socialiste s'est donné une voie prometteuse d'un grand avenir et qu'elle a réalisé dans de brefs délais le maximum de développement dans tous les domaines, et il nous a été donné de constater cette expérience positive quand au respect de ce bienfait à travers les différents stades : recherche, extraction, exploitation, transport, transformation et utilisation judicieuse de ses revenus,

— Considérant que cette politique énergétique est dans sa majeure partie orientée vers la réalisation des objectifs et des impératifs du développement lesquels embrassent l'édification aussi bien des villages socialistes en plein cœur du Sahara, que des usines et des instituts scientifiques implantés dans l'ensemble du territoire, ce qui constitue à l'évidence une manifestation éloquente de la justice sociale et de l'intégrité du pouvoir et atteste de la nécessité de promouvoir la renaissance du monde islamique.

En conséquence la Commission formule les recommandations suivantes :

1°) La création de structures nationales intégrales capables de mener à bien l'ensemble des opérations allant de la prospection des matières premières à leur transformation en produits finis, élaborés, voire dérivés, afin de sauvegarder ces richesses et de les consacrer au développement économique et social.

2°) Les pays arabes et islamiques se doivent de prélever leur suffisante part des revenus pétroliers en vue de l'investir sur place dans l'industrialisation et le développement agricole, limitant ainsi la dilapidation de ces revenus de la part d'oligarchies restreintes.

3°) Il importe de tenir compte, dans la planification de l'exploitation, de la nécessité de préserver la valeur de ses richesses, car la conservation du pétrole dans ses gîtes même est préférable au dépôt des capitaux produits par son extraction dans les banques étrangères.

4°) Il incombe aux pays islamiques producteurs d'aider les pays démunis de ces richesses et de leur faire parvenir cette aide directement et non par l'intermédiaire des banques étrangères. Les Etats islamiques de la presqu'île arabique qui sont dépourvus de ces richesses devraient notamment pouvoir en profiter.

RECOMMANDATIONS DE LA QUATRIEME COMMISSION « LES RICHESSES DU SOUS-SOL SONT-ELLES UN BIENFAIT OU UNE MALEDICTION ? »

La quatrième Commission chargée de l'étude du quatrième point figurant dans l'ordre du jour du 11ᵉ Séminaire sur la Pensée Islamique « Les ressources du sous-sol sont-elles un bienfait ou une malédiction ? », s'est réunie les 25 safar 1397 H. (14 février 1977 G.) à Ouaradjlane (Ouargla-Sadrata), sous la présidence du docteur Salah As-Saoui et en présence du docteur El Djilali Sari, rapporteur, et des membres suivants :

— Docteur Mohamed Rachidi, écrivain - Djakarta,

— Docteur David Cowan, professeur au Département des Moyen et Proche-Orient, Institut des Etudes Orientales et Africaines, Université de Londres,

— Docteur Mohamed Ali Sabri, directeur du Centre d'Etudes et d'Information musulmanes « C.E.S.I. » - Rome (Italie) et ex-directeur des programmes et des recherches pétrolières en Syrie,

— Docteur Saïd Chibane, professeur d'ophtalmologie à l'Université d'Alger,

— Madame Fadhila Kara Mostefa, professeur d'Histoire et Géographie au lycée mixte de Constantine (Algérie),

— Monsieur Mourad Zaïmi, étudiant à l'Institut de Droit et des Sciences administratives, Université de Constantine (Algérie),

Après avoir entendu les conférences et commentaires qui ont abordé les aspects essentiels historiques, géographiques, économiques, politiques et islamiques en opérant la liaison entre la situation interne des pays musulmans et la conjoncture internationale, en prenant en considération, d'une part, les potentialités du monde musulman au plan des ressources minières, et, d'autre part, ses objectifs et ses aspirations à un niveau de vie susceptible de lui assurer la place à laquelle il a droit dans l'existence,

— Considérant que les richesses du sous-sol, notamment le pétrole, jouent un rôle vital dans la réalisation des grands projets de développement, le progrès social, l'édification d'une économie de production et, partant, l'élévation du niveau de vie et tenant compte cependant du fait qu'il existe des aspects négatifs à même de transformer ce bienfait effectivement en malédiction et qu'il importe de prendre en considération le fait qu'ils ont suscité les convoitises de l'Occident traduites par le désir d'imposer son hégémonie aux pays producteurs, de frapper

valeurs morales et son système social, de prendre soin de la famille et de se préoccuper tout particulièrement de la femme, de ses droits et de ses devoirs.

2°) En ce qui concerne spécialement le monde musulman, le Séminaire recommande aux responsables et aux familles de veiller attentivement à la réalisation et à l'application des droits et des devoirs de la femme tels que prescrits par l'Islam, en conformité avec sa nature, son caractère propre et ses aptitudes surtout dans le domaine familial où elle occupe une place de choix, la famille étant la cellule sociale qui sera bonne si la femme est vertueuse et consciente, et au contraire mauvaise si la femme — tout comme l'homme — s'écarte du droit chemin.

3°) De porter un grand intérêt à l'instruction de la femme à tous les niveaux et de compléter cette instruction par une éducation authentique pour lui permettre de mieux remplir son rôle et d'assumer sa fonction sociale et éducative selon les objectifs et l'éthique islamiques.

4°) De dispenser, particulièrement à la fille musulmane, une éducation religieuse embrassant les préceptes de base, le système de vie et la culture islamiques, et ce, à tous les stades, afin d'assurer la compréhension de ces principes et leur application pour le plus grand bien de l'individu, de la famille et de la société.

5°) D'élaborer des programmes et de mettre en œuvre des moyens adéquats pour assurer la prise de conscience et la culture de la femme rurale.

6°) De préserver une tenue vestimentaire décente et correcte de la femme à l'extérieur comme à l'intérieur de son foyer, selon les précepts du Coran et la Tradition établie du Prophète, car cela contribue à la sauvegarde de la femme, de l'homme, de la famille et de la société.

7°) D'aider la femme et la famille musulmanes vivant dans les pays non musulmans à atteindre une promotion culturelle islamique et à assurer à leurs enfants une éducation convenable conforme aux méthodes modernes, afin de garantir au foyer musulman dans ces pays une existence digne et juste ; d'attirer l'attention de la femme musulmane sur la nécessité d'éviter certains comportements ne correspondant pas aux préceptes et à la bienséance islamiques.

La Commission recommande également d'exhorter les Etats et les organisations islamiques à assurer cette aide par tous les moyens possibles matériels et humains.

— L'étudiante Aïcha Messahel, Faculté des Sciences, Université d'Alger »

— L'étudiant El Hillali Allouche, Institut des Sciences Politiques et d'Information, Université d'Alger »

La troisième commission chargée d'étudier le troisième point du programme du 11[e] Séminaire sur la Pensée Islamique, à savoir « LA FEMME APRES L'ANNEE DE LA FEMME... », s'est réunie le 25 safar 1397 H. (14 février 1977). Après avoir passé en revue les conférences, commentaires et débats qui ont trait au thème suscité et examiné le problème des droits et des devoirs de la femme, notamment son droit à la liberté et les limites de celle-ci, eu égard à sa nature et à ses caractéristiques spécifiques, afin de remplir au mieux sa fonction première dans la société humaine, au sein de la famille et hors du foyer ; après avoir examiné, par ailleurs, le problème du travail de la femme dans ses aspects positifs et négatifs ainsi que les conséquences de celui-ci sur les plans social, économique, moral et éducatif, la Commission est arrivée à la conviction que les libertés et les droits conférés à la femme musulmane, par l'Islam et sa doctrine, les devoirs prescrits par le Saint Coran et les Traditions du Prophète (que le salut soit sur lui) constituent les meilleurs droits et devoirs pour lui permettre de jouer son rôle de choix dans une société saine. Ces droits et devoirs sont seuls susceptibles de garantir à la femme musulmane sa dignité, son immunité et sa protection ainsi qu'une vie honorable au cours de toutes les étapes de son existence.

L'Islam a orienté les activités de l'homme et de la femme dans les différents domaines de la vie d'une société équilibrée, activités communes et singulières selon ce que Dieu a mis en chacun d'eux de spécifique et de particulier. Le domaine essentiel des activités de la femme se trouve à l'intérieur du foyer, tandis que celui de l'homme se trouve à l'extérieur, ceci dans le but de sauvegarder la famille, cellule de base de la société, de la préserver des facteurs de dégradation et d'en faire le berceau béni pour la formation, de générations saines. La femme est sœur de l'homme, comme l'a enseigné le Prophète (que le salut soit sur lui). Elle a autant de droits que de devoirs, selon les injonctions du Coran. Mais de la diversité de particularités respectives de l'homme et de la femme découle une diversité de leurs tâches, et ce, afin de répondre aux exigences d'une vie de progrès et de concrétiser les principes d'égalité et de justice.

La Commission constate que l'instruction dispensée à la femme doit être à même de l'amener au niveau le plus élevé. Cette instruction doit sauvegarder sa foi et être conforme à ses particularités et à sa fonction dans le cadre de la société musulmane, cadre qui doit par ailleurs assurer la promotion de la femme aussi bien dans la villes que dans les campagnes. L'authenticité doit être le trait dominant et essentiel de l'instruction de la femme, de sa culture et de ses activités.

A la lumière de ce qui précède, les membres de la Commission, à l'unanimité, formulent les recommandations suivante :

RECOMMANDATIONS

1°) Le Séminaire recommande aux gouvernants ainsi qu'aux familles des divers Etats à l'échelle mondiale, à chacun selon ses convictions religieuses, ses

RECOMMANDATIONS DE LA TROISIEME COMMISSION

« LA FEMME APRES L'ANNEE DE LA FEMME... »

Membres :

— Docteur Mustapha Ahmed Az-Zerka (Syrie), professeur à la Faculté de la Chariaâ, Université Jordanienne - Amman - et ancien ministre de la Justice	Président
— Docteur Omar At-Toummi Chibani, professeur à la Faculté de l'Education, Université d'Al-Fath - Tripoli (Libye) et professeur associé à l'Université du Michigan (U.S.A.)	Rapporteur
— Docteur Parveen Shaukat Ali, professeur assistante à l'Institut Maclaghan Trining - Lahore (Pakistan)	Membre
— Docteur El Hibr Youcef Nour Addaïm, professeur à la Faculté des Lettres, Université de Khartoum (Soudan)	»
— Monsieur Mohamed Sadek Bessies, professeur à la Faculté Ezzaïtounia de la Chariâa et Oussoul Eddine - Tunis,	»
— Docteur Abdelkarim Saïtoh, professeur d'Economie à l'Université Takashuku - Tokyo,	
— Monsieur Lekhel Ben Haoua, avocat à la Cour - Alger,	»
— Madame Fatima Heeren-Sarka, Centre Islamique de Munich (R.F.A.)	»
— Madame Mireille Abeille (France), économiste (ex-enseignante à l'Université de Trivandrum (Inde).	»
— Monsieur El Hadi Khasrou Chahi, directeur du Centre des Recherches Islamiques Qom (Iran).	»
— Monsieur Mohamed Mujtahid Chabestari (Iran), directeur du Centre Islamique de Hambourg (R.F.A.),	»
— Monsieur Abderrahmane Chibane, inspecteur général au Ministère des Enseignements Primaire et Secondaire - Alger	»
— Docteur Kheir Allah Assar (Syrie), professeur à la Faculté des Lettres, Université d'Annaba (Algérie)	»
— Monsieur Habib Boukhressa, membre du Front Polisario (R.A.S.D.)	» »

1°) Entreprendre des études complémentaires et exhaustives des problèmes et des éléments relatifs à l'Islam en Afrique aujourd'hui, ces derniers méritant une étude plus approfondie.

2°) Prendre en charge les causes et les problèmes auxquels sont confrontés les Musulmans de l'Afrique Noire et déployer des efforts pour doter ces pays de tous les moyens dont ils ont besoin pour une connaissance plus approfondie des sciences islamiques, mettre à leur disposition des enseignants et des ouvrages traitant des matières islamiques, afin de leur permettre une meilleure connaissance des sources et des enseignements authentiques de l'Islam.

3°) Former un personnel qualifié pour assurer une plus ample connaissance de l'Islam, des hommes du culte et des prédicateurs à même de combler ce vide en Afrique Occidentale, Centrale et Orientale.

Il serait souhaitable qu'il y ait un plus grand nombre de prédicateurs parmi les Africains mêmes pourvus d'une authentique formation islamique et intellectuelle.

4°) Inviter les Etats musulmans et leur organisation (Conférence des Etats Islamiques) ainsi que d'autres organismes représentatifs à contribuer à la création d'une institution chargée de la diffusion de l'Islam grâce à l'assistance technique, scientifique et économique aux pays qui en éprouvent le besoin.

Au Nom de Dieu le Clément le Miséricordieux.

RECOMMANDATIONS DE LA DEUXIEME COMMISSION

Les membres de la deuxième commission, conférenciers et participants aux débats, se sont réunis le 23 safar 1397 H. (12 février 1977) pour étudier le deuxième point intitulé : « L'ISLAM EN AFRIQUE AUJOURD'HUI ».

Ont participé à cette commission :

— Docteur Mohamed Abdallah Inâne, historien et membre de l'Académie de langue arabe du Caire,	Président
— Docteur Abdelhalim Aouis, professeur à la Faculté de la Chariaâ Université Islamique de l'imam Mohamed Ibn Saoud - Ryadh (Arabie Saoudite)	Rapporteur
— Docteur William Montgomery Watt, professeur au Département des études arabes et islamiques, Université d'Edimbourg (Grande Bretagne)	Membre
— Docteur Mahmoud Diab, écrivain, Le Caire,	»
— Docteur Dennis Walker, professeur au Département des études du Moyen Orient, Université de Melbourne (Australie)	»
— Cheikh Souleiman Daoud Ben Youcef, chercheur en Histoire (Algérie)	»
— Docteur Mahmoud Mansour, Ligue des Etats Arabes - Le Caire.	»
— Monsieur Mohamed Lakhdar Abdelkader Essaïhi, membre de l'Union des Ecrivains Algériens et chef du Bureau d'Arabisation au Ministère de la Jeunesse et des Sports - Alger	»

La Commission a évoqué les études relatives à : « L'ISLAM EN AFRIQUE AUJOURD'HUI », présentées par les professeurs prescités, de même que les débats qui s'ensuivirent.

Elle a conclu, à l'issue de ces exposés et de ces débats que beaucoup d'aspects relatifs au fond du sujet on été traités puis elle a constaté néanmoins — à la lumière des débats instaurés autour de ce thème — que beaucoup de ses autres volets nécessitent un complément d'étude et de recherche, d'où elle estime nécessaire de formuler les recommandations ci-après :

3°) Pour compléter les efforts mentionnés dans les deux points précédents, la commission estime que les organismes spécialisés devraient encourager les fouilles, la recherche et la collecte des vestiges rostomides en général, ibadites en particulier, et entreprendre des démarches pour la récupération de tout ce qui se rapporte à la civilisation rostomide et qui a été transféré à l'étranger au temps de l'occupation ; enfin lancer un appel aux archéologues musulmans afin de susciter chez eux un intérêt pour les vestiges ibadites.

4°) Dans le souci de parfaire les études sus-mentionnées la commission recommande de procéder parallèlement à un examen du patrimoine et de la société ibadite d'une manière scientifique et insiter comporter les aspects ethnographiques, démographiques et sociologiques.

Bien que la Commission soit consciente des difficultés que pourrait comporter pareille entreprise, elle recommande aux universités d'encourager vivement ce genre d'études dans le cadre des recherches portant sur la société algérienne et la société arabe en général.

5°) La commission propose la constitution d'une commission ad hoc composée de Messieurs : El Mehdi Bouabdelli, Souleimane Daoud Ben Youcef, Amar Khalifa An-Nâmi et Ferhat El Djâbiri, chargée de réaliser la publication d'un inventaire des recherches et études sur les Ibadites d'hier et d'aujourd'hui. Seront chargés des études et investigations différents chercheurs appartenant à divers pays, en sorte que le résultat de ces travaux soit remis en décembre 1978 et que la commission ad hoc, soit en mesure de procéder à l'élaboration de l'ouvrage et à son impression au cours de l'année 1979.

La commission formule le souhait que cette suggestion trouve un écho favorable auprès des autorités responsables du Ministère de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses et propose que l'ouvrage soit publié sous son patronage.

6°) La commission estime que les chercheurs spécialisés dans les rites islamiques devraient se pencher sur ces études, étant entendu que ces dernières devront avoir un caractère scientifique et objectif et englober les sectes et les rites islamiques qui ont eu un rôle influent au cours de l'Histoire de l'Islam.

En conclusion, la commission attire l'attention, en ce qui concerne ces recherches, sur la nécessité de faire la distinction entre la méthode historique et la méthode théologique en rapport avec ces sectes. Elle préconise le recours aux deux méthodes, en vue d'enrichir la pensée islamique contemporaine et de susciter une plus large ouverture entre les Musulmans des différents rites

— Monsieur Ismaïl El Arabi, historien et conseiller à la S.N.E.D. Algérie »

— Monsieur Mohamed Chérif Toualbi, professeur au lycée El-Mokrani Ben Aknoun (Alger) »

— Monsieur Ounis Gregah, étudiant à la Faculté de Droit, Université de Annaba - Algérie »

— M^lle^ Fatma Bennouh, institutrice à Hussein-Dey — Alger Algérie »

Dans le cadre du 11ᵉ Séminaire sur la Pensée Islamique tenu à Ouaradjlane (Ouargla - Sédrata) en République Algérienne Démocratique et Populaire, du 17 au 26 safar 1397 H. (6 au 15 février 1977), sous le patronage du Ministère de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses, la commission chargée d'examiner le premier point « Apport des Rostomides à la civilisation et à la pensée islamiques », s'est réunie le 23 safar 1397 H. (12 février 1977).

Sur la base des conférences, débats et interventions se rapportant au thème indiqué ci-dessus et après l'audition des diverses opinions formulées par les membres de la commission, cette dernière a estimé de son devoir de souligner les efforts déployés par le Ministère de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses, en le remerciant de réserver chaque année, dans l'ordre du jour du Séminaire, un point destiné à l'étude des aspects historiques de la région où se tiennent ces réunions.

Considérant que Ouargla, siège du 11ᵉ Séminaire sur la Pensée Islamique, fut le centre d'une civilisation islamique ibadite prospère, comme en témoigne l'histoire de la dynastie rostomide, la commission a pris conscience de l'importance du patrimoine ibadite en tant que partie considérable de l'ensemble du legs arabo-islamique.

Considérant que ce legs demeure inconnu à la grande majorité des membres de la nation islamique, alors qu'il mérite toute attention et tous soins de leur part, la commission recommande :

1°) Que le Ministère de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses accorde son intérêt à la mise en valeur du patrimoine culturel ibadite, sous ses divers aspects. Il pourrait confier à certaines personnes la tâche de rechercher les manuscrits se trouvant encore dans des collections privées ou chez des collectivités ibadites, afin de les recueillir et de les éditer. Le Ministère pourrait également dresser une bibliographie générale exhaustive qui engloberait tous les ouvrages ibadites dispersés à travers le monde. A cet effet, un chercheur à la fois qualifié et expérimenté pourrait être désigné (N.B. : la commission rend hommage à ce sujet à la longue expérience du docteur Amar Khelifa An-Nâmi (Libye).

2°) La commission recommande également, en ce qui concerne les efforts destinés à la régénération de l'héritage culturel ibadite, de recenser les thèses et les mémoires discutés dans les différentes universités ayant pour thème l'histoire et la doctrine ibadite, de réaliser des micro-films et de les mettre à la disposition des chercheurs.

Au Nom de Dieu le Clément le Miséricordieux.

RECOMMANDATIONS DE LA PREMIERE COMMISSION

Thème : Apport des Rostomides à la civilisation et à la pensée islamiques :
Composition de la commission :

- Docteur Ihsân Abbas (Palestine) professeur à l'Université américaine de Beyrouth (Liban) et professeur associé à l'Université Princeton (U.S.A.) — Président
- Docteur Widad El Kâdhi, professeur à l'Université américaine de Beyrouth (Liban), professeur associée à l'Université Harvard (U.S.A.) — rapporteur
- Cheikh Souleiman Daoud ben Youcef, historien, Algérie — Membre
- Monsieur El Mahdi Bouabdelli, Historien, chargé de mission au Ministère de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses et membre du Centre National d'Etudes Historiques, Algérie — »
- Docteur Mohamed Arkoun (Algérie), professeur de philosophie islamique à la Nouvelle Sorbonne, Paris, — »
- Docteur Salvador Gomez Nogalès, chef du Département de Madrid. — »
- Docteur Maria Jésus Viguera, professeur au Département arabe et islamique, Université Complutense, Madrid, — »
- Docteur Ibrahim Fekhar, professeur d'Histoire à l'Institut des sciences sociales, Université d'Oran (Algérie) — »
- Docteur Amar Khalifa En-Nâmi, professeur de Littérature et des études islamiques à l'Université d'Al Fâth, Tripoli (Libye) et professeur associé à l'Université Michigan (U.S.A.) — »
- Docteur Abdelhalim Aouis (R.E.A.), professeur à la Faculté de la Chariaâ, Université islamique de l'imam Ibn Saoud - Ryad (Arabie Saoudite) — »
- Docteur Farhat El-Djâbiri, professeur au lycée Az-Zahra, Tunis, — »

faits que dans le cadre d'un développement global auto-centré impliquant nécessairement au départ un contrôle direct des richesses du sous-sol au profit exclusif des masses populaires.

Telles sont ,en définitive, les conditions d'une exploitation authentique des richesses du sous-sol pour créer les conditions d'un développement global, le seul qui puisse consolider la souveraineté nationale d'une part, et favoriser la promotion des masses populaires, d'autre part.

CONCLUSION

Désormais les ressources du sous-sol jouent un rôle très important dans le développement à la suite de la mobilisation massive des matières énergétiques. C'est grâce à ces moyens que la transformation de certains pays et régions est devenue effective. De nouvelles perspectives s'ouvrent et tendent même à dépasser le cadre étroit de notre planète.

Mais très vite, il en est résulté des problèmes et dangers que mettent bien en évidence les disparités existant entre le monde développé et le monde sous-développé, alors que l'avance et les progrès du premier se poursuivent bien souvent au détriment du second. Les richesses minières ne sont point concentrées, mais sont très dispersées à travers les pays. De plus, il existe de nombreux liens très étroits entre les deux mondes, mais ces rapports ont été établis et sont toujours contrôlés par les pays industrialisés.

Aussi convient-il de les modifier, en remettant en cause directement les structures politiques et économiques dans lesquelles se débattent les Etats du Tiers-Monde. Ceux-ci doivent disposer librement de leurs ressources afin qu'ils puissent les mettre en valeur au profit des masses populaires, étape indispensable pour le décollage économique. N'est-il point là l'objectif des peuples ? Le développement n'est-il pas la voie la plus directe pour rapprocher les peuples ?

Djilali SARI

NOTES

(1) J.A. Lessourd et C. Gérard : Histoire économique, XIXe et XXe siècle, Paris 1963, A. Colin, Collection U.

(2) J. Beaujou - Garnier : Images économiques du Monde. Paris, 1975, p. 53.

(3) J. Beaujeu - Garnier, op. cit. p. 55-59.

(4) Finances et Développement, Washington, 1972, BIRD.

(5) Beaujeu - Garnier, op. cit.

(6) Le jeu de l'oie du pétrole, Le Monde, Paris, 18-11-78.

(7) Destannes de Bernis : Les industries industrialisantes et les options algériennes, Revue du Tiers-Monde, Paris, Juillet - Septembre 1971, n° 47, p. 545-584.

tionales. Une telle main-mise aliène dangereusement la souveraineté nationale de nombreux pays.

Cette situation est donc très dangereuse car elle renforce l'oppression des peuples et accroît en conséquence leur dépendance politique. Aussi la libre disposition des ressources au profit exclusif des masses est-il inséparable de toute libération politique authentique. Cette dernière constitue incontestablement une condition siné qua nun ; et d'elle dépendent d'autres conditions sur le plan interne. Cependant, en dépit de tous les efforts à déployer sur ce plan, des obstacles demeurent encore sur le plan externe. Les pays concernés, en l'occurence les pays sous-développés, doivent coopérer en se solidarisant, en harmonisant leur politique même s'il le faut dans le cadre de programmes limités. Ils doivent aussi approfondir l'analyse de l'analyse de l'ordre économique international, à l'exemple de l'Occident.

De tels efforts seront très fructueux comme le montre l'exemple de l'OPEP qui a obtenu de bons résultats et qui a fini par contraindre les pays développés à accepter un dialogue avec les pays sous-développés sur l'ensemble des problèmes pendants entre les interlocuteurs, et ne point limiter le débat au seul problème de l'énergie.

Mais le chemin est encore loin et difficile à franchir comme le soulignent les événements récents. Il faut que les pays producteurs de matières premières conjuguent leurs efforts plus que jamais, l'objectif a atteindre étant la consolidation de l'indépendance politique au service d'un développement global, et non la croissance d'un secteur donné. Toutes les analyses insistent sur cette idée-clé : *le développement ne peut se confondre avec la croissance d'un ou deux produits même s'il s'agit de ressources stratégiques.* De même, le développement ne saurait se réduire à la croissance d'un secteur déterminé, même dans le cas de certaines branches d'industries dynamiques, car à l'heure actuelle les produits alimentaires jouent un rôle très importants. C'est désormais une arme au service de l'Occident.

Le développement est donc tout autre. C'est une étape ultime qui apparaît peu à peu lorsque les conditions analysées ci-dessus sont remplies et lorsque se réalisent de profondes transformations tant sur les plans économique que social. Au niveau du premier, le principal rôle peut revenir soit à l'agriculture soit à l'industrie, ou même aux deux simultanément. Dans tous les cas, le rôle de l'industrie est primordial car il est en mesure d'agir efficacement sur l'agriculture en l'approvisionnant en engins mécaniques, appareillages électriques et en produits chimiques divers. C'est grâce à cette intégration que la lutte contre le sous-emploi et le chomage déguisé s'intensifie dans les campagnes.

Mais d'autres conditions sont nécessaires pour atteindre cet objectif, notamment lorsqu'on parvient à mettre en place une série d'industries industrialisantes (7) d'une part, et lorsqu'il y a une meilleure coordination entre ces industries et le développement des autres secteurs, d'autre part. De plus ces activités doivent être auto-centrées afin qu'elles entraînent le maximum d'effets sur le plan social.

En effet dans de telles conditions, on peut assister à des tranformations sociales profondes. La création et le renforcement de chaque industrie par exemple exigent la création de nombreux emplois à tous les niveaux, renforçant ainsi les structures de formation et d'encadrement et impliquant aussi et surtout une démocratisation de l'enseignement. Il en va de même également des activités culturelles et de la recherche scientifique. Or tout cela ne peut se traduire dans les

Bolivie pour l'étain, ou le Zaïre pour le cobalt, d'où la consolidation des rapports inter-américains et ceux des continents africain et asiatique avec l'occident, exception faite de la République Démocratique de Chine.

De tels liens sont bien mis en évidence par le flux des matières énergétiques principalement le pétrole à l'heure actuelle, et le gaz naturel à l'avenir, puisque les centres de production ne coincident pas avec les centres de traitement et de consommation. Le Moyen-Orient est devenu très vite une des principales zones d'exploitation, sa part dans le tonnage mondial est passée très vite de 4,3 % en 1946 (16 M t) à 22 % en 1955 (170 M t) puis s'est élevée à 33,7 % en 1975 en s'approchant de 1 M2 t (5). De plus des statistiques récentes montrent que c'est l'Arabie Séoudite qui occupe maintenant la première place, au lieu des USA.

Les réserves de l'Arabie sont très importantes et autorisent un accroissement sensible de l'exploitation. Il en est de même également des autres pays de la région dont le rôle dans ce domaine est appelé à s'accroître, car il s'agit de matières stratégiques par excellence. En effet, leurs dérivés, qu'il s'agisse de combustibles, de matières plastiques, d'engrais chimiques ou de textiles artificiels, jouent un rôle de premier plan dans l'économie mondiale d'autant plus que la pétrochimie est localisée essentiellement en Occident et au Japon.

Tel est donc le rôle qui revient au Tiers-Monde dans le développement général des pays industriels. Désormais les industries de ces derniers ne peuvent se passer des ressources extraites des gisements situées à travers la planète comme on l'a pu constater en 1973-74 à la suite de la réduction de production pétrolière. Or cette dépendance se retrouve également à d'autres niveaux en particulier au niveau des investissements. L'Occident accueille annuellement des capitaux très importants en provenance des pays producteurs de pétrole du Moyen-Orient (pétrodollars). Leur valeur a été estimée en 1975 à 40 milliards de dollars (6), soit l'équivalent de la moitié des réserves en devises et en or de tout l'Occident.

III — CONDITIONS D'UNE MEILLEURE EXPLOITATION DES RICHESSES ET MOYEN DE LIBERATION :

Comme les richesses du sous-sol constituent un des facteurs de l'essor économique mondial, il convient de s'interroger sur les autres facteurs en tirant les enseignements de l'expérience du monde développé, même si les conditions de cette dernière diffèrent de la situation qui prévoit actuellement dans le Tiers-Monde. Il y a lieu donc d'examiner de très près cette situation afin de bien cerner les obstacles qu'elle renferme et qui constituent autant de blocages.

En fait, ces obstacles, tant sur le plan national qu'international, découlent de l'ordre économique international. C'est bien cet ordre qui a renforcé toujours la dépendance du Tiers-Monde et aggrave son approvisionnement sans cesse. C'est ainsi qu'en dépit de la hausse récente des matières premières, la détérioration des termes de l'échange s'accroît et aggrave l'érosion du pouvoir d'achat des pays sous-développés d'autant plus que ces derniers sont contraints d'accroître leurs importations et doivent expatrier une partie de leur main-d'œuvre, sans contrepartie pour la préparation de cette population.

Par ailleurs, on observe aussi d'autres relations similaires qui s'effectuent au profit des pays développés. En effet, compte-tenu de ses acquis et avances, des secteurs aussi vitaux que les transports, les télécommunications et l'information sont toujours monopolisés par les grandes firmes internationales et les multina-

II — PROBLEMES ET DANGERS DE L'ORDRE ECONOMIQUE INTERNATIONAL :

Les grandes transformations économiques que connait le monde au cours de ces dernières décennies dont généralement au service de minorités, alors qu'il en résulte de graves problèmes et dangers pour la grande majorité de l'humanité.

1) - *Déséquilibres et antagonismes :*

Si les richesses minières ne se concentrent pas dans quelques contrées mais se dispersent à travers le monde, les matières énergétiques et en particulier celles qui jouent un rôle vital dans les industries récentes, ne se localisent pas directement dans les pays qui les transforment. Or leurs exploitation et consommation ne concernent pratiquement que le quart de l'humanité seulement,, alors que les potentialités et réserves du Tiers-Monde sont très importantes et nombre de ses pays viennent en tête pour la production d'un certain nombre de matières premières. Une telle situation apparaît également dans l'observation suivante, celle qui rend compte des grandes disparités à travers la planète.

C'est ainsi que le revenu annuel par habitant pour le quart de l'humanité est d'environ 2.000 dollars et peut atteindre jusqu'à 4.000 dollars, alors que la moyenne pour les 3/4 des populations mondiales tombe à 100 dollars. Quant aux disparités entre les continents et régions, elles sont également très grandes. L'Amérique du Nord qui ne compte que 4 % seulement de la population mondiale se réserve 43 % des revenus, alors que l'Amérique Latine qui regroupe sensiblement la même proportion de la population ne bénéficie que de 4,5 % des revenus. Quant au continent asiatique qui est peuplé de 54 %, il ne dispose que de 12 % seulement (4).

Ce sont également les mêmes disparités qu'on observe en ce qui concerne la consommation des produits fabriqués et l'énergie, alors que les rapports entre monde industriel et monde sous-développé sont étroits, les matières du sous-sol du second étant traités par les industries du premier. Or si la consommation énergétique est dérisoire et reste peu différent de 100 Kg/hab. dans ce dernier, elle atteint dans le premier 10 T. En considérant un autre critère on observe aussi que la consommation d'acier a de grandes disparités : la valeur est de 300 Kg/an/habitant dans les pays sous-développés, contre 437 à 721 Kg en Europe Occidental. Il en est de même des autres secteurs, notamment les produits alimentaires et la production culturelle. Aussi la situation sanitaire est-elle très déficiente dans le Tiers-Monde et il en va de même de la vie scientifique et culturelle. Est-ce alors la conséquence d'un manque de ressources ?

2) - *Rôle du Tiers-Monde dans le développement mondial :*

Si la part du monde sous-développé est très faible en ce qui concerne la consommation de produits fabriqués, son rôle est très important dans la production de matières premières et en particulier les hydrocarbures, même si ces derniers demeurent relativement concentrés au profit d'un nombre limité de pays.

Très vite la contribution du Tiers-Monde s'est accrue régulièrement et s'est même imposée après la seconde Guerre Mondiale, tant en ce qui concerne les matières premières que les ressources énergétiques. Cette contribution a trait notamment aux minerais de beauxite, de chrome, de cobalt, d'étain, de mercure, de nickel, de manganèse et de cuivre. De plus, la production de nombreux pays tend à se spécialiser dans un ou deux produits. C'est le cas, par exemple, de la

des produits pétroliers, lesquelles ont révolutionné les moyens de transports et de télécommunications.

2) *La prééminence de nouvelles énergies :*

Très vite de nouvelles formes d'énergies ont supplanté la houille grâce en particulier à leur spécifité et la diversification des formes de leur utilisation, principalement dans la navigation aérienne et la conquête de l'espace.

Quant à l'énergie électrique, elle a un rôle déterminé dans certaines branches industrielles. C'est ainsi qu'elle est irremplaçable dans la production d'aluminium, du cuivre et zinc. Son rôle n'est pas moins important aussi bien dans les transports et la vie quotidienne. Elle est indispensable en particulier dans le domaine des télécommunications, la télévision, les machines de bureau, l'électro-ménager. Aussi l'accroissement de la production mondiale est-il spectaculaire comme le soulignent bien les statistiques. Elle est passée de 464.200 KW en 1938 à 6.248.000 KW en 1974 (2). Durant la même période, la production des U.S.A. est passée de 141.955 à 1.241.095 MK, celle de l'URSS de 39.400 à 1.036.000 KW. On sait que cette énergie peut être aussi bien d'origine hydro-électrique que calorifique. De plus en plus, elle est produite à partir de centrales utilisant le gaz naturel, d'où l'importance de cette ressource.

Une telle importance concerne aussi le pétrole dont la primauté s'est imposé au cours des dernières décennies, comme le montre les statistiques suivantes. La production mondiale, en passant de 271 M t en 1938 à 772 M t en 1955 puis à 2.870 M t en 1974 (3) s'est décuplée en l'espace de 36 années. Il en est de même pratiquement de la production du gaz naturel dont le volume total est passé de 300.000 M m3 en 1955 à 1.272.000 M m3 en 1974, même si son pourcentage par rapport au bilan énergétique total est encore restreint.

Ainsi la prééminence des hydrocarbures est incontestable. Ce sont non seulement des sources énergétiques mais aussi des matières premières très recherchées par les industries modernes, notamment la pétrochimie. En effet, après le raffinage, on obtient des produits et sous-produits tels que l'éthylène, le butane, le propane, des alcools, des matières plastiques. Lesquels animent à leur tour de nombreuses industries. Or les dérivés de ces dernières jouent actuellement un rôle très important, en se substituant à de nombreuses matières, tels que le bois, le verre, l'acier parfois, les matières textiles traditionnels, laine, coton et soie. L'avantage de ces industries sont nombreux : la modicité des prix et la diversification des usages. Aussi supplantent-elles de plus en plus les industries du siècle dernier, en particulier la carbo-chimie. De plus elles s'affirment dans de nombreux domaines, aussi bien dans l'agriculture grâce à la consommation massive de produits chimiques, que dans la navigation maritime à la suite du développement prodigieux de la flotte des tanckers et prochainement de celles des méthaniers.

Ainsi les richesses du sous-sol jouent un rôle déterminant dans le secteur industriel que dans les autres secteurs économiques, notamment dans l'agriculture, les transports, les télécommunications et les transformations technologiques. Elles sont à l'origine des transformations radicales intervenues récemment dans le monde. Mais sont-elles au profit des masses, ou sont-elles restées concentrées au contraire au profit de minorités et dans des pays déterminés ? Qu'elles en sont alors dans de telles conditions, les conséquences et les effets ?

I — ROLE DES RICHESSES DU SOUS-SOL DANS LA TRANSFORMATION DE L'ECONOMIE MONDIALE :

Ce rôle décisif ne s'est imposé qu'à la suite de la maîtrise des formes d'énergie et leur consommation massive. C'est l'utilisation successive de la houille, de l'électricité et surtout du pétrole qui a permis la transformation radicale de certains pays et régions, ainsi que celle des conditions de vie de certains peuples.

1) - *La révolution industrielle et les richesses du sous-sol :*

Ce sont avant tout les applications du principe de la machine à vapeur qui ont permis à l'humanité de franchir une étape décisive de son histoire, principalement dans les pays où les conditions ont été réunies, notamment ceux dont le sous-sol recèlent d'importants gisements de houille, de minerais de fer et d'autres ressources. En effet, depuis le début du XIXe siècle, cette énergie anime un certain nombre d'industrie, notamment les textiles, la métallurgie, et actionne deux moyens de transport : les chemins de fer à partir de 1830 et les bateaux à vapeur. Aussi la production mondiale de houille est-elle passée de 100 Mt en 1850 à 1.330 M t en 1913, devenant ainsi l'expression directe de tout essor et vitalité économique, d'autant plus cette production n'a concerné qu'un nombre limité de pays en Europe Occidentale et en Amérique du Nord. C'est ainsi que le tiers revient aux Etats-Unis à la veille de la première Guerre Mondiale (513 M t), le quart à la Grande-Bretagne (60 % en 1890), 23 % à l'Allemagne et le reste aux autres pays de l'Europe Occidentale et la Russie (1).

Cette concentration s'observé également à propos de la production des minerais de fer. Le volume de quatre producteurs s'est élevé à 123 Mt, contre 168 M t pour le tonnage mondial. 60 M t reviennent aux U.S.A., 23 à l'Allemagne, 21 M t à la France et 15 M t à la Grande-Bretagne. C'est donc grâce à de telles quantités que ces pays ont acquis une puissance considérable et sont parvenus à dominer le monde.

Ainsi s'expliquent le renforcement et la diversification de l'industrie à la suite du développement prodigieux de la sidérurgie, laquelle anime depuis le milieu du XIXe siècle de nombreuses branches tels que les constructions mécaniques, les machines-outils, l'industrie du bâtiment, la papeterie, l'imprimerie... Or toutes ces industries consomment de grosses quantités de minerais, aussi bien ferreux que non ferreux, comme les minerais de cuivre, de plomb, de zinc. De plus l'emploi de ces matières dont certaines sont très éloignées des centres de transformation ne pose pratiquement pas de problèmes, grâce en particulier au développement des transports maritimes.

D'autre part, cet essor général, ne s'est pas limité seulement au domaine industriel mais il s'est étendu aussi très vite à l'agriculture. Cette dernière s'est transformée radicalement grâce à la généralisation de la mécanisation qui a permis la mise en valeur de nouvelles terres en Amérique, en Australie et ailleurs, parallèlement à l'introduction de nouvelles cultures. Tout cela s'est traduit par un accroissement spectaculaire de la production, et sa diversification, parallèlement au renforcement du commerce mondial et la satisfaction des besoins dans les pays développés.

D'autres inventions et applications sont intervenues par la suite, dans la deuxième moitié du XIXe siècle et sont à l'origine d'une deuxième révolution industrielle. Ce sont la production industrielle de l'électricité et la consommation

PAS DE DEVELOPPEMENT SANS L'EXPLOITATION ET LA MAITRISE DIRECTE DES RICHESSES DU SOUS-SOL

par Monsieur Djilali Sari
Professeur
à l'Institut de Géographie
Université d'Alger

Le Developpement est Indissociable du Controle directe des Richesses du Sous-Sol et leur Revalorisation

L'utilisation massive des richesses du sous-sol est relativement récente et n'a été rendue possible qu'à la suite de la convergence d'inventions techniques survenues à la fin du XVIII^e siècle dans les domaines de l'énergie et de la sidérurgie en particulier, puis quelques décennies après par la mobilisation de nouvelles formes d'énergie : l'électricté et le pétrole. Ce fut le point de départ d'une série de transformations et de progrès économiques, scientifiques et sociaux.

Cependant ces résultats spectaculaires soulèvent plus que jamais de graves problèmes que soulignent bien les déséquilibres et disparités à l'heure actuelle. En effet, les pays développés qui en sont les principaux bénéficiaires ne représentent que le quart de la population mondiale, alors que les pays sous-développés qui regroupent les 3/4 de l'humanité sont très favorisés. Ils sont même exposés à de nombreuses calamités et soumis à de mutliples formes d'oppresion.

Une telle situation est d'autant plus dangereuse que les disparités ne cessent de s'accroître et de se renforcer. Est-elle alors la conséquence de leur pauvreté, ou est-elle, au contraire, en rapport avec les structures politiques et économiques, puisque le Tiers-Monde contribue bien au développement mondial à la fois par ses ressources humaines et matérielles ? Nombre de ses pays occupent une place de choix dans la production de matières premières très recherchées par des industries vitales.

Tels sont les problèmes que nous allons analyser en abordant les points suivants :

— Rôles des richesses du sous-sol dans les transformations de l'économie mondiale ;

— Problèmes et dangers de l'ordre économique international ;

— Conditions d'une meilleure exploitation des richesses du sous-sol et moyen de libération.

ment nationaliste dirigé par Saâd Zaghloul, celle des syriennes, des irakiennes et le rôle considérable que l'algérienne a mené pendant la guerre de libération de même que les autres femmes du monde arabe contemporain, de l'Irak au Maghrib sont des exemples dignes d'être cités.

Notons que la contribution de la femme dans la libération du pays n'a pas été vaine. Par le fait de libérer son pays, elle favorise son émancipation. De même qu'elle a favorisé la généralisation de l'enseignement à tous les niveaux.

Beaucoup de choses ont été faites. On estime que dans certains pays les femmes ont obtenu tous leurs droits. On la retrouve dans les carrières politiques, économiques, elles détiennent des postes de direction dans les ministères, les syndicats, la presse. Elles se sont affirmées dans les professions libérales. Mais notons que comme du reste en Italie et presque dans tous les autres pays, elles ne constituent qu'une minorité.

La promotion de la femme doit être prise dans son sens le plus large. Elle ne concerne pas certaines femmes mais toutes les femmes du monde arabe et il reste beaucoup à faire dans ce domaine en tenant compte bien entendu des principes de l'Islam.

Il est nécessaire de généraliser l'enseignement, d'améliorer la formation professionnelle et d'accorder beaucoup plus de prestations sociales, parce que la femme, en consentant un petit sacrifice, peut travailler aussi bien à l'extérieur qu'à l'intérieur tout en conciliant ses devoirs de mère et d'épouse avec ceux de son propre travail.

Et si ces premiers devoirs, à mon avis, sont très importants ,c'est parce que la famille constitue le noyau fondamental de la société ; les seconds ne le sont pas moins parce que le travail de la femme constitue une force indispensable à la société. De plus l'indépendance économique que la femme acquiert grâce au travail influe sur le statut familial, procurant ainsi une liberté d'agir et de penser.

Je répète donc qu'il reste beaucoup à faire, non seulement pour la femme arabe mais pour toutes les femmes du monde. Je suis convaincue que notre lutte portera ses fruits grâce à la coopération entre toutes femmes du monde, renforcée par l'aide des hommes afin de promouvoir l'égalité non seulement en droit, mais aussi dans la vie quotidienne. Grâce à cette coopération la femme a la possibilité de jouer un rôle important dans la construction d'un nouveau monde basé sur la coopération, l'égalité, la paix et l'amélioration des conditions de vie et la justice sociale pour tout le monde.

bonnes actions, alors qu'ils ont foi en Dieu nous les ferons vivre en une existence agréable et nous leur accorderons une rétribution supérieure à leurs actes "

Et dans la Sourate « El Houdjourate » : " O gens, nous vous avons créés hommes et femmes peuples et tribus afin que vous vous connaissiez les uns les autres, aux yeux de Dieu, le plus généreux parmi vous sera le plus pur, Dieu est le plus savant et le plus informé ". Et encore dans la Sourate des « femmes » (Sourate 4 Verset 124) : " Et quiconque — homme ou femme — fait œuvres bonnes, cependant qu'il est croyant... les voilà ceux qui entreront au paradis et on ne leur manquera pas fut-ce d'un creux de noyau de datte.

En outre, le Coran prévoit pour la femme et pour l'homme les mêmes sanctions quant à l'adultère (Sourate XXIV) Verset n° 2 « La lumière » : " La fornicatrice et le fornicateur, fouettez-les de chacun cent coups de lanière ". Et ainsi pour beaucoup d'autres types de pêchés (Sourate v, Verset 38) : " Quant au voleur et à la voleuse, à tous deux coupez la main ".

Si dans l'ordre religieux et moral musulman la femme est l'égale de l'homme, dans l'ordre juridique et politique elle lui est inférieure. La femme est exclue du pouvoir suprême, et d'autres postes importants tels que : cadi, imam, khatib, wali.

Au niveau de la justice, le témoignage d'un homme équivaut à celui de deux femmes. Dans l'héritage, contrairement à l'homme qui bénéficie d'une part entière, on ne lui attribue que la moitié. Ce phénomène n'a pas empêché la femme dans les premiers temps de l'Islam, de jouer un rôle très important aussi dans la vie publique. Il suffit pour cela de citer à titre de référence Khadidja et Aïcha. Et qui ne se souvient de femmes comme El Khansa, Soukeina bent El Hossein, Aïcha bent Tolha, Rabiâ El Adawiya, Zoubeida épouse de Ar-Rachid et Bouran épouse de El Maâmoun ?

Si la littérature nous a transmis le nom de ces femmes, qui sait combien, non moins dignes, ont vécu dans l'ombre et pourtant elles ont contribué par leur œuvre à la grandeur de l'Islam. La maitresse de maison, la paysanne, l'humble travailleuse, par leur travail constant et leur abnégation ont contribué à l'épanouissement de la civilisation arabo-islamique.

Si nous avons évoqués tous ces points, il est nécessaire d'admettre que l'influence étrangère et les nombreux événements politiques économiques et sociaux ont soumis la femme à une situation historique, la reléguant à une condition d'oppression et d'infériorité dans le contexte arabo-islamique.

Il était donc nécessaire d'améliorer la condition de la femme et de réformer la cellule familiale toujours conforme à la tradition musulmane. L'Islam a vu naitre une sorte de mouvements modernistes pour l'émancipation de la femme. Mouvements toujours animés par les hommes et les femmes. A ce propos, citons Djamel Eddine El-Afghani, Cheikh Mohamed Abdou, Kacem Amine, Cheikh Tahar El-Djaraïzi, Hoda Chaâraoui, Aïcha Taïmouniya, Mayyi Ziyadeh et tant d'autres qui ont exprimé la nécessité de l'application de l'égalité en droit et en devoir de l'homme et de la femme pour la construction d'une nouvelle communauté arabo-islamique.

Il est important qu'au moment des victorieux mouvements de libération nationale que les femmes combattent au côté des hommes pour la liberté et l'indépendance de leur pays. La participation de la femme égyptienne dans le mouve-

Voyons maintenant comment vont réellement les choses. Nous observons ce phénomène : une législation actuelle moderne, inspirée sur la vision d'une société dynamique mais introduite dans une réalité sociale ne correspondant pas aux structures mises en place ; elle est liée à une vieille structure dominée par la tradition qui voudrait faire de la femme un objet, lui réservant le droit d'avoir des activités complémentaires à celles de l'homme ou d'entreprendre des travaux manuels. De plus dans le secteur productif, la femme ne peut exercer que des fonctions subalternes : assistante sociale, institutrice, puéricultrice, nourrice, fonctions essentiellement réservées aux femmes.

Il est vrai que nous avons des femmes qui ont embrassé des professions libérales, la culture et une certaine carrière dites masculines et depuis quelques années, elles sont entrées dans le domaine politique. Notons que la majorité des femmes travaillent encore en marge du processus de production normale.

Nous pouvons maintenant conclure que la structure sociale actuelle empêche généralement la femme de considérer le travail comme une activité essentielle et non plus secondaire c'est-à-dire comme un fait provisoire, un moyen de gagner un deuxième salaire, en rejetant sa vocation, son devoir d'épouse et de mère. Mais le problème ne réside pas uniquemnet dans les structures sociales, si nous observons la situation dans d'autres pays, dans une situation plus avancée que la notre, ayant des services sociaux mieux adaptés, nous remarquons que la femme à son retour à la maison recommence à travailler : dans le fond l'égalité oblige la femme à travailler double.

Je ne pense pas que l'on puisse trouver des solutions générales à ce problème vu qu'il dépend aussi de la force morale et physique, de la volonté et du courage de toute femme et surtout du choix de chacune d'elle. Comme pour tous les choix elle devra consentir des sacrifices et déployer de gros efforts.

La femme, qui a acquis le droit d'existence en tant qu'individu et en tant que citoyenne doit se rendre compte du rôle indispensable qu'elle doit jouer au sein de la société.

Il est clair que dans la famille, elle est appelée à œuvrer pour l'amélioration de sa condition de vie par l'intermédiaire d'une éducation englobant le respect, la compréhension mutuelle et la plus complète collaboration.

Par l'amélioration de sa condition, elle parviendra à transformer l'homme qui vit à ses côtés qu'il soit son époux, son fils ou son frère.

Dans le cadre de ce séminaire sur la pensée islamique, il est nécessaire d'examiner ne serait-ce que brièvement la position de nos sœurs musulmanes au sein de la société et de la famille. Mais comme je suis arabisante et vu l'intérêt que je porte à l'étude du monde arabo-islamique, je ne peux que parler des femmes arabes. L'Islam a indubitablement libéré la femme des coutumes et des traditions de la jahilya. Il a amélioré sa situation par la déclaration de l'égalité fondamentale des femmes et des hommes.

Il vient dans la Sourate 6, Verset 98 (Sourate des bestiaux) : " C'est Dieu qui vous a créé à partir d'une seule âme ". Du point de vue religieux et moral, la femme demeure l'égale de l'homme. Elle a les mêmes devoirs moraux et religieux et dans l'au-delà, les mêmes punitions et les mêmes récompenses. Le verset 97 dit : " Ceux qui parmi vous hommes ou femmes auront accomplis de

Voyons maintenant le problème du travail de la femme. A l'occasion de l'année de la femme une commision spéciale nommée par le conseil des ministres a travaillé activement de 1975 à 1976, elle a organisé une conférence nationale sur le travail de la femme. Cette conférence s'est tenue à Rome du 26 au 28 novembre 1976 et était présidé par le Docteur Tina Anselmi, ministre du travail, qui est la première femme occupant un poste de ministre dans l'histoire de l'Italie. Ont participé à cette conférence de nombreuses personnalités de la politique, des syndicats ainsi que les associations féminines et les représentants régionaux. Dans son discours inaugural, la présidente a déclaré que la femme italienne était considérée comme un citoyen de série B. Les femmes en effet représentent plus de la moitié de la population (51,2 %) mais moins d'un tiers de la force de travail (28,1 %), un tiers des chomeurs (30,3 %) et plus de 1 million et demi font des travaux à la maison pour le compte d'un tiers et aussi elles sont exploitées, sans garantie et assurance ; c'est ce qu'on appelle le " travail noir ".

L'entretien du foyer par la femme et en particulier l'éducation des enfants et la mauvaise structuration des services sociaux (garderies - crêches - écoles à plein temps... etc...) sont les causes de ce mauvais emploi de la femme. Tout ceci domine les possibilités d'insertion de la femme dans le marché du travail. En outre, nous constatons, que la formation professionnelle et l'enseignement sont transmis insuffisamment ou de façon archaique. Cette situation pousse la femme à exercer des activités complémentaires à celle de l'homme, qui l'empêchent de s'épanouir et d'atteindre un bon niveau. Elle ne sait rien de la mécanique agricole, de la technologie. Nous pouvons pourtant dire que le travail de la femme est limité au domaine le moins spécialisé, le moins rémunérateur, qui exige le moins de compétence et qui a le moins de stabilité dans le monde du travail.

Le président du conseil italien a clos les travaux de la conférence par la lecture d'un communiqué, comportant un projet de loi relatif à l'égalité des salaires entre hommes et femmes en ce qui concerne le travail et la tutelle de la femme. Le conseil des ministres a approuvé ce projet de loi au cours de sa réunion du 23 décembre 1976. Celui-ci stipule l'abolition de la discrimination entre la femme et l'homme, permet l'accès au travail et à la formation professionnelle. Ces critères amènent un patron à choisir indifféremment une femme ou un homme pour n'importe quel travail.

En réalité, nous constatons que les facilités données à la femme, pour la période de sa maternité, relèvent du régime de la sécurité sociale. Mais nous devons faire ressortir ce projet de lois, visant l'abolition de la discrimination dans le domaine du travail entre l'homme et la femme, ne prend pas en considération deux grands problèmes, à savoir : — le travail domestique qui est plein de responsabilité, non reconnue juridiquement, d'autre part il a une grande importance économique mais n'est pas bien rémunéré.

— Le travail noir ou " travail à domicile " qui, malgré la loi de 1958 et de 1973 continue à échapper au contrôle.

De tout ce que j'ai exposé jusqu'à présent, il ressort que le législateur reconnaît à la femme, qui travaille les mêmes droits que ceux de l'homme, et les mêmes rétributions. Dans le cadre familial, elle demeure autonome et égale de l'homme.

hiérarchique dans la famille, la discrimination entre femme et homme, la communion de la vie conjugale, à laquelle s'opposait la division des biens

Mais ce raisonnement était périmé à une époque où le législateur s'est rendu compte, après les résultats du référendum sur le divorce (12-05-1974), que la majorité des Italiens était pour une réforme de la législation familiale pour la rendre plus proche de la nouvelle réalité socio-hitorique.

Le contenu du code de la famille a été appliqué aux principes de l'égalité entre les conjoints, de façon satisfaisante, que ce soit au niveau des relations personnelles ou des biens, ou que ce soit au niveau des relations parents-enfants. De nombreux articles de ce code octroient à la femme la dignité de son rôle au sein de la famille et de la société ; parmi les plus importantes, notons :

Article 143 bis : La femme en se mariant ne prend pas obligatoirement le nom de son époux comme l'indique le vieux code, mais l'ajoute au sien et le conserve même pendant la période de veuvage jusqu'à ce qu'elle se remarie ; donc la femme pendant son mariage conserve toute sa personnalité. Elle conserve aussi sa nationalité, sauf si elle décide d'y renoncer de son plein gré.

Article 43 : Il reconnaît aux deux conjoints le droit d'élire domicile au lieu où est fixé le centre de leurs occupations et de leurs intérêts. Cet article est fondamental pour l'émancipation de la femme et est vraiment révolutionnaire dans un système familial, où jusqu'alors la position du mari était incontestablement prédominante. Mais la réalité socio-économique actuelle fait qu'un nombre important des femmes exercent une activité rémunérée avec des résultats non négligeables au niveau de l'économie familiale. C'est pour cela que le législateur admet la possibilité, que la femme mariée puisse élire domicile au lieu de ses activités, même si ce dernier est différent de la résidence conjugale.

La réforme attribue aux époux la tutelle des enfants. Les époux doivent se mettre d'accord et dans le cas échéant, l'intervention de la justice est imminente. Un autre point très important, est celui des rapports patrimoniaux entre les conjoints, basés sur le régime de la communauté des biens. La réforme du code valorise le travail domestique de la femme, conférant ainsi un sens à sa participation effective dans la formation des biens de la famille. La matière relative à la succession a aussi été modifiée, faisant des conjoints les héritiers de plein droit, leur octroyant le droit d'habitation et l'usage du mobilier de la résidence familiale.

En effet, l'article 540 attribue à chacun des conjoints la moitié des biens communs et le droit d'habiter le domicile conjugal. Cette innovation est des plus caractéristiques de la réforme, parce qu'elle supprime en ce qui concerne le veuf, la qualité de légataire de l'usufruit évitant ainsi une éventuelle ingratitude des enfants.

Maintenant je voudrais vous faire remarquer, que les nouvelles lois sont entrées en vigueur en Italie depuis Août 1975. Mais les femmes doivent être prêtes et conscientes pour assumer la majorité des responsabilités qui devient de ses nouveaux droits et être au courant des devoirs qui leur incombent. Le travail qui reste à faire est énorme, il doit être exécuté progressivement, il se réalisera sans doute avec le passage du temps nécessaire à la maturité de l'homme, car les moyens législatifs à eux seuls ne suffisent pas.

Comme vous devez certainement le savoir, l'assemblée des Nations-Unies a proclamé le 18 décembre 1972, que l'année 1975 sera l'Année Internationale de la Femme. La commission pour la condition de la femme a approuvé un programme ample et détaillé, qui comporte les points suivants :

— Parvenir à une égalité juridique effective entre l'homme et la femme ;

— Renforcer l'intégration de la femme dans les processus de développement tout en soulignant sa responsabilité et son rôle important dans le domaine économique, social et culturel à l'échelle nationale et internationale ;

— Reconnaître l'importance de la contribution sans cesse croissante, que la femme peut apporter au niveau du développement des réalisations pacifiques, de la coopération entre les Etats et la concrétisation de la paix.

L'égalité, le progrès et la paix sont les thèmes de cette année. Son importance est attribuée soit au volume des activités dans le monde, leur extension et la réforme qu'ils ont voulu apporter, soit à la proposition d'un plan organique comprenant les fondements généraux, qui visent la promotion féminine sur un plan d'égalité avec l'homme et les conditions d'évolution des sociétés humaines. En d'autres termes, il ne s'agit pas de parler ici uniquement de la promotion féminine, comme une fin en soi mais comme un moyen d'améliorer les conditions de la communauté humaine.

Les Nations-Unies ont voulu avec la proclamation de l'Année Internationale de la Femme, insister sur le fait que presque tous les peuples de la terre reconnaissent les profondes mutations historiques, qui ont eu lieu et qui ont grandement contribué à façonner l'idéal moderne de l'égalité.

La réalisation de cet idéal est de plus en plus reconnue comme une nécessité absolue en ce qui concerne la justice sociale. D'autre part, les Nations-Unies ont voulu examiner et compléter cette mutation au profit de la paix et du progrès. Je pense que cette proclamation est une marque d'estime, de confiance et d'espérance des capacités de la femme, qui est appelée à sauver et améliorer les valeurs morales et spirituelles, qui sont les seules à rendre la vie digne d'être vécue.

Le Vatican a suivi avec intérêt et sympathie l'évolution de l'anné de la femme. A l'occasion du congrès international de la femme, qui s'est tenu au Mexique à la fin du mois de juin, le Saint Siège a envoyé une commission spéciale, qui a participé activement à tous les travaux ; elle a aussi contacté les représentants des différents gouvernements et organisations gouvernementales. Cette commission a souligné le profond intérêt que porte le Vatican au travail positif effectué au profit de la promotion féminine, et a précisé que l'égalité entre l'homme et la femme n'a de sens que dans une société reconnaissant la dignité humaine et donnant à la famille la place qui lui revient ; c'est-à-dire à son noyau fondamental, à la société ouverte à la promotion effective complète visant en particulier le développement de la conscience morale.

Voyons maintenant ce qui a été vraiment fait, ces dernières années, en Italie et ce qui reste à faire après l'amendement du code de la famille (19 mai 1975) La revalorisation du rôle de la femme et de sa personnalité constitue l'application précise de l'éaglité dans les droits prévus par la constitution. L'ensemble des lois de 1942 s'opposaient à son épanouissement, puisqu'elles stipulaient le système

LA FEMME APRES L'ANNEE DE LA FEMME

par le docteur
Clélia Sarnelli Cerqua
Professeur à l'Institut Universitaire de Naples (Italie)

Messieurs, Mesdames.

Je voudrais avant tout exprimer ma joie d'être parmi vous aujourd'hui et adresser mes sincères remerciements à son Excellence Mouloud Kassim Naït Belkacem, ministre de l'enseignement originel et des affaires religieuses de la république algérienne démocratique et populaire pour m'avoir courtoisement invitée à cette conférence, de même que j'adresse mes vifs remerciements à tous ses collaborateurs pour la magnifique organisation de ce 11ᵉ séminaire de la pensée islamique.

Cette gentille invitation m'a donnée la possibilité de venir pour la seconde fois en Algérie, afin de mieux connaître ce territoire, qui m'a fortement impressionné, réalisant ainsi le rêve, que *je fais* depuis tant d'années. Cette occasion m'est particulièrement chère, puisqu'elle m'offre la possibilité de transmettre à tous et à toutes les salutations de l'institut universitaire orientale de Naples, auquel j'ai l'honneur d'appartenir. Je suis heureuse d'être l'interprête du vif intérêt que notre institut porte à l'étude de la langue arabe, du monde arabe et de sa civilisation.

Lorsque j'ai reçu l'invitation pour exposer devant vous au cours de ce séminaire, j'ai jugé utile de choisir un sujet portant sur la femme après l'année internationale de la femme et ceci pour plusieurs raisons :

Tout d'abord, les conditions de la femme et les changements opérés dans ses rapports avec autrui et la qualité de sa vie sociale constituent des sujets à débattre, non seulement en Italie, mais aussi dans presque tous les pays du monde ; et ensuite, parce que j'ai pensé qu'une brève exposition de tout ce qui a été fait dans mon pays, l'Italie, au cours des dernières années, pourrait vous intéresser.

Je voudrais traiter de nouveau le sujet avec vous, chers amis Algériens, et avec tous les membres participants à ce séminaire venus de différents pays. Je voudrais soumettre aussi à votre attention le thème proposé ci-dessus et écouter les observations et les remarques, que vous pouvez éventuellement faire et enrichir ainsi notre expérience. J'espère que l'échange de points de vue, nous permettra de trouver des solutions à certains problèmes épineux ou du moins facilitera de prendre des initiatives, dans un climat serein et objectif et ceci bien sûr en respectant les idées d'autrui, avec réalisme et de façon actuelle. Aussi nous rendrons les problèmes moins dramatiques et plus acceptables.

Ce dernier est méconnu, on dit du mal de lui, on l'accuse de plusieurs méfaits graves. Nous, les missionnaires, les orientalistes, tout le monde l'a accusé ! Savez-vous quel est ce médicament ?

Il s'agit d'une thérapeutique susceptible de remédier non pas à la situation de la femme seulement, mais à tous nos problèmes d'ici-bas et de la vie future.

Longtemps les contempteurs ont prétendu que notre langue était incapable d'exprimer les choses de l'esprit, parce que la renaissance de l'arabe les ferait bouger de leurs fauteuils importés de l'étranger. Ils sont d'accord pour l'autarcie en matière économique, mais pour l'arabe ils lui préfèrent les idiomes étrangers, plus riches, d'après eux. Ils soutiennent aussi que le rôle de l'Islam est terminé, de nos jours, car ils préparent le lit de la laïcité, de la perversité et de la dissolution des mœurs.

S'ils avaient été plus impartiaux à l'égard de l'arabe et de l'Islam, ils auraient dit ceci : « C'est nous qui nous sommes arrêtés dans la marche de la civilisation, la langue arabe s'est arrêtée alors, car elle n'est que moyen d'expression. Et nous l'avons rejetée en lui imputant la cause de notre arriération ».

Que peut exprimer une langue quand ceux qui devraient la parler sont muets.

Ensuite nous avons rejeté l'Islam et nous avons prétendu qu'il est la cause de notre régression. Nous sommes coupables à son égard. Nous sommes devenus, aux yeux des autres, un argument contre lui, au lieu de témoigner pour lui. Comme le dit le proverbe arabe : « Elle m'a attribué tous ses méfaits et prit le large... ». Mais voici la science du droit comparé qui établit que cette législation islamique est capable d'apporter une solution aux problèmes de ce monde, et aux problèmes de tous les temps, comme si elle avait été révélée de nos jours. Le Coran dit : « Nous leur montreront nos signes à travers les espaces et en eux-mêmes jusqu'au moment où ils verront que Dieu est le vrai ».

Aujourd'hui nous vivons une civilisation expérimentale. Expérimental est donc l'Islam. Ne plaise à Dieu que l'or pur soit mis en doute ! Ne plaise à Dieu que la lumière soit niée !

« Telle est ma voie. Elle est droite. Suivez-la et ne prenez pas les chemins qui vous détourneront de ma route. C'est ce que Dieu vous recommande afin que vous le craigniez ».

ont oublié aussi qu'aux yeux de nos peuples il faut d'abord remplir les devoirs. Les droits viennent après.

Cette évolution, pour être harmonieuse, doit, chez nous, comporter plusieurs paliers. Notre organisme peut aussi bien souffrir d'un manque que d'un excès de liberté. C'est pourquoi je me demande aujourd'hui souffrons-nous d'un excès ou d'un manque de liberté ? Mais je crains fort que mes propos soient interprêtés comme un argument en faveur des partisans de la privation. Je ne défends pas la cause de l'injustice. Mais je dis ce que je pense. Je tire un enseignement des expériences de ceux qui ont largement ouvert les portes devant les femmes. Ils avaient des arrières pensées. Car les autres libertés, sans lesquelles la liberté de la femme n'aurait pas de sens, font défaut.

Comment pourrez-vous distinguer l'or pur de l'or mélangé si vous ne disposez d'aucun critère. La liberté est un concept générique, ses différentes espèces sont complémentaires. C'est à ce prix que l'homme aura une dignité. Sinon l'humanité sera veule, je dirai même bestiale. Une humanité qui se contentera de manger et d'errer dans les souks...

La femme appartenant au Tiers Monde et plus particulièrement celle appartenant au monde musulman, a combattu le colonialisme aux côtés de son frère, l'homme. Elle a donné l'exemple du courage, de la constance, et du sacrifice en s'acquittant d'une partie de sa dette envers le pays.

Aujourd'hui, la patrie étant libérée, elle a un devoir individuel à remplir : elle doit être une femme musulmane dans le vrai sens du mot, une femme engagée. Elle doit créer pour son pays, pour son peuple, une génération valable à qui elle inculquera l'amour de sa religion, de sa patrie, de sa langue et de sa civilisation, toutes choses que le colonialisme à tenter de détruire pour abolir notre personnalité.

Pour donner le coup de grâce à l'arriération et au sous-développement, nous voulons construire avec notre chair et notre sang, avec notre âme et notre intelligence, une civilisation indemne de toutes les maladies qui minent le corps des autres sociétés. Nous voulons que la leçon des autres civilisations vouées au néant, nous serve.

Quel est donc le penseur sensé qui dira que nous n'avons pas un besoin pressant des techniques de la civilisation moderne. Ne voyons-nous pas que cette civilisation a pénétré dans nos demeures, sans prévenir et que son influence se propage à la vitesse du son ?

Mais qui voudrait, en tentant de sortir du sous-développement, augmenter encore les maux, et les vices et les souffrances que nous endurons. L'histoire nous enseigne que toute civilisation porte en elle-même les germes de sa disparition. Nous avons essayé les remèdes et les drogues provenant d'autres régions que notre pays et d'autres mentalités que la nôtre. Mais notre mal n'a fait qu'empirer. Nous ne trouvons plus de cobayes à force de tenter des expériences dans nos sociétés.

Mais je proclame en définitive, et c'est une hypothèse que j'émets, qu'il nous reste à essayer un remède.

charlatanesques. A tel enseigne que le proverbe tunisien la définit ainsi : « De jour c'est une bête de somme, et de nuit une belle », proverbe qui, comme on le voit diffère des clichés de la littérature arabe classique qui nous parle de « la nuit des cheveux », « l'éclair des dents », « la rose des joues », « le rameau de la taille », etc...

Il s'agit d'un proverbe tunisien mais je pense qu'il peut s'adapter à la réalité de tout le monde islamique.

Il y a 80 ans, un savant algérien, Mohammed el Khodja, à écrit un ouvrage qui s'intitule « Prise en considération des droits de la femme ». Cet écrivain, qui travaillait dans l'administration française, comptait sur la France pour remédier à la situation de la femme algérienne. Mais il était comme « celui qui cherche la braise dans l'eau », selon l'expression d'un poète. Mais, malgré l'espoir déçu, nous pouvons considérer ce livre comme une image de l'injustice de l'homme envers sa sœur algérienne, aussi bien en ce temps-là qu'à travers les époques précédentes.

Etant donné que le temps me manque, je signale simplement les pages suivantes où j'étale cette injustice : p.44, p. 34, p. 32, p. 30. Quant aux autres passages que j'ai retenus, je vous demande de vous reporter aux pages suivantes : p. 64, p. 92, p. 9, où l'auteur fait une critique sociale de la situation de la femme de cette époque. Mais ce livre, comme je l'ai dit, constitue un espoir déçu, car il plaçait cet espoir en la France, que l'on disait pourtant chargée d'une mission civilisatrice. Cependant cet ouvrage, en plus de son côté critique, préconise une libération islamique de la femme. Il contient une description de la situation des Algériennes (hommes et femmes), digne d'être étudiée par notre jeunesse universitaire.

Lorsque nous connûmes l'Occident (en bien et en mal), les gens qui préconisèrent la libération de la femme furent de plusieurs sortes. Il y eut ceux qui prônèrent la mise en application de la loi islamique, pensant que c'était la meilleure façon de restituer à la femme son importance et sa considération, tout en la préservant des maux qui avaient atteint la femme occidentale.

Il y eut aussi ceux qui réclamèrent la civilisation occidentale dans sa totalité, en bloc, sans rien y retrancher en criant : la femme sera occidentale ou ne sera pas.

La femme regardait ces clans qui se disputaient pour elle, pour lui rendre justice. La bataille dura plus d'un demi siècle, entre les modérés et les extrémistes. Entretemps, les exigences, les circonstances de la vie moderne pressaient, la femme de secouer le jour de la tyrannie immémoriale et l'exhortait à s'insérer dans la réalité du temps. Certaines femmes, et je me garderai bien de généraliser, tentèrent alors de se libérer spontanément, mais elles le firent d'une manière démesurée, naïve.

Leur mouvement était inspiré par le sentiment, l'émotion et non par la raison, car elles n'étaient pas préparées à cette évolution. La famille et la société eurent alors à souffrir de leurs improvisations. L'amertume de leur échec fut grande. Elles qui voulaient imiter la femme occidentale, furent rejetées sur le rivage désert, comme des coquillages vides. Elles ont oublié une chose : même en Occident l'évolution dans l'acquisition des droits fut une chose lente. Elles

C'est là un mensonge, une tromperie honteuse dont la femme fut la première victime, avant l'homme. Car le problème qui n'avait qu'une seule tête est devenu bicéphale. La femme, comme nous l'avons vu, était victime d'une injustice due à des causes historiques, remontant à l'époque où l'homme lui-même était opprimé. Comme a dit le poète : « La situation injuste d'un peuple est souvent comme un châtiment de son ignorance. De même que la maladie est souvent une manière de sanctionner la négligence ».

On aurait donc due considérer le problème de la femme sur la base de rapports entre deux associés auxquels on distribuerait droits et devoirs, à chacun selon ses possibilités et ses aptitudes. Si l'un des associés ne remplit pas convenablement son devoir ou conteste la capacité de son partenaire ou sa valeur, les deux subissent, alors un préjudice.

Mais dans ce cas, la bonne entente peut conduire à l'amitié, de même que le fait de se compléter peut conduire à la perfection. Quant à l'hostilité entre les époux, elle ne peut provoquer que des lézards dans notre édifice national.

Peut-être, après tout ce que j'ai dit, aurez-vous constaté que j'ai omis beaucoup de choses et que ma conférence est loin d'embrasser toutes les prescriptions de l'Islam visant la femme. Mais vous serez d'accord sur le point suivant : Dieu qui a créé la femme est celui qui s'est montré le plus juste envers elle. Mohammed, notre Prophète, en rendant le dernier soupir, faisait encore des recommandations en sa faveur. Lorsqu'il est mort, (sur lui la prière et la bénédiction divines), sa tête reposait sur les genoux de Aïcha son épouse.

Après toutes ces accusations sur le sort injuste de la femme, après tous ces maux que nous avons imputés à diverses catégories de gens, nous n'aurons garde d'oublier que ce pauvre homme a lui aussi des vœux à formuler sur ce chapitre. Peut-être, à son tour, va-t-il créer, sous peu, l'union masculine.

Nous devons reconnaître que les hommes, à leur époque de régression, au moment où ils étaient éloignés des principes de l'Islam, ont privé la femme de ce que Dieu lui a donné. Ils l'ont tenue éloignée de la lumière de la science. Ils ont négligé de lui donner une éducation convenable. Ils l'ont tenue en marge de la société. Ils ont freiné tous les dons naturels qu'elle pouvait avoir. Ils l'ont considérée comme un objet de plaisir, une œuvre d'art agréable à voir. Ils l'on rayée de la liste des associés indispensables. Pour satisfaire leur égoïsme, ils l'ont enveloppée de voiles épais. Ils l'ont enfermée dans leur demeures avec le rôle de remplir des tâches domestiques et de produire des enfants. Ils l'ont injustement condamnée à la réclusion perpétuelle et aux travaux forcés. Ils l'ont exclus de la réalité vécue pour la reléguer dans l'inconnu de l'imaginaire.

Dès lors, l'intelligence de la femme s'est arrêtée de se développer. Son esprit a sombré sous les décombres de l'ignorance. Le sentiment religieux est devenu, chez elle, superstition. Elle se mit à visiter les mausolées des saints pour implorer secours ou obtenir la réalisation de ses vœux. Elle devint la victime des charlatans et des mystificateurs. Sa foi devint de l'impiété. Elle fut envahie par les croyances superstitieuses et l'obscurantisme. Bientôt elle devint un jouet entre les mains des mauvaises coutûmes et des pratiques

à la glèbe et à la servitude et l'empêchait d'aspirer à la liberté. Ainsi, bon gré mal gré, le peuple restait soumis à l'arbitraire des tyrans.

Tel est le cadre véritable dans lequel nous devons placer la génèse du problème de la femme. Tels sont les éléments à partir desquels ce problème a bougé. Aujourd'hui ceux qui ne font rien, hommes ou femmes, ceux qui parmi eux sont l'objet de discriminations soit politiques, soit économiques, soit sociales, se mettent à émettre des vœux, sans entreprendre quoi que ce fut dans le domaine de l'action, en pensant que cela suffit à faire cesser leurs malheurs. C'est là une attitude de faiblesse. Quant à la volonté populaire, disons, c'est elle qui impose au pouvoir des changements. Elle oblige les dirigeants à faire disparaître ce qu'il y a d'odieux dans une situation donnée, non pas selon leur bon gré qui varie souvent, mais selon la décision populaire. Car si hier l'histoire était une chronologie des dynasties elle est devenue de nos jours, grâce à cette décision populaire, une chronologie des révolutions qu'accomplissent les nations.

C'est pourquoi il serait contraire à la vérité de vouloir limiter les origines du sort injuste de la femme à la seule attitude de l'homme. Cette situation n'est pas le seul fait de l'homme. Il serait dangereux de le prétendre. Cela ruinerait l'harmonie qui existe dans les familles et on dresserait des éléments de cette société les uns contre les autres. Il ne faut pas que la revendication d'un droit engendre une querelle violente et haineuse entre deux éléments complémentaires. Cette même haine peut ensuite s'étendre aux enfants et aux générations futures.

C'est ce qui s'est passé hier en Occident et c'est ce qui atteint aujourd'hui notre société. Et voici comment nous en sommes arrivés à recouvrir notre nudité des haillons les plus sales et des hardes les plus affreuses dont l'Occident se soit débarrassé, car nous sommes en adoration devant l'Occident et devant notre propre esclavage.

Partout nous entendons ces mêmes accusations, ces notes discordantes, que ce soit dans la presse, au théâtre, dans les congrès et séminaires, etc... Je ne puis interprêter cette campagne incendiaire, quelque soit son bien fondé, quelles que soient ses raisons bonnes ou mauvaises, que comme une tentative de destruction de l'harmonie qui peut exister entre deux associés complémentaires, l'homme et la femme. Il s'agit bien d'allumer le feu de l'inimité et de l'hostilité mutuelles dans le cœur de ceux qui étaient faits pour s'entendre et s'aimer. Dès lors, la politique (et tous ses dérivés) se sont emparés de cette affaire, afin d'attirer la femme chacune dans son clan. Des plumes, des consciences ont été achetées, des moyens importants ont été utilisés pour attiser le feu. L'homme apparut devant le tribunal comme un accusé, responsable de tous les méfaits. Aux yeux de la société il passa pour un bourreau tyranique et égoïste, et dans le sein de la famille comme la source d'un pouvoir rejeté.

Lorsque la femme accéda au marché de l'emploi, son revenu provoqua chez elle un sentiment de supériorité et de fierté. Elle sentit, on lui fit sentir qu'elle avait désormais acquise son indépendance totale. Son emploi fut à l'origine de crises économiques et morales. Ce sont ses propres partisans qui le reconnaissent. L'hostilité et la haine s'emparèrent désormais de deux cœurs faits l'un pour aimer, l'autre pour être aimé.

être gérés raisonnablement. Elle doit être considérée comme un dépôt sacré confié aux parents. Cette joie ne doit pas les détourner de l'adoration de Dieu. Si elle enfreind la loi divine par son comportement, ils doivent y veiller. Lorsque la fille atteint sa majorité, il lui sera permis de disposer de ses biens, de faire des transactions : vente, achat, location, mandat, association, donation, etc... Elle peut donc ester, défendre ses droits devant les tribunaux, etc...

De tout ceci, il découle que la femme, telle qu'elle a été définie par l'Islam, occupe une place de choix dans la société et dans l'humanité d'une façon générale.

L'UNIVERSALITE DES LOIS ENGLOBE L'HOMME ET LA FEMME

La plupart des lois englobent l'homme et la femme, sauf quelques dispo-sdmsitions particulières qui s'adressent à l'un ou l'autre des deux sexes. Cette législation divine qui est juste et éternelle dans son essence, ne peut être amendée ni transformée. Certains, au nom de « l'Ijtihâd » (effort rationnel) voudraient modifier ces lois. Or lorsqu'il y a un texte sacré, (nas) il ne peut y avoir d'ijtihâd. De plus, l'ijtihâd n'est permis, lorsque toutes les conditions requises sont rassemblées, que si des savants capables, spécialisés dans l'étude de la loi religieuse, se chargent de le faire. De plus il faudrait un consensus, c'est-à-dire un accord unanime (ijmaâ) de tous les savants. Ceci afin que les pseudo-savants et ceux qui parmi eux adorent le pouvoir ne détruisent pas la loi divine.

Le Coran a dit : « Nul croyant, nulle croyante, ne peut disposer a son gré de ce que Dieu et son Prophète ont tranché, etc... ».

Nous pouvons donc conclure que tous les textes qui ne s'adressent pas spécialement à l'homme ou à la femme, englobent l'un et l'autre. En effet, des pronoms comme (man) ou (koull) qui signifient « qui » et « chaque » s'applique grammaticalement à l'homme et à la femme.

LE BUT DE L'ISLAM :
UNE FAMILLE HEUREUSE, UNE SOCIETE QUI SE COMPLETE

Sous sa forme moderne, le problème de la femme s'est posé au moment où tous les opprimés de la terre se sont levés pour revendiquer, après avoir subi l'injustice pendant plusieurs siècles, la reconnaissance de leurs droits. Tel fut le cas des peuples soumis aux régimes de pouvoir héréditaire ; tel fut le cas également des ouvriers et des paysans exploités par les patrons et les gros propriétaires ; tels furent aussi les pays colonisés qui eurent à combattre les colonialistes pour leur arracher la liberté.

A travers cette époque de décadence de l'homme, la femme se trouvait doublement malheureuse puisque ce n'était pas simplement son compagnon qui la brimait, mais le régime dans lequel ils vivaient tous deux et qui les opprimait l'un et l'autre politiquement, économiquement et socialement. Les deux sexes subissaient donc une oppression semblable. L'homme oppresseur et opprimé, la femme injuste et brimée, car l'ignorance, la stagnation et l'humiliation faisaient sentir leur poids sur les esprits, les énergies, tandis que le clergé se plaisait à maintenir cette situation qui soumettait l'être humain

4°) Voici un hadith qui honore la femme en tant que fille. Le Prophète a dit : « Celui qui a une fille qu'il a instruite et bien instruite, éduquée et bien éduquée, etc... ».

5°) Le Coran a magnifié la femme en tant qu'épouse, lorsqu'il dit : « Parmi les signes de Dieu il y a le fait qu'Allah a créé de vous-mêmes des épouses pour que vous puissiez être en repos auprès d'elles. Entre vous et elles, il a établi une affection et une bonté. Certes en cela il y a des signes pour ceux qui savent réfléchir ».

6°) L'Islam a désiré que la femme soit instruite. On lit dans le hadith : « Rechercher la science est une obligation pour tout Musulman ». Dans le mot « musulman » il faut englober la femme.

Dans un autre hadith, ont lit ceci : « Excellentes sont les femmes des Ansar (c'est-à-dire les auxiliaires du Prophète à Médine), car leur pudeur ne les a pas empêchées de s'instruire en matière de science religieuse ».

Quant à la science elle-même, nous remarquons que son contenu, change selon les époques, les lieux et les circonstances. Car les obligations collectives (kifeyât) sont aujourd'hui plus larges.

7°) L'Islam a célébré la femme en tant que mère. Le Prophète a dit : « Le paradis est aux pieds des mamans ».

8°) L'Islam a conféré à la femme le droit d'héritage, qu'elle soit mère, épouse, fille adulte, en bas âge ou même en gestation, alors qu'auparavant la femme était elle-même un objet dont on hérite. On lit dans le Coran : « Aux hommes, une part de ce qu'ont laissé les pères et les mères ainsi que les proches ; et aux femmes, une part de ce qu'ont laissé les pères et mères ainsi que les proches ; que ce soit peut ou beaucoup : une part déterminée ».

9°) L'Islam a défini les droits des époux. Il a réservé aux femmes les mêmes droits qu'aux hommes.

Mais il a chargé ces derniers du soin de les entretenir et de diriger la famille en consultant les épouses. Le Coran a dit : « Il incombe aux épouses de remplir les devoirs qui correspondent à leurs droits, et ce, dans les limites convenables tout en observant que les hommes ont sur elle un degré de précellence ».

Ce qui revient à dire que tout ce que l'homme peut légalement demander à la femme, celle-ci peut aussi le lui demander. Le mot « ma'rouf » signifie ce qu'il est d'usage d'appeler « droit ». La limite du « ma'rouf » c'est qu'il ne peut pas rendre licite une chose illicite, et vice versa.

10°) L'Islam considère que le droit qu'ont les hommes de divorcer est une faculté horissable, odieuse (baghdadh). Le Prophète a dit que parmi les choses licites, la plus odieuse aux yeux du Seigneur est le divorce, que l'Islam a d'ailleurs limité en interdisant aux hommes de se montrer injustes et en définissant d'une manière rigoureuse les circonstances dans lesquelles il peut être accordé.

11°) L'Islam a placé la fille non majeure sous la tutelle de ses parents. Il s'agit d'une tutelle bienveillante, conçue pour son éducation. Ses biens doivent

« Ne convoitez pas ce que Dieu a donné à certains d'entre vous, à l'exclusion des autres : aux hommes la part qu'ils auront gagnée, et aux femmes la part qu'elles auront gagnée. Demandez à Dieu de par sa grâce. Dieu, vraiment, demeure savant en toutes choses ».

Dieu a donc pourvu chacun des deux sexes de certaines particularités ou spécificités. Ils est normal que chacun ait un rôle déterminé. Car comme le dit Al Akkad, la nature ne crée pas deux espèces différentes pour qu'elles aient ensuite les mêmes caractéristiques, les mêmes facultés, les mêmes fonctions et les mêmes buts. Le Coran, qui est la grande source de la divine loi s'est donc intéressé à la femme d'une manière tout à fait remarquable. Il lui a consacré toute une législation, épars dans plus de dix chapitres. Il y a notamment la grande Sourate des Femmes, la petite Sourate des Femmes, que l'on appelle aussi attahrim (l'interdiction). Lorsque l'on parcourt le Coran on trouve des versets ayant trait aux femmes dans divers chapitres comme « La Génisse », « La Table », « La Lumière », « Les Coalisés », « La Plaideuse », « L'Examinée », « L'Interdiction ».

Passons en revue maintenant quelques sourates et quelques hadiths (propos du Prophète) où Dieu a honoré la femme, sous différents aspects que nous ne pourrons jamais dénombrer, car leur nombre est infini.

1°) Dieu à rendu hommage à la femme en tant qu'être humain. Il a dit :
« Nous avons honoré les êtres humains en les portant sur la terre et sur la mer. Nous les avons pourvus en choses délicieuses et nous leur avons accordé excellence sur beaucoup d'êtres que nous avons créés. ».

2°) Dieu a abrogé la coutume qui consistait à enterrer vives les filles. Il a interdit cette coutume qui était répandu chez certaines tribus arabes. Il a dit : « Et lorsque la fille enterrée vive sera interrogée : pour quel crime t'a-t-on tuée ? ».

Il a dit aussi : « Ceux qui, insensés, ont tué leurs enfants par ignorance, ont perdu ».

Le Coran a donc commencé par assurer la survie de la femme. Jusqu'alors ce qui l'attendait c'était un trou dans le sol où elle était jetée brusquement, puis recouverte de terre, pendant qu'elle appelait au secours.

3°) Le Coran a désapprouvé l'attitude de l'Arabe anté-islamique qui voyait dans la naissance d'une fille un mauvais signe du destin ou qui accablait son épouse mettant au monde une fille. Le Coran dit : « Dès que quelqu'un parmi eux reçoit la nouvelle de la naissance d'une fille dans son foyer, son visage s'assombrit, la colère s'empare de lui... Il s'éloigne des gens pour cacher le malheur qu'on vient de lui annoncer. Doit-il garder c malheur honteusement, ou doit-il le cacher sous terre ? Ah ! que mauvaise est leur façon de juger ! ».

Le Coran a considéré que l'homme aussi bien que la femme sont un bienfait de Dieu, un avantage qu'Il a accordé à ses créatures qui doivent l'en remercier. Il a dit : Dieu a créé de vous-mêmes vos épouses et d'elles Il vous a accordé des enfants et des petits fils ». Al Hafid signifie en arabe l'enfant de la fille ou du fils que l'enfant soit garçon ou fille.

entre eux et qu'ensuite ils ne trouveront rien à redire à ton arbitrage et s'inclineront devant ta décision ».

Si telle n'est pas notre attitude, nous serons comme le personnage que cite souvent Al Ghazali dans son livre « l'Ihyâ », lorsqu'il écrit : « Sois Juif, mais si tu ne l'es pas, ne t'amuse pas avec la Bible ».

CE QUE DIEU A DONNE A LA FEMME

« Gens ! Craignez votre Seigneur qui vous a créés d'une personne unique et d'elle son épouse, et des deux a fait foisonner profusion d'hommes ainsi que de femmes. Et craignez Dieu devant qui vous êtes comptables de vos actes. Respectez les biens familiaux, Dieu vous observe ».

Je ne vois pas la nécessité de m'arrêter à propos de la situation de la femme avant l'Islam. En effet les sources sont à ce sujet très nombreuses. D'autres part je suis limité par le temps. Mais examinons plutôt ce hadith du Prophète :

« Les femmes sont les moitiés des hommes, c'est-à-dire leurs sœurs atérines aussi bien dans les questions se rapportant au dogme, aux lois et à la morale. Trouvez un seul exemple d'un tel honneur rendu à la femme dans d'autres civilisations passées, comme la grecque, la romaine, la persanne ou l'indienne ?

En tête de la sourate « les femmes » on peut lire le verset suivant : « Celui qui, mort, a été par Nous ressuscité, à qui Nous avons donné une lumière pour qu'il puisse s'éclairer et marcher parmi les gens, celui là est-il comparable à qui est dans les ténèbres et n'en sortira jamais ? ».

N'avez-vous pas remarqué que ces versets s'adressent à tous les hommes. Dieu leur demande, comme l'a souligné le regretté savant Mohammed El Madani :

1°) D'abolir toutes les différences naturelles qui existent entre les gens.

2°) De supprimer les barrières religieuses et raciales.

3°) D'abroger les disparités sociales entre l'homme et la femme.

4°) De créer, dans la société, une conscience morale capable de détourner les hommes des mauvaises actions (wâzi') C'est que Dieu appelle « la crainte d'Allah ».

5°) De renforcer le sentiment de « parenté » (rahim) entre les hommes. Ceux à qui nous rattachent les liens du sang (rahim) ont droit à notre bonté et à notre aide matérielle et morale (sila). Il est donc de notre devoir de ne pas rompre ces liens.

Cependant nous devons souligner que cette sourate « Annissâ (Les femmes) » n'a pas abrogé les différences spécifiques qui existent entre les deux sexes. De même qu'elle n'a pas fait de l'homme et de la femme des êtres identiques dans tous ls droits et dans tous les devoirs. Car ils ne peuvent être égaux là où la nature en a fait deux êtres différents en constitution, en fonction et en facultés. Pour ceux qui s'imaginaient le contraire de cette réalité, voici ce que dit cette sourate :

Je me suis laissé dire : « Suppose que tu entends des choses que diront ceux qui ne sont pas contents des qualités dont Dieu à pourvu la femme, et qui feront des remarques et des amendements au sujet des lois.

Pourquoi t'exposer à formuler des hypothèses concernant les individus et les gouvernements. Le Coran n'a-t-il pas dit « Vois ceux qui prennent comme divinité leur passion. Dieu les a égarés sciemment. Il a bouché leur ouïe et leur cœur et mis un bandeau sur leurs yeux. Qui donc, après Dieu, les orientera ? Nest-ce pas un objet de méditation ».

Mais pourquoi ne rien tenter, alors que les portes du séminaire sont largement ouvertes à tous les participants ? Vais-je entrer dans cette assemblée alors que le doute m'a habité, pour sortir, après la fin des débats, plein de certitude ? Mais qui me dit que le doute ne cessera pas de m'habiter ? Je suis donc perdu, je ne compte pas parmi ceux qui suivent le droit chemin, si je suis ici simplement pour éprouver la solidité de ma foi ! Le Coran a dit : « Celui qui néglige la parole de Dieu le Clément, aura comme compagnon un diable, car il s'éloigne souvent de la bonne voie et croit qu'il est dans le droit chemin ».

J'ai donc résolu d'entrer en lice, au milieu des courants contradictoires. J'ai pris comme principe une ligne de conduite dont je ne sortirai pas, soit que je me défende, soit que j'attaque elle est la suivante : pour moi, l'Islam est tel que Dieu l'a décrit, c'est-à-dire religion de la nature humaine originelle (fitra) et aussi religion de la rectitude, voie droite, arbitrage définitif dans le débat entre les doctrines. Je dirai donc que mon discours pourrait avoir pour titre : « Ce que l'Islam a conféré à la femme est suffisant et apte à nous épargner les expériences et les déboires ». «Tenez vos propos à voix basse ou clairement, Dieu sait ce qu'il y a dans vos cœurs. Celui qui a créé ne sait-il pas ? Il est le pénétrant et le savant » (Coran).

Mon souhait est que ce séminaire puisse apporter, avant sa clôture, une solution à ce problème sur lequel repose l'avenir de nos enfants, soit en bien soit en mal, de telle sorte que nous ayons tracé un programme pratique et réalisable, digne de satisfaire nos sociétés. Celles-ci aspirent à trouver un remède à leurs difficultés qui existent depuis trop longtemps et qui causent des préjudices graves aux deux sexes, aux familles et aux groupes sociaux. Une telle ligne de conduite serait ensuite adoptée légalement par les gouvernements des peuples musulmans, puisque ces gouvernements disent explicitement dans leurs lois constitutionnelles que l'Islam est leur religion et l'arabe leur langue. Sinon nous saurons que les slogans trompeurs et les formules brillantes ne sont que de vaines paroles auxquelles Allah fait allusion dans le verset suivant :

« Ils s'efforcent de tromper Dieu et ceux qui y croient, mais sans le savoir, ils ne trompent qu'eux-mêmes ».

Mais avant tout, je voudrais savoir au sujet des solutions islamiques et du sort qui leur est réservé, si nous-mêmes nous sommes vraiment des Musulmans engagés ?

Je souhaite que oui. Nous le sommes. Ainsi du moins, le sens du verset suivant sera mis au crédit de notre foi : « Non, dit Allah, ils ne seront croyants que lorsqu'ils te prendront comme arbitre dans tous les différents qui surgissent

« O gens qui croyez, il vous est parvenu de votre Seigneur une preuve, et Nous vous avons révélé une lumière éclatante. Ceux qui en Dieu croiront et se refugieront en Lui, ceux-là Il les fera pénétrer dans sa miséricorde et dans sa grâce et les orientera vers le droit chemin qui vers Lui les conduira ».

Les jugements et les solutions varient selon les sociétés et ce, malgré les moyens énormes dont dispose la civilisation actuelle sur le plan de l'information, du conditionnement et de l'universalité. Parmi les erreurs les plus monumentales que nous commettons lorsque nous préconisons la réforme de notre société, il y a la façon extraordinairement rapide et la sensibilité suraigue avec laquelle nous sommes influencés par le spectacle de tout ce qui se passe chez les tenants du monde civilisé. Prenons l'exemple de la femme. Nous nous trouvons subitement en extase, comme sous l'effet d'un charme. C'est ainsi que le vaincu a toujours tendance à imiter le vainqueur. De même le piéton voudrait bien être à la place du cavalier. Cependant lorsqu'il y a deux malades atteint par le même mal, même si tous les symptomes sont identiques, il y a toujours des différences subtiles, dues à l'humeur, à l'environnement et à l'âge. Le médecin trop pressé ou incapable ne les perçoit pas, mais le praticien sincère et habile ne manque pas de les noter.

Mais à cause de nos divisions intellectuelles et des opinions divergentes qui existent au sujet de la femme musulmane, ce que je crains le plus c'est l'existence de courants de pensée dont certains sont d'une violence extrême allant dans le sens d'une imitation du libéralisme total, tandis que d'autres sont rigoristes et conservateurs et vont jusqu'à imiter l'immobilité des statues.

Ce que je redoute le plus, dans les dangers de l'immobilisme et du libéralisme poussés à l'extrème c'est que nous voyons le proverbe tunisien s'appliquer à notre cas « Il prétend être médecin mais il est mort de madalie », dit notre adage.

Si nous ne sommes pas arrivés à des résultats pratiques qui conviennent à notre situation, alors que depuis si longtemps nous nous sommes mis à rechercher des remèdes à notre cas, ce n'est guère faute de moyens, mais parce que nous ne raisonnons pas de manière pratique et audacieuse.

C'est pour cette raison qu'en lisant les points inscrits à l'ordre du jour du séminaire, je me suis posé la question suivante :

Pourquoi ne pas choisir le point concernant la femme ? Certes, tu entendras, me disais-je, des choses que tu supporteras et d'autres que tu refuseras. Essaye donc de trouver un terrain solide qui te permette un bon départ, et te donne confiance en toi-même, tout en te préservant des faux pas et en t'empêchant de dériver ou de suivre un courant quelconque !

A vrai dire l'invitation au séminaire était tentante. Elle excitait à la polémique. Les séminaristes eux-mêmes appartiennent à diverses familles intellectuelles. Certains peuvent s'harmoniser et se rapprocher. D'autres sont rebelles. Quant aux batailles de l'esprit, elle plaisent aux spectateurs car elles contiennent des merveilles d'où la vérité peut sortir toute nue.

devoirs et d'agîter toutes les questions qui la concernent en les traitant d'une manière qui soit paisible agréable, quels que soient les résultats. Cet auteur, j'en suis certain avec lui, pense qu'il convient d'abord de faire prendre conscience à la femme de la primauté et de l'urgence de ses devoirs qui passent logiquement avant ses droits, car nos sociétés ont d'abord besoin de recevoir avant de donner.

En vérité le problème de la femme est posé, de nos jours et le restera devant toutes les sociétés, aussi bien celles qui sont développées que les autres. Car les aspirations de la femme n'ont guère de limite. Elles augmentent sans cesse. Pourquoi ce problème ne serait-il pas aujourd'hui soumis à notre examen ? Pourquoi ne pas l'étudier sous toutes ses faces, pour mieux apprécier ses éléments valables et rejeter ceux qui ne le sont pas. Ainsi du moins cessera le vacarme de ses plus chauds partisans tandis que les plus modernes s'arrêteront d'appeler au secours !

Il se peut aussi, que l'auteur de l'inscription de ce point à l'ordre du jour ait constaté qu'après une année entière consacrée par l'UNESCO à étudier ce problème, la voie à suivre pour le résoudre n'a pas été dégagée d'une manière définitive, malgré les études et les congrès qui lui ont été voués. Il est possible que ce soit la raison pour laquelle, notre auteur a voulu soulever cette question au cours de ce Séminaire Islamique qui nous a habitué à évoquer certains problèmes que le monde musulman affronte sans pour autant leur trouver des solutions définitives mais pour lesquel certaines approches sont faites.

La femme musulmane en général, et la femme algérienne qui plus particulièrement tend aujourd'hui à se lever pour accéder à une position nouvelle, pourront du moins en faire leur profit. Pourquoi pas ? Parlant des objectifs de l'Algérie après l'indépendance, l'écrivain réformiste Malek Bennabi écrit :

« La question peut se ramener au problème d'un peuple qui a réalisé une révolution pour chasser l'occupant hors du territoire national et qui veut maintenant établir à l'intérieur de ses frontières un ordre général, une forme de vie qui permette à chaque Algérien de trouver toutes les motivations ainsi que toutes les garanties nécessaires à son existence. Le fellah algérien combattait pour l'indépendance de l'Algérie en étant conscient de sa qualité d'Arabe et de Musulman: Toute politique qui se dit algérienne doit demeurer fidèle à ses sources spirituelles ».

Mais moi, à mon tour, en tant que Musulman, j'ai conscience de ce que l'Islam recèle en matière de valeurs dogmatiques idéales, de lois justes et sages, et de maximes morales sublimes. C'est pourquoi je pense profondément que toute la législation prescrite par l'Islam en matière de relation entre l'homme et Dieu, et de rapports entre les hommes, et aussi en ce qui concerne les biens de la créature avec l'univers, tant dans la vie pratique qu'au regard de la vie future, je pense, dis-je, que cette législation divine constitue la vraie sagesse et la réponse définitive. Car ce qu'il y a d'utile c'est ce que Dieu recommande. Ce qu'il y a de nuisible, c'est ce que Dieu réprouve. A telle enseigne que nos ulémas ont pu affirmer ceci : lorsque tu veux savoir quelles choses sont nuisibles et lesquelles sont profitables, efforce-toi de connaître ce que Dieu ordonne et ce qu'il reprouve.

Considérons aussi l'exemple d'autres nations orientales contemporaines, comme la Chine ou le Japon, qui ont su s'ouvrir une voie vers les avantages que procure la civilisation, tout en sauvegardant les éléments spécifiques de leur personnalité. Aujourd'hui nos problèmes majeurs consistent à sortir du sous- développement et à nous délivrer de cette atmosphère de gel qui empêche nos bourgeons de fleurir, notre pollen de se répondre et qui glace le sang de nos jeunes à l'intérieur de notre civilisation, à tel point que leurs artères sont atteintes de sclérose et que l'aorte de leur cœur risque d'éclater.

Je le dis en toute sincérité : lorsque j'ai assisté aux réunions du 10e Séminaire sur la Pensée Islamique tenu l'an dernier et que j'ai entendu mes collègues parler de la façon dont l'Occident a su, au Moyen-Age, tirer profit de notre civilisation, et de la manière dont il a posé les jalons pour parvenir aux foyers de rayonnement culturel du monde ancien qui étaient situés en Andalousie, en Sicile, à Kairouan, à Bagdad, alors j'eus la conviction que c'est dans la civilisation occidentale que notre patrimoine intellectuel a survécu est que chez nous, il est bien mort, malgré les honneurs des poètes qui le glorifient et les foires poétiques organisées pour sa célébration.

« Certes, Dieu n'aime pas les gens qui se croient supérieurs et se vantent ».

Pendant la Renaissance en Europe, les esprits libres, les pionniers du savoir, étaient soumis à deux grands courants intellectuels, à l'exception de toute autre influence : la pensée grecque et la pensée arabe. Ils ont alors réfléchi. Lorsqu'ils se sont aperçu que les valeurs de civilisations gréco-romaine avaient livré tout ce qu'elles pouvaient leur offrir et qu'elles étaient dépassées, puisque le savoir hellénique qui avait dominé le cours de l'histoire intellectuelle durant deux mille ans environ ne pouvait plus rien leur apporter de nouveau du fait de la sclérose dont il fut atteint, ils rejetèrent ce legs et se placèrent sur le plan de la réflexion expérimentale scientifique.

Aristote, Platon et Socrate furent donc détrônés, en tant que princes de la pensée. Mais ils conservèrent ce qu'il y avait de plus beau dans l'art et la littérature grecques. Quant à la civilisation islamique, ils s'aperçurent qu'elle pouvait tout leur offrir. Ils s'empressèrent de la traduire. C'est ainsi qu'ils se mirent à soigner leurs malades selon les prescriptions du Canon d'Avicenne et à chasser les superstitions de leurs esprits grâce à la sagesse d'Averroès.

Si j'ai parlé de cette méthode sélective, c'est pour que nous soyons au courant de la façon avec laquelle on peut, dans une civilisation, choisir les éléments utiles. C'est de cette manière que nous pourrons apporter des solutions à nos problèmes nés du sous-développement entre autres le problème de la femme. Encore faut-il que nous soyons résolus à sortir des ténèbres et à courir vers l'aurore, et à affronter la course et la compétition.

LA FEMME APRES L'ANNEE CONSACREE A LA FEMME

Que signifie ce sous-titre profond et mystérieux, pourquoi l'avoir utilisé ? Quelle femme et quelle société veut-il désigner ? A-t-on bien agi en incluant ce problème parmi les points de l'ordre du jour du séminaire ?

Je crois que l'auteur de cet ordre du jour ressentait au fond de lui-même la nécessité de poser ainsi, le problème de la femme, de ses droits et de ses

Certes une défaite, quelque soient son amertume et sa brûlure, mais pourvu qu'elle ouvre nos yeux et nous procure des enseignements, est préferable pour notre nation à une victoire qui nous induit en erreur et flatte notre vanité. Le monde musulman contenue encore à subir les séquelles de cette défaite malgré le succès remporté pendant le mois de ramadhan. Citons comme exemple de ces séquelles un exemple tout récent, je veux dire la tragédie du Liban, avec le souhait que ce soit la dernière, s'il est permis d'espérer qu'en ce bas monde les malheurs ont une fin.

NOS SOCIETES VIVANT DANS UN ETAT TRANSITOIRES

Certains penseurs disent que les collectivités islamiques vivent dans une situation que nous pouvons qualifier de transitoire, si l'on considère les diverses sortes d'activités et les secteurs les plus différents. Exemple : dans le domaine de la production, nous sommes situés entre les méthodes archaïques et la phase capitaliste, dans le domaine politique, nous nous tenons entre l'état individuel et l'état libéral et socialiste, sur le plan sociologique entre la survivance de tradition aux motivations disparues et l'ouverture sur la modernité. En ce qui a trait à la femme nous sommes entre la femme voilée, cloitrée et la femme libérée de toutes les chaines et entraves, c'est-à-dire, plus précisément, entre la femme bédouine, naïve, errante et l'autre, superficiellement « francisée », et à « la coquille américanisée ».

La femme vit donc soumise encore à différents facteurs dans le poids plus ou moins grand affecte son comportement. Il y a l'attraction puissante du présent qui l'oblige à prendre sa part nécessaire de cette civilisation actuelle, afin qu'elle cesse d'être une attardée regardant en arrière, alors que politiquement elle est déjà émancipée et qu'elle aspire après un siècle de contact avec l'Occident à accéder à un rôle de création dans le sein de la civilisation et non à se cantonner dans la tradition. Mais il y a d'autre part, la pesanteur des ançrages historiques puissants qui tendent à engloutir la femme dans les profondeurs du passé lourd de tout le poids de l'immobilisme de la stagnation et de la stérilité.

Le même passé est responsable de notre faillite face à des peuples possédant une civilisation impitoyable, qui ne pardonne pas aux faibles de ne pouvoir suivre le rythme de son essor à travers l'espace, ni à ceux qui ne disposent pas de ses techniques qui ont arraché des trésors aux entrailles de la terre, pour le plus grand malheur des uns et pour le plus grand bien des autres, c'est-à-dire ceux qui furent les plus sages.

N'est-il pas dit dans le Coran : « Par le mal et par le bien, Nous allons vous éprouver en suscitant vos passions ».

Mais nous ne sommes pas les seuls à avoir subi cette crise de translation, ni les seuls à avoir affronté le défi de l'évolution. La transformation de la femme suffit à le prouver clairement. C'est notre société qui paie la rançon de cette métamorphose historique. Dieu fasse que cela débouche sur le bien. L'Europe elle-même n'a-t-elle point connu durant le Moyen-Age des expériences suivies de rechutes et d'erreurs ? L'on se trompe toujours avant d'atteindre le but. Mieux vaut profiter de l'analyse expérimentale que de se cantonner dans le domaine du théorique et du spéculatif.

Ces adeptes ne purent donc résister aux passions, et comme dit le poète pakistanais Ikbal, ils fondirent tels des bougies et perdirent leur personnalité. Le même courant donna naissance à d'autres ramifications que l'on voit encore, s'efforçant de dessiner une maquette du monde islamique de demain selon les principes d'un art étranger et d'un décor factice.

En vérité ce courant ne pourra être dompter que si, dans le camp des réformistes islamiques, un plan pratique est établi qui, déplaçant les méthodes d'Al-Afghani, puisse épouser. L'esprit méthodologique et réaliste de notre temps. Car les partisans de l'autre plan défendent ses principes par la force que leur confèrent le pouvoir et la loi qu'ils détiennent. En ce qui a trait au problème de la femme, ils ont confectionné plusieurs modes de pensée, dignes de leur assurer la formation des générations futures, selon leur bon plaisir.

La deuxième fois où éclata le défi, fut en 1967, lors de la défaite devant le sionisme.

Aux yeux de l'Occident, l'Etat d'Israël représenté, dans le Proche-Orient, une oasis de civilisation occidentale de déserts arabes, qui, eux, sont peuplés de bédouins.

Mais lorsque pour la première fois dans notre histoire actuelle ces bédouins s'unirent, on les vit triompher sur le « jardin » et briser le mythe de
du sionisme. Cette défaite provoqua un choc psychique dans les peuples et chez les gouvernants. Elle donna naissance à des sentiments de malaise, de trouble, de doute, de colère. Car partout l'on ressentait le poids de l'humiliation qui, de nouveau, pesait sur le colonialisme. Et c'est ainsi que, de nouveau, les interrogations qui se posèrent au 19e siècle, se firent entendre plus fortes et plus pressantes :

« Qui est le responsable, notre passé ou notre présent ? Nos peuples ou nos gouvernements ? » etc...

D'autres questions accusatrices furent posées ainsi que d'autres encore qui condamnaient. On alla jusqu'à mettre en cause certaines formes d'art ou de littérature qui versaient dans la corruption morale, la perversité ou la bassesse car elles avaient présidé à la formation des vaincus. Même le « prêche » dans les mosquées du haut du minbar, était tenu, sous certaines formes pour responsable. Car la prédication « figée » ne faisait que ressasser depuis des siècles, devant des générations de fidèles, les mêmes sermons que l'on ressortait à l'occasion de chaque solennité religieuse.

Les penseurs se mirent donc à rechercher d'autres causes, d'autres raisons. Ils obtinrent certains résultats dans le genre de l'autocritique objective. C'est avec plaisir que j'ai constaté que le monde musulman a tiré des leçons de cette défaite qui, en définitive, lui aura profité. Car il avait besoin d'un tel bouleversement pour savoir qui étaient ses ennemis et leurs alliés, et aussi pour rectifier sa position à l'égard de la civilisation et de ceux qui la « fabriquent », de ceux qui enfoncèrent dans son cœur le poignard d'un Etat raciste, piétinèrent la dignité des Musulmans, et dispersèrent tout un peuple dont le sang coule encore du fait des agressions commises par les descendants des Croisés.

Sonner le réveil du monde musulman, combattre le colonialisme où qu'il se trouve, contraindre les dirigeants à administrer les peuples musulmans selon des lois démocratiques et justes, pourvoir ces peuples en moyens d'auto-défense pour qu'ils puissent sauvegarder leur frêle existence face à la puissance colossale du colonialisme tant matérielle qu'intellectuelle, appeler le monde musulman à approfondir sa réflexion sur les valeurs législatives et spirituelles de l'Islam, rassembler les débris épars de l'unité du monde musulman, mettre en harmonie ce qu'il y a d'essentielle dans cette civilisation avec la doctrine de l'Islam.

Comme vous pouvez le constater, ces objectifs étaient conformes à l'esprit de l'époque. Leur but était de sauvegarder les éléments essentiels de la personnalité islamique et de protéger cette dernière des dangers mortels du courant colonialisme.

En effet, les principes sus-énoncés contiennent à la fois les germes de l'authenticité et ceux de la modernité. Ils prennent ce qu'il y a de meilleur dans le patrimoine islamique et dans la civilisation contemporaine.

Nous constatons, que la tendance reformiste d'Al-Afghani fut défensive mais non point planifiée et méthodologique.

Cela était normal, compte tenu de l'époque et des réalités du monde musulman d'alors.

Ce penseur ne tenait pas à rompre le bien attachant la société islamique aux origines de sa civilisation. Car ce lien était un atout majeur, d'ordre moral, capable de sauvegarder les Musulmans des périls colonialistes. Par la suite, les mêmes principes de cette action réformatrice figurèrent dans divers mouvements de réforme religieuses qui secouèrent un certain nombre de pays islamiques. Ils se concrétisèrent notamment ici d'une manière efficace dans le mouvement de l'association des ulémas, sous la conduite du cheikh Abdelhamid Ibn Badis, Dieu ait son âme en miséricorde.

Il importe, cependant, de ne pas oublier avec le recul du temps, un autre courant qui apparut après la première guerre mondiale et qui se disait réformiste. En réalité il endossa la « réforme » dans le temps même où il prenait le pouvoir. Il se proposait de construire l'édifice social de l'Islam sur la seule réalité de civilisation moderne, ne tenant nul compte du passé, ni en bien ni en mal. Politiquement, ce courant a adopté le concept d'état laïc, en rejetant l'idée que l'Islam est à la fois une religion dogmatique, législative et étatique. Il a préconisé la libération de la femme, sans tenir compte de la position de l'Islam sur ce point. Il alla jusqu'à transformer l'écriture arabe en affectant aux caractères une « nationalité » étrangère. La langue du Coran fut elle-même transcrite en caractère latins.

Cette tendance dénuée de toute spécificité islamique eut un peu partout des adeptes qui ne cessèrent de courir essoufflés, haletant, derrière l'ombre de l'Occident. Car c'est lui qui les a « formés » selon des principes d'enseignement et d'éducation, au début de ce siècle. L'hégémonie colonialiste était alors à son apogée, tant matérielle qu'intellectuelle. Sur le plan général, la situation des pays musulmans ne laissait guère entrevoir l'espoir du salut ou de la délivrance.

CE QUE L'ISLAM A CONFERE A LA FEMME EST SUFFISANT ET APTE A NOUS EPARGNER LES EXPERIENCES ET LES DEBOIRES

par Monsieur
Mohammed Sadek Bessyès
Professeur à la Faculté Zeitouna de la Loi et de la Théologie Islamiques
Tunis (Tunisie)

Allah le Très Haut a dit :

« O gens qui croyez, il vous est venu de votre Seigneur une preuve et nous avons fait descendre sur vous une lumière éclatante. Ceux qui croiront en Dieu et s'y attacheront, ceux-là Il les fera pénétrés dans sa miséricorde et dans sa grâce et les orientera vers le droit chemin qui vers lui les conduira ».

Allah a dit aussi :

« Quel est le mieux orienté : celui qui va la tête renversée, ou celui qui, se tenant droit, avance dans le droit chemin ? »

Honorable ministre,

Chers collègues,

Chers étudiants et étudiantes,

Vous connaissez tous l'importance de ce problème :

(Quelle doit être la position du monde islamique à l'égard de la civilisation contemporaine ?)

Dès le milieu du 19e siècle, c'est-à-dire au moment même où l'Islam est entré au contact avec la dite civilisation, par le truchement de la cavalerie et de l'artillerie coloniales, cette question se posa de manière brulante. C'est à cette époque que se manifestèrent les premiers signes de la Nahda, (renaissance arabe contemporaire) ainsi que les premiers interférences dues à la rencontre des deux modes de penser : l'Oriental et l'Occidental.

Lorsque les peuples musulmans furent entièrement soumis aux régimes d'humiliation et de honte instaurés par la tyrannie et le colonialisme, le grand défi, dont toutes les données et motifs étaient désormais multiples fut relevé par le réformateur islamique ; Djamel Eddine al-Afghani dont l'action visa en premier lieu les principes et les éléments ci-après :

cause par les Weiss, Beauvoir, Halimi ou Veil ? Quand la femme fait irruption dans la politique, c'est souvent qu'une passion désintéressée l'y porte, la justice, l'humanité, la liberté. Car la femme reste liée par tous ses sens à ces exigences fondamentales de la vie. A ce titre, elle est douée pour la transcendance. Et voilà, me semble-t-il, pourquoi elle s'est jusqu'ici, et contre son propre intérêt, trop souvent contentée de son foyer ou de ses religions qui donnaient des réponses plus directes à ses aspirations.

Dieu sait pourtant (et les maris aussi) que même là, elle fut malmenée.

3.3. *Un art de la réciprocité.*

La religion chrétienne (pour m'en tenir à elle, que je connais bien), n'a pas été douce envers les femmes, et voyez que celles-ci n'en gardent pas rancune. Si l'Eglise a persisté, je crois même que c'est grâce à leur piété. On peut faire semblable observation pour le foyer. Admirez le paradoxe : la femme, spontanément, aime sa maison, son mari, ses enfants. Cela devrait arranger tout le monde. Mais ce n'est pas si simple. Là aussi, l'homme redoute le bonheur féminin, la puissance féminine. Il craint la concurrence des femmes au-dedans comme il la craignait au-dehors. Ni ici ni là, il ne la souhaite libre et forte. Il la préfère soumise, et partout présente comme si elle était absente : ainsi règne-t-il seul.

Et voilà pourquoi la grande querelle des femmes ne me paraît pas du tout se réduire, comme on le dit souvent, à une tentative d'évasion du foyer et d'insertion dans la cité. Ceci n'est qu'un aspect de leur lutte. Plus globalement, elles cherchent à s'émanciper, mais partout à la fois, chez elle et au-dehors.

Il faut que soit reconsidéré le rapport homme-femme, dans la vie privée et dans la vie publique. Les coutumes, les mœurs doivent être changées, ainsi que la loi souveraine de nos sociétés modernes. La concurrence, l'évincement du rival ne doivent plus régir les rapports des individus entre eux, mais la solidarité, l'amitié, la souplesse des relations humaines. Dans cette vaste réforme, le rapport homme-femme occupe une place essentielle. C'est par lui que tout commence. Je le répète, une nation qui tolère l'injustice domestique sera toujours incapable d'instaurer une justice politique. Elle vivra dans une violence latente et sournoise. Elle accoutumera ses enfants à voir dans cette violence une forme de légalité. La démocratie s'installe d'abord au foyer, lorsqu'homme et femme sont unis, et tendrement unis, dans le respect et le service l'un de l'autre. La démocratie commence par la réciprocité entre l'époux et l'épouse.

Et que l'on n'imagine pas que cela demande aux hommes de coûteux sacrifices. Qu'ils songent au contraire à l'extraordinaire richesse qui les attend : ils perdent un objet mais ils gagnent un sujet. Ils avaient une chose, ils ont maintenant un être. Voilà ce que veulent les femmes : que chacun de nous, quel qu'il soit, où qu'il soit, ait le goût de rendre vivant autrui, au lieu de l'écraser. Personne au monde n'est jamais assez vivant, à commencer par nous-mêmes. Offrons et la liberté et la joie et l'esprit et nous verrons que c'est notre liberté, notre joie, notre esprit que nous avons créés, en vertu d'une réciprocité dont les femmes depuis toujours ont fait l'expérience silencieuse. Nous sommes tous les uns envers les autres comme des artisans : nous nous fabriquons mutuellement. Inertes d'abord, nous nous rendons vivants. Ainsi que le sculpteur qui, de l'informe matière, crée le souple mouvement d'un corps...

Dans cette perspective-là, la politique ressemblera à une œuvre de l'art.

ci-dessus ne la combleront pas. Elle restera opprimée si notre façon de vivre, notre culture ne se remettent pas en question. Et tout de suite.

3.1. *L'aspiration à la paix.*

Partout, dans tous les temps, les femmes ont été tenues à l'écart des activités belliqueuses. Le féminisme n'aime pas que l'on attribue aux femmes une essence propre (cela nous a joué de mauvais tours). Il me pardonnera, j'espère, si néanmoins j'affirme cette évidence, que la femme éprouve, à la différence des hommes ou du moins d'un certain nombre d'hommes, une insurmontable horreur pour la guerre. Pendant des siècles, elle est restée silencieuse, souffrant sans mot dire, des tristesses de la guerre. Or la première fois que dans notre tradition occidentale, elle pousse un cri, c'est justement pour conspuer, sous la plume d'Aristophane, la tueuse de fils et d'époux ; c'est pour protester contre la violence, qu'Antigone, dans la tragédie de Sophocle, s'écrie : « Je ne suis pas venue partager la haine, mais l'amour ».

Pendant des siècles, la douleur féminine est restée muette, leur scandale n'a presque pas trouvé de voix pour s'exprimer. Est-ce faire preuve d'espérance trop folle que d'entrevoir là-dessus un changement ? Cette horreur est devenue publique. Elle a pris enfin une force politique. Des femmes, en Irlande, sont peut-être en train de rétablir la paix. Elle n'ont pas pris les armes. Elles se sont rencontrées, se sont embrassées, elles ont défilé ensemble, et leurs accolades font hésiter le bras de leurs époux...

Je ne dis pas ici que la femme est un ange de douceur. Lequel d'entre nous n'en connaît qui font peur, ainsi que des tigresses ? Je dis simplement qu'elles sont très rares à supporter la destruction de la vie. Leur corps, leur esprit ne sont pas organisés pour cela. Ecoutons-les, celles qui parlent aujourd'hui. Elles ne nient pas bêtement les conflits ; elles disent qu'ils peuvent être réglés autrement, et qu'il faut en finir avec cette survivance archaïque et monstrueuse du meurtre. Cet archaïsme, quand il est servi par un outillage toujours «dernier cri» pourrait bien en effet mener le monde vers sa fin définitive.

3.2. *L'aspiration à une nouvelle politique.*

La femme a une profonde répulsion pour la guerre. J'ajouterai qu'elle n'est pas très attirée par la politique, telle du moins que nous la pratiquons ordinairement. Je vais peut-être faire sursauter les féministes, mais je remarque que les femmes ont maintenant des droits qu'elles n'exploitent absolument pas. Et il est peut-être un peu rapide de dire que c'est à cause d'une oppression masculine, qui serait plus forte que ces droits. Depuis 1945, le nombre de Françaises à l'Assemblée Nationale ne cesse de décroître. Il y en avait 33 en 1944, il n'y en a que 9 aujourd'hui, et qui se taisent. Pourquoi ce désintérêt ? Certes, les hommes le provoquent, mais les femmes aussi en sont responsables. Je n'ai pas le temps ici de tenter une explication. Disons très vite que la politique des hommes ressemble trop souvent à des jeux rhétoriques autour d'intérêts bornés et médiocres (petites peurs devant le changement, grandes querelles de partis et de personnes) et que cette hypocrisie du beau discours, et sa stérilité les éloignent. Cela offense leur sincérité et leur goût de l'efficacité.

C'est pourquoi, au cours de l'histoire, leurs interventions dans la vie politique sont à la fois brèves et fulgurantes. Elles suspendent le clapotis continuel des petits égoïsmes, et font surgir les grandes idées oubliées : Antigone, l'amour ; Jeanne d'Arc, la patrie ; et que dire des combats menés aujourd'hui pour notre

parents-enfants, il est impossible que la femme seule assure toute la fatigue de la maison.

Et considérez les enfants. Une éducation donnée simultanément par le père et la mère est nécessairement plus complète et plus équilibrée. Les théories de Freud n'ont pu voir le jour que lorsque la parenté, au 19ᵉ siècle, est devenue dissymétrique : une mère totalement dévouée aux enfants, un père totalement absorbé par son entreprise. On a pu alors parler de *complexe d'Oedipe*, le fils étant impatient de se venger de l'indifférence paternelle, et de *complexe de castration*, l'humiliation que subit la mère dans cet emploi de servante obscure étant ressenti comme une véritable mutilation. Et c'est aujourd'hui un acquis de la psychologie contemporaine qu'un enfant a besoin de la structure parentale intacte : père et mère ensemble.

2.2. *Le partage de l'amour.*

Mais il ne suffit pas à la femme d'être aidée dans ses tâches. Il faut aussi de l'estime mutuelle. Il n'est plus de saison que le mari manifeste cet antique mépris qui rendrait d'ailleurs impossible ou désagréable le partage des travaux. Je veux dire un mot de l'amour conjugal. Pourquoi tant de couples échouent-ils, et cessent-ils si vite de s'aimer ? Parce que dans la plupart des cas, leurs relations se réduisent à un rapport dominant-dominé. L'homme commande, la femme obéit. Or rien n'est plus destructeur que ce pouvoir figé. Regardez plutôt : la femme est attirée par la vie familiale ; elle rêve de bâtir un foyer, mais dans combien de cas ce service reste-t-il libre et heureux ? On voit si souvent cet être libre devenir esclave, ce service dégénérer en servitude, cette spontanéité en désespoir. Et à qui la faute ?

L'amour, pour durer, (car je l'affirme, il peut durer, quoique disent les grincheux) a besoin d'une réciprocité rigoureuse, car elle seule peut sauver la liberté. Tu me sers, je te sers. Tu m'aimes, je t'aime. Le sentiment, fertile et nourrissant, doit faire croître l'autre. Il ne doit pas être jaloux et possessif : croyant conserver, en réalité, il étouffe et il tue, et lui-même meurt. L'amour vrai est fondateur de liberté. Qu'il ne redoute donc pas la liberté : elle le sauve. Un être libre, c'est un être capable de penser, d'agir, de sentir selon les exigences de sa vie intérieure. C'est un être qui continue à s'accomplir, c'est-à-dire à se transformer, à être tous les jours un peu différent. Cette nouveauté perpétuelle est fascinante, elle entretient l'étonnement de l'amour, le persuade qu'il n'en est toujours qu'à ses commencements, et qu'il ne fait que dévoiler ses promesses du matin...

Un grand Berbère, au 4ᵉ siècle, nommé Saint Augustin, se scandalisait que ce même mot d'amour servît à désigner et le sentiment que l'on éprouve pour un être chéri, et le plaisir que l'on met à manger du gibier. J'aime mon père, j'aime le lièvre, le latin exprime cet « amour » par le même verbe. Le français aussi, je l'avoue. Comme le langage est sot ! Un même mot pour dire la vie et la destruction, est-ce possible ? Mais revenons aux jeunes hommes de notre temps : quel amour entendent-ils porter à leur femme ? L'aimeront-ils comme une personne ou comme un lièvre ? L'aimeront-ils pour la vie ou pour la mort ?

3. UNE CIVILISATION DIFFERENTE.

La femme, en menant cette double lutte, au dehors et au dedans, ne se bat pas seulement pour elle. Au delà d'une oppression à surmonter, d'une dignité à rétablir, elle entrevoit un projet plus grandiose et plus ambitieux, elle aspire à une autre figure de civilisation. Les conquêtes personnelles énumérées

C'est une idée répandue que les femmes ne raisonnent pas si bien que les hommes et sont impropres aux travaux de l'esprit. Leur sottise, qui est avérée par un détail anatomique navrant (100 grammes de moins dans leur cervelle), a découragé de les instruire, pendant des siècles. L'ignorance a fait la preuve de leur sottise : quand elle n'est pas exercée, l'intelligence, comme les muscles, s'affaiblit. Et voilà comment on valide les préjugés.

Le premier combat de la femme a donc été en faveur de l'instruction. Cela n'est pas vieux, à peine cent ans, et le combat fut rude : combien de filles ont dû forcer l'hostilité de leur entourage et surmonter de cruelles pressions sociales ? Combien se sont fait honnir de leur famille, chasser ou enfermer ? Ne pensons pas sans émotion à nos courageuses grands-mères.

Ce combat est à peu près terminé, au moins en Occident. Les filles ont droit aux mêmes études et accèdent aux mêmes diplômes que les garçons. Ces derniers semblent même ne pas tirer tout le profit possible de leurs cent grammes de manière grise « en plus » : leur taux de réussite n'est pas supérieur à celui des filles. Devant ces résultats étonnants, nos pères consentirent à accorder aux filles le droit de vote, l'éligibilité et quelques postes de responsabilité. Sur le plan des principes, la bataille était à peu près gagnée.

1.2. *La conquête des usages.*

Dans la pratique, hélas, les choses vont moins vite. La société a la tête dure : à titre égal, la femme dispose d'une situation inégale : travaux plus monotones, moindres pouvoirs, salaire inférieur. On justifie cette violence en invoquant ses charges familiales qui la distraient de son métier. Mais la même société a su très bien s'adapter aux obligations militaires des jeunes gens, parfois considérables, ou aux congés payés des travailleurs (qui n'ont pas mené les entreprises à la ruine, comme on le redoutait en 1936). Alors, pourquoi ne ferait-elle pas cet effort supplémentaire en faveur des femmes ? Voilà aujourd'hui la tâche du féminisme : non plus revendiquer des droits essentiels, mais en finir avec une myriade d'abus, d'injustices plus ou moins « justifiées », cela réclame une énergie de fer. J'admirais tout à l'heure le courage de nos grands-mères, mais voyez celui de leurs petites filles, qui doivent, elles, vaincre une mentalité de mépris aussi vieille que le monde !

2. LA DIGNITE DOMESTIQUE.

2.1. *Le partage des tâches.*

Quand tout ceci sera obtenu, les femmes auront une vie encore difficile. Car la plupart vivent dans un foyer qu'elles aiment, et quoi que dise un féminisme traditionnel, elles se sentiraient incomplètes si elles n'y effectuaient le don de la vie. L'accès des femmes à la vie publique n'éteint pas du tout leur antique désir, et il s'agit désormais d'aménager ces deux exigences. Quoi qu'on dise, elles sont compatibles, avec un peu de bonne volonté.

Cela suppose d'abord le partage des tâches matérielles et éducatives. Une femme qui travaille au dehors tout le jour, il est scandaleux que l'attende à 18 heures une seconde journée de travail chez elle. Même si elle ne travaille pas, elle ne peut se passer de l'aide de son mari. Jadis les familles étaient vastes et l'on se répartissait les corvées. Aujourd'hui où elles se réduisent à la cellule

QUE VEULENT DONC LES FEMMES ?

par Madame France Quéré
Ecrivain
Paris (France)

Reconnaissez avec moi que les hommes sont incompréhensibles. Devant plus forts qu'eux, ils peuvent déployer un extraordinaire courage, et jusqu'à en mourir. Prisonniers, torturés, esclaves, humiliés, un peuple grandiose a su se lever sous les yeux de ses dominateurs. Mais devant plus faibles qu'eux, cette noblesse s'envole. Les voilà durs, injustes, inconscients à leur tour. On se souvient du mot de Lénine, à la fin de sa vie : « Je n'ai jamais vu de révolution qui ne serve à installer la réaction ». Digne devant les puissants, l'homme en face des faibles, devient vil.

La résistance que les hommes opposent à la protestation des femmes illustre mon propos. Ils devraient pourtant considérer celle-ci avec respect : elle est dans tous les pays du monde, quels qu'en soient les régimes et les coutumes. Elle s'insère dans le grand mouvement de libération qui a commnecé par l'insurrection des pauvres, s'est poursuivie dans la colère des peuples colonisés et s'incarne à présent dans l'émancipation des femmes.

Or, à ce phénomène universel, les hommes répondent par une crainte non moins universelle. Du Pôle Nord à la terre de feu, ils se divisent sur tous les sujets, sauf sur la commodité qu'il y a à maintenir les femmes en tutelle. Que ne portent-ils cette matière dans leurs discussions internationales ! Jamais, croyez-moi, leurs intérêts n'entreraient en conflit. Ils passeraient leur temps à échanger des félicitations et des clins d'œil.

Mais revenons au mouvement des femmes. Il prend donc la suite des grandes subversions historiques qui ont mené races, peuples, hommes, à se délivrer de l'infériorité où on les avait abaissés. Mais à la différence des précédentes luttes, la femme n'use pas de la violence militaire ni de la révolte civile : elle répugne à l'attentat comme à la grève. Elle parle, elle écrit. Elle use de cette persuasion douce, et tente de gagner des batailles sans faire de morts. L'opinion, agacée par ce bruit, prête l'oreille à ses plaintes. Mais que veulent au juste les femmes ?

Je distinguerai trois sortes de revendications :

- l'égalité professionnelle,
- la dignité domestique,
- la métamorphose de la civilisation.

1. L'EGALITE PROFESSIONNELLE.

1.1. *La conquête des lois.*

Par horreur, par dégoût de ce sang, qu'il croit être souillure, blessure, maladie, l'homme cherche à le gommer, à le faire disparaître, comme en témoignent les publicités actuelles, qui, toutes, tendent à faire " comme si de rien n'était ". Mais maintenant, les femmes — qui longtemps avaient infériorisé ce tabou — commencent à vivre cet écoulement de sang comme une plénitude de leur ventre, comme un fonctionnement de leur corps en accord avec la nature, comme un rythme de vie.

En cela (et en beaucoup d'autres points), elles rejoignent les sorcières qui laissaient circuler à l'intérieur de leur corps les rythmes des jours et des nuits, des saisons, des lunaisons. Si je dis que les femmes actuelles, sont des sorcières, c'est qu'elles commencent à se ré-approprier ce qui leur appartient, non pas pour le garder jalousement, mais au contraire pour lui redonner vie, expansion, épanouissement. C'est qu'elles commencent à retrouver leurs puissances enfouies, bafouées, confisquées, à en inventer de nouvelles, non pour s'attaquer aux hommes, non pour les castrer, mais pour qu'ils ne soient plus obligés de se reconnaître dans le modèle du maître, de l'oppresseur.

Si les sorcières, si les femmes se mettent à chanter, à danser le bonheur de leur corps — petit-à-petit et dans la lutte — retrouvé, elles minent ainsi les assises d'un certain fonctionnement de société, elles sont un danger pour cette société et non pas pour les hommes qui, au contraire, peuvent se sentir libérés du rôle dans lequel ils étaient, eux-aussi, enfermés.

Xavière Gauthier

n'avaient pas voulu. Les medecins — petite " élite " technicienne de spécialistes — ont monopolisé, ont confisqué au peuple ses puissances vitales qui circulaient grâce aux femmes. Ils ont pris le pouvoir en écrasant les forces libres. Ils ont droit de vie et de mort sur nous.

La grossesse, qui d'autres qu'une femme est mieux placée pour en connaître quelque chose, pour en parler, pour en témoigner ? C'est, du moins, ce qu'on pourrait penser, logiquement. Et bien, dans ce vaste mouvement de récupération des forces vives des femmes, l'homme a réussi à mettre la main, par la médecine et par le discours savant, sur ce qui lui est le plus étranger. Que sait-il de ce gonflement du ventre, de ces échanges de nourritures, de respiration, de battement du cœur, d'irrigation sanguine, de sons, de mouvements entre la mère et le fœtus ? Que sait-il de cette jouissance ou de cette horreur secrète, de cette métamorphose du rythme du temps, du sommeil, des rêves, du schéma corporel, de l'appétit, de l'odorat ? Que sait-il de cette déchirante aventure qui n'est comparable à rien et que rien, dans l'ordre de cette société, ne laisse prévoir ? Il n'en sait que ce que lui enseigne son envie, sa jalousie de cette puissance de donner la vie.

Et pourtant, cette puissance-là aussi, il la récupère, il en fait son pouvoir. A l'enfant que la femme a porté, a fabriqué, il impose sa marque de propriétaire : son nom (comme il l'a déjà imposé à sa femme). Un peu comme le directeur d'une usine estampille de son nom le produit du travail de ses ouvriers.

Que ne s'est-il pas approprié ? Même le nourrissage des bébés. Cet échange charnel, sensuel qui continue celui de l'intérieur du ventre, cette coulée de lait du sein gonflé de la femme à la bouche avide, suceuse, au gosier, au ventre du nourrisson : cela se produit de plus en plus rarement dans ces pays qui se prétendent " civilisés ". Parce que l'homme, le mari, la publicité, sont là pour surveiller le stéréotype de l' " éroticité " de la femme ; parce que le médecin, la science sont là pour dire : " attention, microbes. La nature est polluée. Le sein de la femme est pollué : microbes, microbes, microbes ! " Et qui donne à manger aux nourrissons maintenant ? Les pharmaciens, les industriels, les marchands et les fabriquants de poudres stérilisées et de petits pots qui rendent intelligent...

Et même plus tard, lorsque les enfants grandissent, bien que ce soient presque toujours les femmes qui fassent la cuisine pour toute la famille, ce sont les hommes qui, socialement, sont reconnus comme grands cuisiniers, comme chefs-cuisiniers. Et sans doute, les femmes ne se soucient guère d'êtres consacrées " grands " et " chefs " ! Qu'ont-elles à faire de cette gloire de pacotille, commerciale ? Elles ne demandent pas à entrer dans ce système de remise de médialles, de hiérarchie. Mais, ce faisant, on dévalue, on diminue leur tâche quotidienne dans laquelle peut cependant entrer le plaisir de pêtrir la pâte, de transformer la matière et de nourrir ceux qu'elles aiment. Cette tâche n'est même pas reconnue comme un véritable travail (par exemple, elle n'est pas rétribuée), alors que ce travail de fourmi de la femme redonne des forces au travailleur, entretient sa force de travail qui peut alors à nouveau, être exploitée par son patron.

Et c'est le deuxième versant du rejet par l'homme de ce qui est féminin. Ce qu'il ne peut récupérer, faire sien, ce sur quoi il ne parvient pas à mettre la main, il le laisse à la femme mais en l'infériorisant, en le méprisant, en le ridiculisant. Deux façons de refuser de reconnaître un *autre* sexe, différent. Je n'en veux pour preuve que ce tabou du sang monstruel, commun à tant de civilisations.

Pourquoi choisir les sorcières dans l'histoire des femmes. Alors qu'en Occident, les femmes aussi bien que les hommes (et même les enfants, qui en ont très tôt une image figée dans leurs contes de fées) se représentent généralement la sorcière comme une affreuse femme, vieille, laide et méchante. Alors que toute l'imagérie occidentale la représente hiraute, le nez rejoignant le menton, dépenaillée, à cheval sur un sale balai, ricanante et menaçante ou baisant le postérieur du diable... Si je l'ai choisie, cette horrible vieille, comme lien possible de la femme, si je me sens sorcière, c'est qu'il fallait d'abord détruire se stéréotype, si diamétralement opposé à la réalité, si habilement construit pour rendre épouvantablement donc inopérante cette manifestation de la puissance de la femme.

Car, quelles ont été, au Moyen-Age, réellement, les sorcières ? Un écrivain français, un homme pourtant, Michelet, l'a merveilleusement bien compris. C'étaient d'abord, des femmes seules, vraiment seules — et non pas isolées comme le sont beaucoup de femmes actuellement. Seules, parce que leurs maris étaient à la guerre du Seigneur. Leurs maris, des serfs, ignoblement exploités par ceux qui avaient le pouvoir, sans doute, mais eux-mêmes pris dans ce jeu des batailles, des conquêtes, de la guerre, corps à corps complice avec les compagnons d'armes, corps à corps brutal avec l'ennemi. Elles, les femmes, elles étaient seules et elles rêvaient. Le rêve est la liberté de l'esclave. Elles rêvaient si fort, avec une telle intensité, qu'elles commencèrent à parler tout haut. A qui ? Il n'y avait personne.

Elles parlaient aux plantes, aux arbres de la forêt, aux animaux qui rôdaient autour de leurs cabanes. Elles parlaient à la nature, étrange et proche. Leur corps à corps à elles, c'était avec la terre, avec les fleurs, avec les saisons, avec la lune, avec les feuilles bruissantes. Petit à petit de ce contact quotidien avec le monde vivant, leur sont venus, non pas un savoir, mais des connaissances. Des connaissances exactes, et pourtant empiriques, de toutes les plantes germant, poussant, fleurissant auprès de leurs cabanes. Et, surtout, des connaissances que ces plantes peuvent apporter à notre corps parce qu'elles sont en continuité avec lui. De leurs vertus curatives, dormitives. Les plantes bénéfiques et aussi vénéneuses. Celles qui soignent et celles qui empoisonnent. Les sorcières étaient les médecins du peuple, ou plutôt, les guérisseuses.

Car les médecins, qui, de concert avec les prêtres, les ont condamnées à être brûlées vives, sont précisément les profiteurs, les exploiteurs de leurs connaissances. Les médecins possèdent un savoir, qui leur a été enseigné dans les universités, un savoir complètement coupé de leur corps à eux et qui ne soigne le corps des autres que de l'extérieur, tout en exerçant une mainmise dessus, une contrainte, une mise en ordre. Qu'importe, pour le médecin que je vais consulter, ce qui se passe dans mon corps, qu'importe ce que je sens, ce que je vis. Pour lui, ce qui est vrai, c'est ce qu'il a appris dans les livres.

Les sorcières, au contraire, n'étaient coupées ni de leur propre corps, ni de celui des autres, ni de l'équilibre des forces vitales, naturelles. Elles vivaient en communion avec le réel. Elles s'impliquaient, se risquaient dans ce qu'elles faisaient aux autres, pour les autres. Ainsi, elles qui étaient des femmes (il y avait très peu de sorciers) savaient dans leur propre corps ce que signifie la grossesse, l'accouchement. Originairement, elles étaient des sages-femmes, elles aidaient les autres femmes à donner la vie. Elles savaient aussi que seule la femme qui est enceinte peut décider si elle désire vraiment avoir un enfant ou non. Elles connaissaient les plantes avortives et pouvaient ainsi libérer les femmes de ce qu'elles

NOUS, LES SORCIERES

par Madame Xavière Gauthier
Ecrivain
Paris (France)

Les femmes ont une histoire — des histoires, peut-être qui serpente au cours des siècles, sans jamais avoir été écrite dans l'Histoire, celle que les hommes ont faite. Si les histoires des femmes n'apparaissent pas, sur le devant de la scène politique, c'est pour une bonne raison : c'est que la Grande Histoire des hommes ne pouvait se dérouler qu'en rejettant à l'arrière-plan, en domestiquant, en réduisant au silence, en refoulant au plus profond de leurs demeures et d'eux-mêmes, le féminin.

Cette Histoire ne s'est donc pas faite exactement sans les femmes. Il fallait, au contraire, qu'elles y soient présentes en tant qu'absentes, il fallait que l'homme marche sur elles pour avancer, il fallait que l'homme s'appuie sur leurs forces muselées, qu'il se repose à leur ombre, qu'il s'imprégne à leur amour, qu'il se ressource à leurs larmes, qu'il se réjouisse à leur beauté, pour pouvoir, gagner ses batailles. De même, dans les sociétés de classe, ceux qui ont l'argent et le pouvoir, ont besoin d'exploiter la force de travail du peuple pour accroître sans cesse leur profit et faire cette Histoire qu'ils disent de progrès. De même, à un certain moment de leur Histoire, les nations occidentales, ont eu besoin d'exploiter les forces vitales d'autres peuples qu'ils ont colonisés.

Mais, sourdement, sournoisement, dans les sous-sols et les sous-bois, sous la terre et sous la peau, le sang continuait à battre dans les veines des exploités et des colonisés, le sang cyclique continuait à couler sous les jupes des femmes. Et c'est cette histoire-là qui m'intéresse, cette histoire souterraine de la vie et non celle des maîtres, qui n'est que tentative répétée de mise à mort de l'autre, du différent, de tous les autres, ceux qui n'ont pas même religion, mêmes intérêts.

Et dans l'histoire souterraine des femmes, faite de longs siècles de silence, d'interdits, de malheurs, de tabous et de quelques moments de fulgurante émergeance, je choisi l'époque des sorcières, qui fait brèche dans le Moyen-Age français. Je précise tout de suite, que pour en parler, je ne me cantonnerai pas à ce que l'on appelle, à ce qu'ils appellent la " vérité historique " — celle de leur histoire, justement — mais que j'y mêlerai la vérité du mythe, la vérité du fantasme, la vérité de mon histoire aussi qui rejoint quelque part celle de beaucoup de femmes. Il se mêlera donc, à ce qu'on prétend l'objectivité, la trame de ma subjectivité (de mon enfance, des liens avec mon passé), comme dans tout discours, d'ailleurs, mieux vaut le dire franchement.

Comme les femmes travaillent de plus en plus à l'extérieur, ou sont obligés de le faire à cause du divorce, les enfants déjà privés du guide paternel sont placés dans des centres pendant la journée ; ils sont de ce fait privés aussi des soins et de l'éducation maternels qui sont tellement importants à l'équilibre de l'enfant. Cette même situation se retrouve dans les pays socialistes et capitalistes qui sont fortement industrialisés. Psychologues et psychiatres constatent que durant les dernières années il y avait un nombre de plus en plus élevé de jeunes, d'adultes et d'enfants atteints de troubles mentaux et ils s'inquiètent sur l'avenir.

L'abus de la drogue, l'alcoolisme, la criminalité sont les résultats directs de ces conséquences. Non seulement le nombre de malades croît, mais en même temps, la maladie devient plus grave. Les crimes violents, les assassinats, les viols, les vols se multiplient. Les personnes âgées ont quelquefois peur de sortir et personne n'est en sécurité.

Une autre conséquence des mouvements de libération de la femme est le relâchement des mœurs ; particulièrement certains comportements tels que les relations sexuelles très libres. Il n'est pas inhabituel de trouver des jeunes hommes et des jeunes femmes vivant ensembles sans qu'aucun lien de mariage ne les unisse. Ceci a provoqué des maladies vénériennes alarmantes qui ont atteint des proportions épidémiques, sans oublier les effets que l'on connaît sur les adultes et les enfants nés de ces unions illicites.

Il y a peut-être une ligne bien définie qui sépare l'égalité et la «libération» de la femme. La jonction de ces deux concepts est facile mais peut être extrêmement dangereuse autant pour l'individu que pour la société. Les femmes seules peuvent choisir si oui ou non elles veulent accepter l'égalité seule ou la libération avec ou sans égalité. L'égalité implique des obligations définies pour ceux qui la recherchent et la société qui l'encourage. L'homme doit accepter ce que Dieu a dicté : c'est-à-dire que l'homme et la femme sont égaux et que la femme doit reconnaître les responsabilités exigées par cette égalité.

Dans la société contemporaine, la femme peut et doit jouer un rôle efficace pour lequel ses dons et ses capacités l'ont préparée, mais cela doit être un rôle qui conduit au progrès de la société et non à sa destruction.

importantes pour le malade. La connaissance scientifique peut être acquise sans tenir compte du sexe, quant à la compassion elle vient du dedans. C'est là la raison pour laquelle la femme est particulièrement douée dans le rôle d'infirmière. L'instinct maternel est d'une importance spéciale pour le bien être social.

L'industrialisation électronique moderne et sa miniaturisation exigent une habilité spéciale et une agilité des doigts et de la main dans les procédés de manufacture. Les mains de l'homme sont trop grandes et les doigts trop maladroits pour ce type de travail. Ainsi les capacités spéciales de la femme sont nécessaires pour la performance de certaines tâches. La femme est donc utile dans le domaine du travail pour s'acquitter des tâches que l'homme est incapable d'accomplir.

Il y a beaucoup d'autres occupations et professions pour lesquelles la femme est aussi capable que son partenaire, en raison de l'égalité intrinsèque de l'esprit. Dans le domaine de la justice, de l'éducation, des bibliothèques, du journalisme, de l'ingéniorat, de la politique, hommes et femmes peuvent s'entraider comme ils le font dans la vie de tous les jours, juste comme Dieu le voulait.

L'égalité devant la loi, l'égalité dans l'éducation et la formation, dans l'emploi et la compensation, dans la rémunération sont à la fois légitimes et équitables pour l'homme et la femme qui sont égaux aux yeux de Dieu ; mais cette lutte pour l'égalité peut nuire à l'individu et à la société. Aux U.S.A. et ailleurs la grande pression de la femme pour la recherche d'un emploi à des raisons psychologiques et financières. Aujourd'hui la force de travail représente 27 % de femmes et ce pourcentage s'acroît constamment.

Pour beaucoup de femmes, ce désir et cette pression pour l'égalité les a mené à devenir supérieures à l'homme plutôt qu'égales à l'homme. En conséquence la libération a eu un effet désastreux sur la société même qui désire surtout relever le statut de la femme. Il y a une tentative délibérée pour émasculer l'homme et priver la femme de ses attributs qui l'ont si gracieusement distingué de l'homme. Elle sont devenues plus masculines dans leurs vêtements, leurs conversations, leurs manières. Elles essaient de se faire valoir à l'homme par une attirance plus efficacement marquée par les parfums et les coiffures. On a abouti à ce que l'on appelle « l'unisex », c'est-à-dire à l'élimination des différences extérieures qui distinguaient l'homme de la femme. Plus les femmes deviennent affirmatives et agressives et plus accru est l'antagonisme entre l'homme et la femme — ce qui est préjudiciable pour les deux.

Avec un emploi, un salaire égal et un besoin psychologique « d'être soi-même » beaucoup de femmes ne se soucient plus de veiller sur le foyer pour contribuer à l'unité de la force sociale que représente la famille. Par conséquent le divorce est devenu une pratique courante dans la société occidentale. Aux U.S.A., en moyenne 1 mariage sur 3 se termine par un divorce. Dans certains Etats le taux est plus élevé, il atteint 2 divorces sur 3 mariages. Les ménages brisés sont devenus une chose tout à fait commune.

Les deux développements : rupture de l'unité familiale, et taux élevé des divorces, posent de sérieux problèmes pour le psychiatre, le sociologue, les différentes autorités religieuses, les adultes concernés et les enfants qui subissent les conséquences.

des femmes et j'ai collaboré à plusieurs occasions à des publications de matériel éducatif.

En général le mouvement féministe a réussi à avoir l'égalité dans le domaine de l'éducation en ce qui concerne le recrutement pour l'emploi, les compensations et la participation politique. Ce mouvement est récent, il date depuis la fin de la seconde guerre mondiale. Pendant la guerre, il était nécessaire pour les pays directement concernés d'employer plusieurs milliers de femmes dans les usines, dans les mines et les chantiers de constructions navales, pour remplacer les hommes qui étaient envoyés au front. Ces occupations jusque là inhabituelles aux femmes ont donné naissance à plusieurs chants de guerre, exaltant leur rôle indispensable, et le travail excellent qu'elles faisaient. Je me souviens très bien d'un de ces chants intitulé : « Rosie la riveteuse », où il était question d'une femme qui avait aidé à la fabrication d'un bâteau. Ma propre sœur, en fait, avait travaillé comme électriciennne dans un chantier naval durant cette période.

Cet emploi de la femme ayant la même occupation que l'homme a suscité une prise de conscience : la femme considère qu'elle peut être l'égale de l'homme dans beaucoup de domaines. Ainsi beaucoup de femmes ne voulaient plus abandonner leur travail à l'extérieur quand la guerre fut terminée. Il y a eu ensuite des hommes qui ont pû accepter que la femme fasse le travail de l'homme, mais ils refusaient d'accepter qu'elle perçoive le même salaire. Cette croyance en l'égalité de savoir faire existe, mais l'inégalité de compensation prévaut encore dans certains pays y compris les Etats Unis. Ce fait engendra une grosse rancœur et a peut-être contribué à la création des mouvements de libération de la femme.

En 1975 la conférence de l'Organisation Internationale du Travail des Nations Unies a adopté une déclaration définitive et détaillée « sur l'égalité dans le recrutement et la rémunération ». Cette résolution réaffirmait les déclarations internationales précédentes qui soutenaient le droit de la femme pour l'égalité dans l'éducation, dans la formation, dans l'emploi, la sécurité et la compensation. Toutes les nations devaient respecter ce droit. 1975 fut aussi l'année internationale de la femme : Une congrès s'est tenu à Mexico au mois de juin de la même année. Ces deux événements importants ont relancé les mouvements féministes à travers le monde vers un succès pour l'égalité qui leur revenait de droit. Le congrès des Etats Unis a ratifié « l'acte sur les chances égales dans l'emploi » qui défend toute discrimination de sexe, de race, de couleur ou de confession dans le recrutement. De plus, il exige l'égalité dans la rémunération. Beaucoup d'hommes et de femmes approuvent le passage « amendement des droits égaux ».

Il ne peut y avoir aucun doute que les femmes peuvent jouer un rôle important dans la société d'aujourd'hui. Elles l'ont démontré dans le passé, et elles pourront l'assumer dans l'avenir.

Dieu a doté la femme de certains attributs qui la distinguent de l'homme : compassion, tendresse, instinct maternel, agilité, vivacité, pour n'en nommer que quelques-uns. Ce sont ces attributs qui lui permettent d'effectuer certaines occupations pour lesquelles les hommes sont soient incapables, ou pour lesquelles ils éprouvent des difficultés. Par exemple, les soins médicaux n'exigent pas seulement une connaissance scientifique du corps, des maladies et des produits pharmaceutiques, ils nécessitent aussi la compassion et la tendresse qui sont très

pourtant elles ont contribué à la révolution qui a institué la nouvelle nation. Ces préjugés ont persisté et ils n'ont été rectifiés qu'à l'adoption du 19ᵉ amendement de la constitution en 1920, c'est-à-dire 133 ans plus tard.

Ce ne sont que deux exemples parmi tant d'autres qui ont illustré la position d'inégalité dans la société occidentale.

Malgré les incapacités attribuées, et la position inférieure imposée à la femme, elle a sû à travers l'histoire, dépasser ces handicaps et travailler pour l'amélioration de la condition de l'homme et le progrès des sociétés dans lesquelles elle a vécu.

Il n'est pas de mon intention de discuter le développement historique des mouvements de libération féministe, ni de rechercher dans les tentatives contemporaines de la femme qui veut recouvrer l'égalité que Dieu lui a accordée. Je veux simplement vous présenter les avantages que tireraient l'homme et la femme en optant pour les statuts qui s'élaborent en ce moment. Leur rôle est bénéfique dans la société contemporaine ; En même temps, je voudrais signaler certains problèmes soulevés ces dernières années par des actions exaltées menées par certains mouvements de libération de la femme ; ces dernières sont dangereuses : Des sociétés pourraient être détruites ou endommagées par les actions inconscientes de certains. Ce n'est que récemment que l'étude de la femme en société et les mouvements des femmes sont devenus une part importante dans le monde social et économique.

En anglais, deux livres très importants traitent du rôle de la femme dans l'Asie moderne. Le premier a été édité par un ancien collègue et ami, le docteur Joyce Lebra, professeur d'histoire à l'Université du Colorado. Il a pour titre : « La femme dans le Japon en changement ». Cet ouvrage décrit la contribution de la femme dans une société hautement développée industriellement. La femme représente une part importante dans la force de travail. Ses aptitudes et son adresse sont dans une large mesure responsable du rapide redressement du Japon après sa défaite et sa destruction lors de la seconde guerre mondiale. Quittant un passé traditionnel où les femmes étaient tenues en position d'infériorité, ils se sont astreints à faire une transition très difficile dans une culture technique basée sur le modèle occidental, où l'on peut reconnaître un certain degré d'égalité.

L'autre livre a pour auteur une Pakistanaise d'une grande valeur intellectuelle : Parveen Shaukat Ali. Il a pour titre : « Statuts de la femme dans le monde musulman : Etude des mouvements féministes en Turquie, Egypte, Iran et Pakistan ». Dans cette étude très valable, le docteur Ali a soigneusement analysé la position de la femme dans ces pays. Elle s'est basée sur le passé et les traditions culturelles en tenant compte des différents niveaux d'industrialisation et des aspects que revêt la libération de la femme. Cette étude pourrait être d'un intérêt très grand pour les participants au séminaire.

Par opposition à ces deux ouvrages, je vais dans ce qui suit, limiter mes remarques aux mouvements féministes des U.S.A. Ainsi les succès seraient suivis et les erreurs évitées par les femmes du monde musulman. Je dois préciser que je parle en ma qualité d'homme qui croit fermement à l'égalité de la femme et de l'homme, et en tant qu'enseignant ayant exercé pendant plusieurs années avec des étudiantes en Egypte et aux Etats Unis. J'ai travaillé côte à côte avec

EFFICACITE DU ROLE DE LA FEMME DANS LA SOCIETE CONTEMPORAINE

par Monsieur Charles L. Geddes
Professeur et Directeur
de l'Institut Américain
des Etudes Islamiques
Université de Denver (U.S.A.)

Dieu, dans sa sagesse infinie a créé l'homme et la femme pour peupler ce monde superbe ; l'un ayant besoin de l'autre pour procréer et pour peupler l'univers. Le désir de Dieu est que l'homme et la femme s'entraident et se secourent spirituellement, émotionnellement et physiquement. Dans le livre sacré du Coran, nous pouvons lire quelques passages dans lesquels Dieu dit qu'Il a créé mâle et femelle en êtres égaux sans tenir compte de leurs différences physiques ou morales.

Le passage du verset 196 de la sura « El Imran » est une référence spéciale d'une importance particulière dans la société contemporaine : Il y est dit « Je ne souffrirai pas que l'aptitude au travail de l'homme ou de la femme soit perdue. Vous êtes faits l'un de l'autre ». Malheureusement, l'homme a souvent transgressé les commandements et la volonté de Dieu, ou il les a détournés à ses propres fins. Parmi ces transgressions se trouve l'effort de l'homme à assujettir la femme à sa volonté, pour la placer dans une position d'infériorité. Pour cela, l'homme a toujours bien réussi à cause de la faiblesse physique et du tempérament émotif de la femme, qui a toujours désiré plaire à l'homme à travers les âges.

Pendant plusieurs années, les Occidentaux, sans aucune connaissance réelle, mais se fondant sur des préjugés religieux ont cru et ont écrit que la foi même en l'Islam était responsable des statuts inférieurs de la femme dans le monde musulman. Ils ont proféré ces accusations en oubliant que dans les sociétés occidentales, la femme a aussi été traitée injustement et a été considérée comme inférieure à l'homme non seulement physiquement mais aussi mentalement et émotionnellement. Un des grands maîtres de l'Eglise catholique romane St Thomas Aquinas, a écrit au 13e siècle que la naissance d'une femelle était une aberration de la nature, et que son développement intellectuel était bien inférieur à celui du mâle. Bien que ce ne soit plus la doctrine de l'Eglise, il y a encore ceux qui croient fermement que la femme a moins de capacité d'esprit que l'homme. La femme au volant est souvent sujet de plaisanterie : « C'est encore une femme ! ».

Aux Etats Unis, la nouvelle constitution nationale adoptée en 1787 — la plus libérale dans le monde à cette époque — ne permettait à la femme ni de voter, ni de tenir un office public. On imputait des incapacités aux femmes et

11°) — Nous ne pouvons cacher que le mouvement national arabe en tant qu'idée raciste et en dehors de l'Islam, a nui beaucoup à l'image musulmane en Afrique. En définitive, prêter le serment d'allégence à l'Islam et à l'avenir musulman en Afrique nécessite le délaissement de cet esprit rétrograde de l'époque anti-islamique.

12°) — En conclusion... La situation du monde arabe et musulman, les divergences politiques et spirituelles qui existent entre certains de nos gouvernements, le fait que nombre d'autorités aient banni l'Islam en tant que méthode et message à l'humanité, le fait de ne compter que sur l'idée matérielle scientifique ou nationale, sans parler bien sûr de la décadence intellectuelle, morale, économique et politique au sein des communautés musulmanes, tout ceci donc a joué un grand rôle dans la pénétration des idées contraires à l'Islam en Afrique et l'expansion du progrès musulman puisque celui qui a perdu une chose ne peut la donner... Présenter un exemple pratique a autant de valeur que l'exemple théorique.

Notre devoir à nous est de demander aux autorités arabes et musulmanes de s'orienter vers l'Islam, intérieurement et extérieuremnt. Ce sera notre épanouissement à l'intérieur, et notre présentation en tant qu'exemple utile et convenable à notre religion à l'extérieur. Le Coran a dit vrai : " Vous êtes la meilleure communauté qu'en ait fait surgir pour les hommes : vous ordonnez le convenable, interdisez le blamâble et croyez en Dieu ". Celle-ci est notre voie, ceci est notre message et notre avenir.

" C'est lui qui a envoyé son Apôtre avec la direction et la religion de vérité, pour la faire prévaloir sur la religion en entier en dépit de l'aversion des infidèles ".

Que Dieu guide nos pas, il est notre seul soutien !

1°) — Emission d'une chaine de radio à destination de l'Afrique de la part de tout pays arabe musulman, parlant la langue dominante en essayant de l'approcher le plus possible de la langue arabe avec la nécessité de la faire arriver nette aux profondeurs de l'Afrique.

2°) — Etablissement de bonnes relations culturelles et économiques avec tous les Etats africains, même si cela va à l'encontre de certains principes politiques éphémères.

3°) — Faire entendre la voix des Musulmans africains au monde entier, défendre leurs problèmes et leurs droits d'exercer leur religion et d'apprendre leur langue, combattre les Etats qui leur interdisent l'exercice de ce droit (le gouvernement ethiopien leur interdit de bâtir des écoles musulmanes et d'apprendre la religion musulmane... Ceci est illégal).

4°) — Consacrer un budget spécial en vue d'aider économiquement les Musulmans d'Afrique à bâtir des mosquées, des écoles, des hôpitaux, des foyers pour nécessiteux, invalides, orphelins, veuves, etc... pour ne plus avoir besoin d'aides de missionnaires et que disparaissent les maux sociaux auxquels pousse la misère (la prostitution en Erythrée, par exemple, est publique... Les femmes s'assoient devant les maisons de jour et de nuit dans l'attente de quelques crapules).

5°) — Faire que des demandes soient adressées aux gouvernements musulmans des pays arabes d'Afrique d'interdire officiellement la prostitution et l'alcool afin qu'ils soient un exemple vivant pour l'Afrique musulmane non arabe. La délinquance morale est en réalité, un moyen sur lequel s'appuient les missionnaires, les sionistes et les communistes pour exploiter les peuples et les dominer.

6°) — Profiter des circonstances offertes, même si cela est provisoire, pour asseoir les fondements de l'Islam et de la langue arabe dans les Etats africains qui entretiennent des relations puissantes, ces derniers temps, avec le monde musulman comme l'Ouganda, le Gabon, le Sénégal, le Tchad, le Nigéria, la République Centre Africaine, etc...

7°) — Travailler à aplanir les divergences qui existent dans les quatres rites reconnus et à y extraire l'unité de la religion musulmane dans son essence... Dans certains pays africains, hélas, une vague de fanatisme rituel s'étend au point que certains groupes vont jusqu'à se réserver des mosquées en écrivant sur le mur " mosquée des chaféites ", " mosquée des hanafites " etc...

8°) — Diffusion de l'Islam réel et de la culture musulmane authentique, à travers des livres, des revues, des périodiques dans les langues d'Afrique. Les Musulmans africains, dans leur grande majorité ne connaissent pas les préliminaires de l'Islam, quelques-uns mélangent Islam et Christianisme ; il se font nommer parfois " Henri Mohamed ", " James Ali ". Certains enfants ou vieillards ne connaissent pas le sens de l'Islam ou ne savent pas qu'ils sont Musulmans. Certaines écoles musulmanes africaines ne possèdent aucun enseignant de l'Islam ou de la langue arabe ; d'autres ont été fermées faute d'enseignants versés en Islam et en langue arabe.

10°) — Faire l'égalité entre le marxisme, le sionisme et l'évangélisation ; déclarer la guerre à ces principes destructeurs que contient l'Islam en Afrique : " Les infidèles sont de la même race ". Le marxisme a fait à l'Islam en Ethiopie, en Somalie, en Tanzanie et ailleurs, ce que le colonialisme n'a osé faire : arrêter la pénétration musulmane dans tout pays africain qu'ils gouvernent.

mage à la République Arabe de Libye pour l'aide et l'assistance qu'elle apporte aux Musulmans d'Afrique ainsi que pour la défense de leurs problèmes.

Ce sont ces aspects-là, qui forment la partie la plus lumineuse qui prépare l'avènement d'un continent africain, musulman et arabe, si Dieu veut.

L'avenir de l'Islam en Afrique :

A travers les facteurs négatifs et positifs tumultueux, à travers les deux aspects noir et blanc de l'image et au centre d'un patrimoine authentique de la civilisation, apparaît l'Afrique sous son aspect musulman durant les siècles qui ont précédé l'avènement du colonialisme européen.

De tout cela, en passant par le patrimoine du passé, les souffrances du présent et les espoirs de l'avenir nous pouvons dire en toute objectivité que l'avenir du continent africain est un avenir musulman qui s'appuierait sur la langue et la pensée arabes. Il puisera de l'Islam sa foi, sa loi et sa civilisation ainsi que sa méthode de lutte et les caractéristiques de son avenir authentique spécifique.

C'est une chance pour nous qui allons vivre au XV[e] siècle de l'Hégire et au XXI[e] siècle de l'ère grégorienne d'être la génération qui verra la disparition de la dictature individualiste à l'époque de la révolution technologique... Il est temps pour l'histoire de tourner une autre fois afin de voir les peuples jouer un rôle héroïque réel et voir la disparition des tyrans qui se sont habitués à diriger des centaines de millions de gens par simple décision ou slogan... L'époque de l'exploitation des peuples va se terminer... C'est ainsi que parle notre maitresse : l'Histoire. La glace commence à fondre dans le camp athée dès que quelques tyrans sont tombés...

Quand l'Histoire s'arrêtera à la porte de son nouveau tournant, les peuples d'Afrique et non les valets du colonialisme évangéliste, ni ceux du communisme, ni ceux du sionisme, mais les peuples d'Afrique seuls, décideront du devenir de ce continent combattant et vierge.

La nature africaine issue des profondeurs de l'histoire et de la terre, n'acceptera aucune autre religion que l'Islam. LE PASSÉ de l'Islam en Afrique c'est sa civilisation dont elle est fière, car l'Islam ne lui a ramené que du bien... Les prêcheurs musulmans n'étaient que des moudjahidines qui ne travaillaient que pour Dieu ; ils ne furent à aucun moment des colonialistes exploitateurs. LE PRÉSENT de l'Islam en Afrique et celui de l'Islam et de tous les Musulmans ; cette religion s'expose comme nous l'avons dit, à une campagne colonialiste féroce puisqu'elle est la religion qui est élue à guider la civilisation future... Quant à L'AVENIR il ne peut être européen ou chrétien... L'histoire de l'Afrique avec l'Europe ou la chrétienneté, ne peut permettre l'établissement des liens réels.

Néanmoins nous les Arabes africains musulmans, nous les Musulmans du monde, il est de notre devoir d'aider l'histoire et mener l'Afrique au bord de l'avenir musulman. L'histoire de l'humanité ne se meut pas automatiquement ni spontanément ; elle ne fonctionne pas irrémédiablement vers ce qui est le plus utile, si les bons sur cette terre ne l'aident pas.

Et afin d'accomplir ce devoir, je propose ce qui suit :

rêtés officiels, il est interdit pour les enseignants musulmans de pénétrer en Ethiopie ou en Erythrée ; les livres musulmans sont soumis à de lourds impôts ; on poursuit les Musulmans pour leur islamisation et on les emprisonne, on ne reconnaît point les diplômes qu'ils ont acquis dans des écoles musulmanes. La langue arabe a été supprimée dans les écoles, et dans les services et établissements publics. Le gouvernement soumet les Musulmans et les personnalités Musulmanes qu'elles fussent nationales ou étrangères, à un espionnage strict, afin de mieux enterrer l'Islam et la langue arabe. Il insiste également à éloigner les Musulmans des milieux gouvernementaux et encourage les " Sebghaya " à émigrer dans les villes musulmanes qui se trouvent en Erythrée ou en Ethiopie.

Le gouvernement va jusqu'à refuser d'établir la moindre relation diplomatique avec tout Etat qui tiendrait à son Islam ; il est interdit aux étudiants éthiopiens ou érythréens d'accepter toute bourse offerte par un quelconque pays musulman. En revanche il donne de larges facilités à tout mouvement anti-musulman qu'il soit communiste, sioniste ou évangéliste. Il impose aux Musulmans, l'obscurantisme, la misère et la maladie. De nombreux autres malheurs entourent les Musulmans africains... Nous ne sommes pas ici pour en faire le compte... Que ceci nous suffise simplement pour montrer le défit qui est lancé à l'Islam dans l'Afrique combattante.

Par ailleurs il y a d'autres objets de satisfaction et d'espoir dans l'islamisation de l'Afrique. Le colonialisme et l'évangélisation ont aidé, grâce à leurs bêtises, la pénétration musulmane en Afrique que sans qu'ils s'en doutent.

Les peuples africains commencent à s'apercevoir de la réalité marxiste et sioniste ainsi que de la vie qu'on mène sous leurs étiquettes. La guerre de Ramadhan 1393 a aidé à démentir le mythe de l'invincible Israël.

La politique du Kénya commence à s'équilibrer quant aux droits des Musulmans... c'est un acquis important.

Etendre l'Islam en Ouganda est devenu très possible ! Puissent les Etats arabes concernés par l'Islam exploiter cette possibilité !

Le Sénégal commence à réviser son attitude vis-à-vis des questions musulmanes. Le 2e congrès de la fédération mondiale islamique d'Afrique s'est tenu dans sa capitale Dakar, avec de grandes facilités de la part du gouvernement sénégalais (Mouharrem 1397), ce congrès a d'ailleurs donné naissance au comité de coordination islamique africain. Le gouvernement sénégalais a offert aux congressistes ses considérations et immunité diplomatique. En République Centre Africaine, le chef Bokassa, son fils, quelques-uns de ses ministres et 60 hautes personnalités, ont annoncé leur islamisation. La porte s'est ainsi ouverte à l'Islam dans cette jeune république. Il en est de même pour le Gabon qui vit son chef embrassé l'Islam et accomplir le pélerinage.

On ne doit pas oublier de compléter ce tableau en reconnaissant que certains Etats africains qui ont acquis leur indépendance, ont aidé l'Islam et la langue du Coran. Le plus grand exemple à ce sujet nous vient de l'Algérie arabe musulmane... Cette Algérie d'Abdelhamid Ben-Badis... pour qui nous formulons le vœu de la voir jouer un rôle d'avant-garde dans la lutte pour l'islamisation et l'arabisation en Afrique... Il est de notre devoir, en toute justice, de rendre hom-

2°) *En Somalie :*

Quand le renversement militaire communiste du 21 octobre 1969 eut lieu, il ne se passa pas une année que le chef du coup d'état Mohamed Ziad Barré, lors du premier anniversaire du renversement, a déclaré adopter le principe marxiste-léniniste, expliquer l'Islam d'une manière marxiste et soumettre la foi musulmane et les fondements de l'Islam aux pensées de Marx et de Lénine. Des organisations furent fondées dans le but de former une jeunesse communiste qui refuse l'Islam et le combat. Le gouvernement a également promulgué en 1972, un décret pour la destruction des écoles coraniques. Cette situation continue de la sorte, le communisme s'étend chaque jour davantage sur le corps de centaines de savants et de milliers de moudjahidine, utilisant la plus pire répression que l'histoire connaît. Et comme il fallait s'y attendre, le gouvernement communiste de Somalie empêche, de son côté et dans la limite de son influence, toute pénétration musulmane en Afrique, la remplaçant par tout ce qui est marxiste ou qui est au service de la foi marxiste. C'est ainsi que je considère que le marxisme est le danger numéro un qui vise à réaliser les objectifs sionistes et évangéliques ainsi que le moyen le plus sûr de s'accaparer des terres musulmanes, puisse Dieu empêcher cette réalisation.

3°) *En Tanzanie :*

Depuis le coup d'état de 1964 qui vit le renversement de Guilmchir Ibn Abdallah, 16.000 Arabes furent massacrés, tous les autres Musulmans ont été torturés ; 45.000 d'entre eux ont été tués. Depuis ce jour-là, la personnalité d'un Etat musulman qui nous est cher a disparu, c'est Zanzibar. Le mot Islam, que Dieu garde les Arabes et la langue arabe, sont devenus des crimes sanctionnés par la loi. Le temps ne nous permet pas de nous étendre sur la répression que subissent l'Islam et l'arabisme en Tanzanie...

4°) *Au Tchad :*

La population musulmane ainsi que les personnalités musulmanes subissent au Tchad, où les Musulmans forment, selon certaines sources, les 92 % de la population (ils ne disposent que de 20 % de sièges ministériels), une répression continue. Tous les Musulmans sont soumis à de lourds impôts ainsi qu'à des déplacements et des privations de droits politiques, religieux, sociaux et culturels. La révolte musulmane contre cet état de choses a échoué. En 1965 cet échec fut pour eux une nouvelle porte ouverte pour les mâter encore plus à tel point qu'on fit venir le corps expéditionnaire français afin de les exterminer, tout en faisant remarquer que le pourcentage de gouvernants musulmans, ne dépasse guère le 4 % de la population.

Le peuple musulman du Tchad, sous la direction du front de libération tchadien qui fut fondé en 1966, ne cesse de lutter afin de remettre les choses à leur place, contrairement à ce que claironnent les Chrétiens. Car en réalité ce sont ces derniers eux-mêmes qui combattent la démocratie quand elle est dans l'intérêt de l'Islam.

5°) *Quant à l'Ethiopie...* et à la tragédie du peuple musulman d'Erythrée, les Musulmans sont spoliés du plus simple droit de l'homme... En vertu d'ar-

En Ouganda les gens parlent une langue sahélienne propre à eux, différente de celle du Kénya ; c'est un mélange de dialectes " bantou " et de langue arabe.

Et malgré qu'elle soit sahélienne ougandaise, elle s'écrit avec des caractères arabes ; ce qui prouve la forte influence de la langue arabe en Ouganda. Et en plus du fait que les Musulmans en Ouganda (dans peu de temps, ils deviendront, si Dieu veut, les plus nombreux grâce au bond fait par l'Islam sous le règne du président Idi Amine) insistent tous à apprendre la langue arabe.

Nous pouvons dire ainsi (à travers ces exemples) que la langue arabe possède un grand parterre en Afrique depuis qu'elle y est entrée avec les prêcheurs et commerçants musulmans et qu'elle soit devenue la langue de la littérature, des sciences et de communication. Il nous suffit, à la fin de notre discussion sur la langue arabe en Afrique, de donner quelque preuve sur la place profonde qu'occupe cette langue en rappelant que les principales sources historiques telles « Adhabire Achantié » et « Kànù » en Afrique Occidentale ou les poèmes « Kalawa » en Afrique Orientale, sont en grande partie en langue arabe au point qu'un écrivain européen aurait dit, exprimant le lien qui unit l'Afrique à la langue arabe et à sa civilisation : " Si nous venons à soustraire les documents historiques écrits en langue arabe, il ne restera d'Histoire sur qui compter en Afrique noire ".

A ce sujet, un ministre de Zanzibar a dit : " Il suffit, pour démontrer la place de la langue arabe par rapport à l'Afrique, de savoir qu'il n'existe en langue sahélienne aucun mot synonyme de " citadinité " que le mot " arabisation " si nous voulons parler d'un projet en vue de promouvoir un village agricole nous dirons : arabisation de ce village ". Ce seul mot représente une grande fenêtre sur la longue et illustre image... C'est l'histoire de la relation de l'Afrique avec les Arabes du point de vue de la civilisation, de la langue, du devenir et de la religion ! !

L'Islam, aujourd'hui, en Afrique :

Pas de doute que l'Islam en Afrique vit entre le flux et le reflux... ou plus précisément entre un malheur et un bonheur. Le malheur de l'Islam réside dans de nombreux domaines :

1°) *Au sud du Soudan :*

Cette ouverture naturelle qui était destiné à devenir une porte par où l'Islam devait pénétrer en Afrique, est devenu un champ d'influence pour les missionnaires et leurs adeptes parmi les pays voisins du Soudan. Après l'accord qui fut conclu entre le Nord et le Sud au congrès d'Addis-Abéba, et qui eût lieu en mars 1972 sous l'auspice d'organisations religieuses et du Vatican, la porte fut grande ouverté aux missionnaires. Et ce qui est certain, c'est que les missionnaires vont pouvoir mettre sur pied un Etat chrétien au sud du Soudan qui deviendra leur base de lancement au cœur de l'Afrique. Il est temps pour les Arabes de se prémunir contre le danger. L'évangélisation, par le biais de cet accord, a réussi à juguler les mouvements islamiques en Erythrée et au Tchad... Ces deux révolutions vivent, depuis la conclusion de cet accord, une période d'étouffement aigu et atroce.

Le communisme en Afrique :

Le communisme constitue un autre grand danger pour l'Islam en Afrique ; il dénature en effet l'image de l'Islam en Afrique aujourd'hui. L'Afrique musulmane, continent de l'avenir musulman, est l'objet d'invasion du communisme. Sachant que l'évangélisation ne peut contrer l'Islam, que l'influence juive ne peut arriver à ses fins ; ce qui s'est produit en Ethiopie après Haile Sélassé qui ne peut arriver à bout des Musulmans d'Erythrée est une preuve flagrante que le communisme est le troisième volet qu'amènent les Juifs et l'évangélisation quand ils se sont aperçus que la voie qu'ils utilisent pour anéantir l'Islam était sans issue. Nous ne dissocions pas les événements qui se sont produits en Somalie, de ce qui se produit en Ethiopie, ou en Tanzanie (Zanzibar et Tanganika) où des dizaines de milliers de Musulmans ont été tués au nom du communisme progressiste. On reconnut Israël ; on invita Golda Meïr à visiter la Tanzanie. Nous ne dissocions donc pas cela du rôle réel que joue le communisme en Afrique. Et il est tout à fait étonnant que la plupart des leaders communistes qui sont apparus en Afrique ont de bonnes relations avec Israël. Beaucoup d'entre eux voyaient en Israël l'exemple d'une expérience progressiste qu'il faut suivre, ses victoires militaires sur les Arabes étaient des victoires du progrès sur la réaction. Le communisme est un obstacle pour la pénétration musulmane en Afrique ; c'est un élément qui trouble la bonne marche de l'Islam en Afrique aujourd'hui.

La place de la langue arabe aujourd'hui en Afrique :

La situation populaire africaine est différente de la situation africaine officielle ou celle à laquelle veut arriver l'évangélisation et les Juifs. En vérité la base populaire en Afrique, s'apparente au plus haut point à l'arabe au point de vue langue et pensée et à l'Islam au point de vue religion et civilisation.

Si nous écartions les pays arabes d'Afrique (l'Egypte, le Soudan, l'Algérie, le Maroc, la Libye, la Tunisie, la Somalie et la Mauritanie), étant donné que la langue arabe y est la langue officielle, le reste des pays africains, et notamment ceux qui, sont musulmans considèrent la langue arabe, leur langue religieuse, intellectuelle comme celle de la civilisation tout au moins au niveau populaire. En Ethiopie où les Musulmans représentent 65 % de la population, en Erythrée où ils sont 80 %, nous pouvons dire que la langue arabe est l'une des langues que parle la majorité des habitants, on peut l'utiliser au marché, en plus des établissements culturels et des mosquées. Si on vient à comparer la " Nedjrine " qui est utilisée en Erythrée en tant que langue locale, nous découvrirons qu'elle a adapté beaucoup de mots arabes, au point que les chiffres qui y sont employés sont presque identiques.

Au Kénya, berceau de l'authenticité africaine et où règne la langue sahélienne qu'avoisinent plus de 70 autres langues ; chaque tribu parlant son dialecte ; malgré cela la langue arabe dispose d'une place importante puisque la langue sahélienne elle-même compte plus de 50 % de mots arabes d'origine ou de dérivation. Et c'est pour cela qu'il n'était pas étonnant que le ministère de l'éducation kenyan, ait décidé officiellement, l'enseignement de la langue arabe dans les écoles du sahel kenyan, comme il a décidé officiellement d'examiner les étudiants dans la matière de la religion. Le ministère se montre prêt à accueillir le plus grand nombre possible d'enseignants en langue arabe et en religion musulmane, à condition que les gouvernements arabes se chargent des prestations et des salaires (comme font les missionnaires).

Le leader africain : Oui c'est vrai... l'église n'a pas joué un rôle sain dans les affaires africaines. Elle a pris position contre nous et pour ceux qui nous ont assujettis... Elle est sur le pied du départ définitif d'Afrique.

Est-ce que tu es Chrétien ?

Oui, je suis un catholique ; j'ai étudié à la faculté Marianne à Natal en Afrique du Sud... Bien sûr je n'ai pas embrassé le Christianisme pour des raisons politiques mais par foi. Et malgré cela, j'ai senti que l'église m'a trompé. L'Islam triomphera en Afrique. Et malgré le fait d'être catholique je ne pourrai dire sincèrement : je suis désolé pour la tournure des évènements (au profit de l'Islam)... Je comprends que la religion représente un aspect important des valeurs humaines qui poussent l'homme à se libérer. C'est ce qui a fait échouer l'église ; elle nous a tout donné, sauf la liberté.

L'évangélisation, comme nous venons de le constater à travers ce dialogue, n'est rien d'autre qu'une façade trompeuse pareille à toutes celles où le colonialisme cache... ses griffes et ses ambitions. Ainsi, elle représente un grand danger pour l'avenir de l'Afrique et pour ceux qui s'intéressent au devenir de l'Islam et de l'arabisation dans ce continent vierge.

Les Juifs en Afrique :

Si l'évangélisation en Afrique représente un aspect du trouble que rencontre l'Islam en Afrique, les Juifs quant à eux représentent l'autre volet du problème. Après que de nombreux Etats africains aient acquis leur indépendance, Israël vint proposer son expérience, son argent et son assistance. Par le biais des relations politiques et commerciales, par l'exploitation des mass-média, par une diplomatie habile, les Juifs réalisent leurs objectifs en acquérant la faveur de certains gouvernants africains au point qu'un journal nigérian a écrit en date du 13 octobre 1962, qu'aucun Etat en Orient ou en Afrique ne peut aider le Nigéria, en dehors d'Israël.

Il y a en effet une coopération effective entre Israël et quelques gouvernants africains et même si elle n'est pas visible politiquement, militairement ou culturellement, elle est secrète et particulièrement dans le domaine commercial et culturel. Si quelques Etats africains ont changé d'attitude envers Israël à la suite de sa défaite de Ramadhan 1393 et de l'apparition de son caractère colonialiste, il n'en demeure pas moins que certains autres entretiennent toujours des relations avec lui. Et parmi eux : l'Ethiopie, le Ghana, la Rhodésie, la Tanzanie... Israël exploite la situation économique sous-développée de l'Afrique. Elle y fait beaucoup de conserves de viande et de fruits autres matières premières africaines. Elle importe aussi du bois, des diamants et des matières pour la fabrication de l'engrais. Les Israéliens se sont particulièrement intéressés à construire des hôtels et des maisons de jeux ; ils s'en sont accaparés, les ont soumis à leurs objectifs politiques et économiques ; derrière leur comportement innocent se cachent les pires activités destructrices clandestines. Israël ne laissera pas l'Afrique aux Arabes et à l'Islam si facilement ; le flux de la civilisation ne peut s'étendre par les sentiments ; il faut en effet procéder avec sérieux et largesse, prendre des mesures afin de sauver l'Afrique des mains des Juifs et du sionisme et l'amener à la civilisation musulmane.

à revenir au bercail (au lieu de coopérer avec eux) ? N'est-il pas plus profitable pour elle de demander aux Européens eux-mêmes une plus grande importance à la religion dans la civilisation européenne que la faillite spirituelle menace ?

L'évangélisation n'est pas l'appel à la christianisation ; en plus du fait qu'elle est aujourd'hui un danger colonialiste permanent pour les Musulmans en Afrique, elle est surtout un obstacle à la pénétration musulmane et une manière de la torpiller et d'éloigner le jour où l'Afrique deviendrait un continent musulman. C'est l'armée la plus puissante qu'utilisent maintenant les colonialistes européens en vue d'empêcher le développement scientifique, économique et politique à l'Afrique. Le christianisme est leur bouc-émissaire ; ils ne le font pas par amour de la religion, mais plutôt parce qu'il la possèdent et qu'elle peut arrêter quelque peu la pénétration musulmane.

On ne peut s'empêcher de rire en se rappelant que le Lord Lebny qui commandait les armées anglaises à Jérusalem et qui prononça la fameuse phrase " Maintenant les Croisades sont terminées ", était un membre influent d'une association d'athés.

Et que dire de l'Italie qui se déclara l'ennemi de l'église et emprisonna le Pape au Vatican ; elle a bâti sa politique sur les efforts des missionnaires et des moines. Ceux qui ont visité l'Italie savent qu'à quelques pas du Vatican et tout autour, l'Italie vit une vie de débauche et de bohémiens, où la religion n'a aucune présence... Et ce qui est encore plus étonnant que ces deux exemples, c'est l'attitude de Staline, le leader du communisme international, quand on l'invita au congrès de Moskonie à Moscou... Staline a honoré le congrès en s'y rendant lui-même. Et que dire de l'Algérie combattante, l'Algérie du million et demi de martyrs ! La France y a fait preuve d'une haine à l'image des croisades qui a fait hurler la conscience mondiale et pourtant la religion en France même n'a pas une grande portée.

Quel est donc le sens de tout ceci ?

Est-ce que le Christianisme n'est qu'une marchandise à importer ?

En effet, c'en est une...

C'est un voile avec lequel on veut empêcher le soleil de l'Islam d'apparaître...

C'est le patrimoine d'une civilisation qu'on élit pour se mettre au devant de celui de l'Islam et de sa civilisation. C'est, le moins qu'on puisse dire, l'image (une religion) avec laquelle ont peut combattre une autre religion... puisqu'il fut historiquement démontré, que seule une religion peut combattre une autre et que seul l'acier peut briser l'acier... La postérité appartiendra en fin de compte au plus conforme.

Et pour de plus amples éclaircissements autour du rôle destructueux de l'évangélisation en Afrique, " c'est d'ailleurs le seul rôle auquel elle est destinée ", je vous cite cette agréable discussion qui eut lieu entre Louis Lumex, un journalitse américain, dans son livre « L'Afrique allergique » et Sylundika un ex-membre du conseil exécutif du parti démocratique en Rhodésie du Sud.

Le journaliste lui posa la question suivante :

Il existe des rapports périodiques qui confirment que la religion chrétienne se dissout en Afrique... Est-ce vrai ?

— La coopération avec les idôlatries existant dans le continent... afin qu'elle puisse en premier, se débarasser de l'Islam, son puissant adversaire, et en dernier, adopter leurs attitudes politiques et sociales, les aider par tous les moyens, flatter leur régionalisme éthnique et tribal, promouvoir leur langue locale... mais également consacrer leurs us et coutumes idolâtres, ce qu'il en reste et ce qui en a disparu.

— Le deuxième style, c'est la coopération avec les Juifs... C'est une coopération voulue par les deux... Israël le voulait... l'évangélisation aussi... et ce, à partir du but commun qui est : l'Islam en Afrique... cette religion qui fut pour les Africains l'énergie avec laquelle ils se meuvent à la recherche de leur existence et de leur liberté, ainsi que la civilisation par laquelle ils retrouvent leur personnalité et leur indépendance.

On sait qu'entre le christianisme et le judaïsme il y a une lutte séculaire qui n'a cessé que dernièrement ; et pourtant les Juifs et les missionnaires se sont mis d'accord, opérationnellement et stratégiquement, contre l'Islam qui est sur le point d'organiser tout le continent.

Ce serait une rengaine que de parler de la collusion des Juifs et des Chrétiens, d'Israël et du colonialisme, à notre époque. Ceci nous aménerait à parler de la naissance de l'Etat juif et des circonstances qui l'ont entouré. C'est en effet, un sujet très vaste et nous n'avons pas à en parler ici. Néanmoins le rôle que joue Israël en Afrique n'est qu'une prolongation à la mission que le colonialisme des croisades à créé pour lui, en Orient arabe ; cette mission consiste à isoler les peuples d'Asie de ceux d'Afrique. Ceci vise à affaiblir la pénétration arabe en Afrique... qui est un moyen en vue d'amener l'existence islamo-africaine. C'est l'introduction naturelle de l'avènement d'une Afrique musulmane et arabe concrétisant ainsi le rêve de nos ancêtres Almoravides tels Abdallah Ibn Yassine, Youssef Ibn Tachfine... Ceux-là qui ont sacrifié leur sang et leurs biens pour que l'Afrique devienne un continent musulman.

A quoi le colonialisme veut en venir à travers cette campagne d'évangélisation contre le monde musulman et notamment contre l'Afrique ? Le Christianisme n'a aucune existence dans la rue occidentale, ni dans l'usine ou l'atelier, ni au tribunal ou à la banque... Même l'église est devenue un établissement social ressemblant à tout autre établissement relevant des ministères des affaires sociales. L'Europe a abandonné le Christianisme depuis l'avènement de la révolution industrielle qui était basée sur le slogan suivant : " Pendez le dernier féodal avec les intestins du dernier prêtre ". L'Européen moderne et la " composition " spirituelle et biologique européenne, ne donne, à la religion, aucune dimension, dans l'élaboration de la pensée ou de la vie ?

Quel est donc le sens de ce que font les missionnaires en Afrique ? Ces missionnaires, eux-mêmes ne sont pas un exemple aux activités qu'ils prennent aux gens... Souvent des missionnaires changent d'une association à une autre afin d'amasser le plus d'argent possible. Le missionnaire anglais William Balghraff, de protestant, il est devenu jésuite et quand il n'en eut plus besoin, il redevint protestant... Le penseur Gibb a rapporté que les Jésuites en découvrant deux filles orthodoxes, dévergondées, les ont cachées quelques temps puis furent obligé de les remettre à leurs parents. Gibb attaque violemment le système des couvents ; il dit que certains d'entre eux étaient des lieux de débauche. Pourquoi donc déployer cette armée de missionnaires apportant la bonne parole en Afrique ? N'est-il pas plus important pour elle d'appeler les communistes du camp oriental

Le grand danger colonialiste pour l'Islam en Afrique :

Il existe un autre danger qu'il faut ajouter à la situation imposée par le colonialisme à l'Afrique et qui est représenté par cette armade de missionnaires aux habits de " moines " que prennent en charge tous les grands pays colonialistes... Ceux qui avaient une influence dans le continent ou ceux qui espèrent en avoir. Le plus riche Etat du monde est le Vatican ; le budget de ce mini-état qui représente une infime partie de l'Italie, est dépensé entièrement à des fins missionnaires.

Le Pape, à lui seul, dispose de plus de 500 millions de dollars. Il peut en dépenser ce qu'il veut en campagnes religieuses dans les pays musulmans. Des dizaines de journaux sont publiés ou donnés le plus souvent gratuitement à ceux d'entre les Musulmans qui ont une foi branlante.

Les dépenses annuelles de la mission anglo-indigène, sont évaluées à 2 millions de livres sterling ; celles de la mission américaine à 3 millions. Et toutes ces dépenses sont faites sous le couvert de " la lutte contre l'Islam "... Ceci bien sûr, sans compter les dépenses gouvernementales officielles qui atteignent parfois des chiffres inimaginables, elles s'étendent à de nombreux domaines et sous différentes formes. La revue missionnaire allemande a publié que le nombre de missionnaires protestants est à lui seul de 104.000.

Le nombre de sœurs et de pères, ceux qui distribuent la Bible et l'Evangile et qui participent à ces missions est de 92.000 ; quant aux écoles religieuses, elles sont au nombre de 16.671 comprenant des écoles primaires, moyennes et secondaires.

Plus de 500 universités, facultés ou instituts supérieurs, dépendent de l'autorité missionnaire. C'est le cas également pour 489 écoles théologiques spécialisées dans la préparation des missionnaires et des méthodes d'évangélisation.

L'autorité missionnaire possède également 2.594 lycées, 83.900 écoles primaires et 11.113 jardins d'enfants.

Pour ce qui est du secteur médico-social, qui est l'un des moyens les plus importants de l'évangélisation, les missionnaires possèdent 600 hôpitaux pour hommes et pour femmes, 1.050 pharmacies qui distribuent gratuitement les médicaments, 3 conseils sanitaires, 265 orphelinats, 120 foyers pour lépreux, autant pour les sourds-muets, 115 écoles pour aveugles, 113 dispensaires pour drogués, 85 foyers pour veuves etc...

L'évangélisation utilise tous les moyens traditionnels ou modernes. Les écoles, les hôpitaux, l'aide économique, les journaux, la radio, les livres, les affiches... et autres, sont autant de moyens utilisés... Les missionnaires s'acquittent de leur besogne à tous les niveaux. Il y a l'évangélisation au niveau des individus..., au niveau des groupes. Il existe une autre, silencieuse qui utiilse le livre, la presse, l'introduction du doute etc... Une autre plus dangereuse profite des circonstances politiques, économiques et sociales que traverse le continent. Elle joue son rôle dans les coulisses sous forme d'accords politiques ou économiques... Elle utilise parfois la valise diplomatique.

Le plus étonnant, dans la situation de l'évangélisation en Afrique c'est qu'elle s'est réfugiée à deux styles :

Certains peuples africains sont guidés politiquement et parfois gouvernés directement par des Européens ou les élèves de l'église ou des instituts européens.

Il existe également une autre différenciation, raciste celle-là issus de la théorie occidentale et qui a pris une place importante dans la pensée européenne ; c'est celle de la " suprématie de l'homme blanc ", suprématie absolue, sur l'homme noir.

Et à propos de l'apartheid qui n'apparaît si profondément qu'en Afrique, le président Ahmed Sékou Touré dit, en se moquant de ces Européens qui, avec leurs règles et leurs stylos, se sont empressés de mesurer les crânes des noirs et leurs différentes parties pour décider unilatéralement " que la place de l'homme noir est dans le monde des animaux parmi les chimpanzés car les singes ressemblent énormément à l'homme ". Le président montre que la couleur de la peau n'est rien d'autre qu'un phénomène qui correspond à ceux du milieu ou évolue l'homme. Puis il se pose cette question : est-ce que toutes les vaches ont la même couleur ? Est-ce que la vache blanche est meilleure que la rouge ou la noire ? La réponse est sûrement négative. Et malgré cela, l'apartheid est une réalité qu'impose le colonialisme dans plusieurs régions d'Afrique.

Et à côté de ces trois aspects exceptionnels il y a la situation économique sous-développée imposée à l'Afrique par le colonialisme puisqu'il l'empêcha de s'industrialiser et la transforma en pays producteur et exportateur de matières premières à vil prix et importateur en même temps de ces mêmes matières industrialisées et à des prix très chers. Et ce qui est étonnant c'est que la fertile Afrique est devenue sous la domination du colonialisme, un pays qui a besoin de produits alimentaires qu'elle importe de l'étranger. Ceci est évidemment dû au fait que les efforts dans le domaine agricole, furent orientés vers la production à l'exportation et non à la consommation locale. C'est ainsi que s'étendirent les camps de café, de coton, de thé, de cacao, d'une manière démesurée ; on laissa ainsi les Africains souffrir du manque à manger, sans pouvoir se procurer de moyens de pêche nouveaux et la pêche en elle-même leur était interdite ; l'européen qui était dans les forêts qu'il a conquise était seul capable de chasser les animaux terrestres.

Ainsi la pauvreté qui atteint parfois le seuil de la famine avec ses conséquences sur la santé et la multiplication de maladies et de fléaux, est un des phénomènes les plus importants qu'imposa le colonialisme à l'Afrique.

Le président Jomo Kenyata, dans son article publié en 1970 dans le livre général de l'Encyclopédie britannique, s'exprime ainsi à propos de la situation économique : " Les objectifs principaux de notre politique consistent à préparer à la grande majorité de notre peuple une terre qu'ils cultivent, des maisons qu'ils possèdent et des travaux fixes dont ils tirent profit. Et quand nous serons en mesure de réaliser cela, la stabilité pourra régner dans le continent ".

Le colonialisme a également imposé l'analphabétisme le plus abject ; il ne permit qu'à un petit nombre de s'instruire et encore cela était lié à ses visées et à ses objectifs, à savoir que ce demi intellectuel africain deviendra ridicule, déformé et déraciné... ne pouvant être un européen, ni un africain authentique, ni par rapport au présent de l'Afrique ni par rapport à ses espoirs futurs.

N°	ETATS	Nbre de musulmans	
12	LYBIE	2.178.000	100 %
13	MALI	4.853.000	90 %
14	MAURITANIE	1.227.000	100 %
15	MAROC	16.826.000	99 %
16	NIGER	3.863.000	91 %
17	NIGERIA	59.820.000	75 %
18	SENEGAL	3.319.000	95 %
19	SIERRA LEONE	1.800.000	65 %
20	SOMALIE	3.950.000	100 %
21	SOUDAN	14.375.000	85 %
22	TANZANIE	9.347.000	65 %
23	TOGO	1.166.000	55 %
24	TUNISIE	5.245.000	95 %
25	HAUTE-VOLTA	3.879.000	56 %
26	ERYTHREE	2.000.000	80 %
27	ILES COMORES	286.000	95 %

A cela on ajoute les Etats ci-après à prédominance musulmane, environ 30 millions ; ce sont des minorités qui viennent ici et là dans les autres Etats africains ; on peut les voir dans le tableau suivant :

N°	LE PAYS	Nbre de Musulmans	% des Musulmans
01	LIBERIA	770.000	30 %
02	GHANA	225.000	30 %
03	GABON	195.000	40 %
04	Congo Brazaville	140.000	15 %
05	OUGANDA	2.500.000 (env.)	40 %
06	KENYA	1.700.000	20 %
07	MOZAMBIQUE	1.750.000	25 %
08	MADAGASCAR	1.150.000	20 %

Le colonialisme domina le continent africain pour de nombreuses autres considérations exceptionnelles spécifiques à l'Afrique seule, au même titre qu'il l'assujettit au partage géographique et politique.

On trouve un grand nombre d'autres Musulmans dans plusieurs autres pays africains ; ils dépendent de gouvernements non-musulmans qui ont été élevés par l'église et qui en sont les dignes représentants.

Il y a tout un monde entre les gens de l'Eglise et ceux de la politique ! Et souvent la différence était encore plus nette entre les propos des gens de l'église eux-mêmes... et le rôle qu'ils jouaient en tant qu'appareil travaillant en collaboration avec le ministère des colonies... et les intérêts " stratégiques " colonialistes.

Et c'est ainsi que le colonialisme a calculé de telle manière qu'il assura le démembrement du continent africain en unités politiques et géographiques représentant le plus grand pourcentage de divisions du monde... au point qu'il présente en lui-même un obstacle infranchissable à l'avenir musulman et arabe dans le continent africain.

Si l'Amérique était un continent, si l'Australie en était un autre et si la Chine qui représente le 1/4 de la population du globe, était une unité politique et géographique complémentaire, il n'en est pas de même pour l'Afrique car le colonialisme lui a imposé de se transformer en des semblants d'Etats comme il le fit dans toute région susceptible de renouveau tel le golfe arabe par exemple. Il existe des Etats en Afrique dont les possibilités humaines ou naturelles sont loin de valoir certaines villes anglaises ou américaines.

L'Afrique Occidentale que nous prenons comme exemple, a été divisée par la France, depuis qu'elle y a mis les pieds, en huit Etats dont chacun est devenu un membre de l'O. N. U. ayant les mêmes obligations et les mêmes devoirs que la France elle-même avec tout ce que cela comporte comme efforts, éparpillement d'énergie et sauvegarde d'une indépendance limitée et faible. Ces Etats qui constituaient l'Afrique Occidentale sont : le Sénégal, le Mali, le Guinée, la Haute-Volta, la Côte d'Ivoire, le Dahomey, le Niger et la Mauritanie.

Le tableau suivant et qui concerne seulement les pays où le nombre de Musulmans est élevé, montre le plan de partage politique, humain et géographique par lequel le colonialisme a assujetti à lui le continent africain afin de l'empêcher de devenir un jour un continent musulman de religion, de langue et de civilisation.

ETATS MUSULMANS INDEPENDANTS EN AFRIQUE

N°	ETATS	Nbre de Musulmans	% dans toute la population
01	ALGERIE	15.286.000	98 %
02	CAMEROUN	2.265.000	55 %
03	REPU. CENTRE AFRIC.	902.000	55 %
04	TCHAD	3.400.000	85 %
05	DAHOMEY (BENIN)	1.746.000	60 %
06	EGYPTE	33.387.000	93 %
07	ETHIOPIE	17.289.000	65 %
08	GAMBIE	327.000	85 %
09	GUINEE	4.047.000	95 %
10	GUINEE BISSAO	565.000	70 %
11	COTE D'IVOIRE	2.484.000	55 %

LES MUSULMANS EN AFRIQUE
ENTRE LE PRESENT ET L'AVENIR

par le docteur Abdelhalim Aouis
Professeur à la Faculté de la Chari'a
Université Islamique
de l'Imam Mohamed Ibn Saoud
Ryad (Arabie Saoudite)

L'Afrique, ce vieux et jeune continent représente le 1/5 de la surface de la terre alors que le nombre de ses habitants ne dépasse guère 270 millions. Ce continent si vaste et qui n'abrite que le 1/12 de la population du globe possède des centaines de dialectes, 800 pour quelques-uns, 2.000 pour d'autres.

Quant aux religions et croyances, elles sont fort nombreuses ; presque toutes les religions et coutumes du monde existent ; d'autres n'existent qu'en Afrique seulement, à commencer par les croyances primaires comme l'adoration des phénomènes naturels, de l'âme des ancêtres, des fantomes ou des héros, jusqu'au Christianisme et l'Islam. Des dizaines de croyances s'entremêlent dans toute l'étendue du continent ; seules quelques-unes, comme les croyances hindoues ou le judaïsme étant donné leur nature de religions nationales renfermées sur elles-mêmes, leurs fidèles ne voulant pas les étendre comme les autres, semblent peu importantes.

Et avec tout cet amalgame de dialectes, la langue arabe est considérée comme la première étant donné que 90 millions de personnes la parlent.

Il en est de même pour l'Islam qui est, parmi toutes les croyances du continent, la première religion que pratiquent plus de 170 millions de personnes.

Obstacles dressés par le colonialisme :

Le colonialisme s'est aperçu que l'Afrique est le continent de l'Islam et de la langue arabe de l'avenir... Et que la religion chrétienne et la langue européenne (l'anglais et le français) qu'il transporta en Afrique au temps de sa puissance ; il les considère comme étant deux phénomènes colonialistes ; il sait également que le continent africain après avoir acquis son indépendance, ce dont il est certain, va certainement s'en débarrasser étant donné qu'ils sont deux aspects de domination ; particulièrement cette attitude que la chrétienneté prétend apporter à l'humanité alors qu'elle est contradictoire.

dangereuses pour la religion, il eut le courage d'étudier leurs livres. Ainsi il a pu discerner ce qui était vrai et valable dans leur pensée de ce qui était faux et dangereux.

Il a ensuite refuté leurs erreurs d'une manière efficace dans son " Tahafout ", que le mouvement philosophique en question a fini par se dissoudre, mais il a continué à enrichir la pensée islamique en y intégrant ce qui lui paraissait vrai et valable dans leurs thèses.

L'ensemble de la présente communication est destiné à souligner combien il est important à l'époque actuelle que des intellectuels croyants puissent imiter El-Ghazali et ne craignent pas d'apprendre au contact de leurs adversaires. A l'époque où nous vivons, comme je l'ai suggéré auparavant, toutes les grandes religions ont à résoudre plus ou moins les mêmes problèmes ; et il se pourrait qu'elles puissent venir en aide les unes aux autres.

Pour ma part je pense très sincèrement que toutes gagneraient beaucoup à étaglir un dialogue franc et amical à travers lequel elles pourraient voir plus clairement quels sont les points sur lesquels elles sont d'accord et quels sont les points sur lesquels elles diffèrent.

dispose me permet seulement de faire quelques brèves suggestions à la manière dont on pourrait y répondre.

Il convient d'abord d'affirmer de manière catégorique qu'il est faux que la science réfute l'idée de l'existence de Dieu. Les grands succès à mettre à l'actif des sciences naturelles ont trait à des choses que l'on peut compter, mesurer, ou dont on peut déterminer la quantité ; mais il n'en résulte pas que les choses que l'on peut compter ou mesurer soient les seules choses réelles. Au contraire, l'amour humain est chose réelle, de même la beauté de la forme ou du comportement est chose réelle. Nous ne pouvons pas nier, ni justifier un acte d'héroïsme ou d'abnégation par égard pour ses compatriotes. Si nous pouvons appeler cela le monde de l'esprit, alors le monde spirituel est tout aussi réel que le monde des choses matérielles.

Le point suivant consiste à insister sur le fait que celui qui croit en Dieu, bien loin de rejeter toute forme de sciences naturelles, accepte tous les " résultats confirmés " de la science, dans la mesure où ils lui parlent de l'univers que Dieu a créé. Le croyant est acquis à l'idée selon laquelle l'activité créatrice de Dieu ne se limite pas à l'époque lointaine où a été créé l'univers (à l'exemple de la cause première du philosophe Aristote) mais qu'elle se prolonge indéfiniment dans l'univers tout entier. Le " Coran " nous enseigne comment chacune des étapes de l'évolution de l'embryon dans le ventre de la femme est le fait de la puissance créatrice de Dieu. De la même manière le croyant ne devrait avoir aucune difficulté à affirmer que toutes les étapes par lesquelles sont passés les êtres humains depuis les temps les plus primitifs sont le fait de la puissance créatrice de Dieu.

Comme il ne me reste plus beaucoup de temps je dirai simplement deux mots au sujet de la révélation et des livres sacrés tels que le Coran et la Bible, ainsi que des problèmes y afférant à l'intention de ceux qui reconnaissent " les résultats confirmés " des sciences naturelles. A travers ces livres, Dieu donne aux hommes la possibilité de le connaître et leur enseigne ce que doivent être ses relations avec lui. Ceci ne constitue pas une connaissance parfaite de Dieu, puisque par définition l'homme ne peut pas l'atteindre, mais elle est suffisante pour permettre aux hommes de suivre le droit chemin en ce monde. Ce n'est pas le dessein primordial des livres révélés de fournir aux hommes le type de connaissances du monde qu'ils peuvent acquérir par leurs propres efforts (par exemple, au sujet des sciences naturelles), bien que les livres en question peuvent de temps en temps fournir ce genre d'informations.

De plus, la connaissance de Dieu et du type de relations que doit entretenir l'homme avec Dieu appartiennent au monde spirituel, et dans le monde spirituel, la vérité doit souvent s'exprimer sous forme de symboles ou de formes symboliques puisqu'il n'existe aucun autre langage à cet effet. Cependant le caractère symbolique des affirmations ne les rend pas moins vraies, et en fait elles demeurent indispensables pour guider les hommes dans leur comportement.

Pour conclure, je voudrais citer le grand penseur et intellectuel musulman, Abou Hamid El-Ghazali. Ce dernier a vécu à une époque où la religion islamique devait être défendue non seulement contre la vision matérialiste de bon nombre de gens qui se prétendaient musulmans, mais également contre les thèses manifestement philosophiques et scientifiques que défendaient des hommes tels que El-Farabi et Ibn Sina. Bien qu'il pensait que les thèses qu'ils défendaient étaient

tout le mois ; mais les muftis ont en fait prévu des règles répondant à des situations aussi inhabituelles.

Les exemples que je viens de donner illustrent la manière dont les règles détaillées de la " chari'â " peuvent varier selon les différentes situations. Les exemples cités sont relativement superficiels, mais dans le monde moderne il existe des changements de situation beaucoup plus importants qui doivent être pris en considération — en fait tout ce qui a été décrit précédemment comme étant l'expansion de la science et de la technologie moderne. La rapidité des moyens de communication — à la fois ceux ayant trait aux voyages eux-mêmes et ceux permettant la transmission de messages par radio et par téléphone — ainsi que le développement de l'industrie et du commerce ont provoqué de profonds bouleversements dans la structure sociale de tous les pays, qui justifient à leur tour le besoin d'un nouvel ordre social. L'une des tâches les plus importantes qui s'imposent actuellement aux Musulmans est, par conséquent, de consacrer un immense effort intellectuel pour tenter de distinguer entre les principes fondamentaux non susceptibles de changement de la " Chari'â " et les règles détaillées qui elles, peuvent varier.

L'urgence de cette question peut être illustrée par ce qui s'est passée dans l'empire ottoman au XIXe siècle. Entre 1860 et 1863, le sultan ottoman a promulgué des codes juridiques traitant de diverses questions commerciales et maritimes. La nécessité de disposer de codes s'est faite sentir parce que des sujets ottomans étaient en relations d'affaires avec des négociants d'Europe occidentale et avaient adopté certaines de leurs pratiques ; mais aucune mention n'était faite de telles pratiques dans la loi islamique. Les " Oulémas " de l'époque n'étaient cependant pas préparés à reconsidérer les principes fondamentaux de la " Chari'â " afin de voir comment les pratiques de l'époque pouvaient leur être adaptées. Du fait que les " Oulémas " étaient conservateurs d'une manière aussi rigide, il a été plus facile au sultan de promulguer de nouveaux codes ; et ceci signifie qu'en fait, sur ces points précis, la " Chari'â " a été laissée de côté. En outre tout ceci a préparé la voie à l'abandon pur et simple de la " Chari'â " en Turquie en 1926 sous le règne d'Ataturk.

Certains pays islamiques très progressistes ont à faire face, actuellement, à ce problème sous une forme ou une autre à un degré quelconque. Il est un besoin impérieux d'adapter les points de détail de la " Chari'â " aux conditions de la vie contemporaine, tout en gardant les principes fondamentaux intactes. Cependant, les " Oulémas " constituent dans la plupart des pays un corps social conservateur, et sont généralement opposés à tout changement radical ou rapide. Néanmoins, si les " Oulémas " n'agissent pas, des hommes d'Etats et des dirigeants politiques réussiront à trouver, à l'instar du sultan ottoman, une manière ou une autre de prescrire les règles juridiques qui leur paraîtront nécessaires. Dans un certain sens, ce que nous préconisons ici, c'est une ré-ouverture de la porte de l' "IJTIHAD ", sujet dont ont discuté les Musulmans au siècle dernier ; mais en 1977 cette question présente un caractère plus urgent qu'il y a un siècle.

L'autre problème est de savoir comment défendre la croyance en Dieu à une époque où la vision matérialiste du monde est très répandue et qu'elle est censée être corroborée par l'enseignement des sciences naturelles. Ceci est une question très vaste, et au cours de la présente communication le temps dont je

matériels. Cependant, la vision matérialiste actuelle est également influencée par les sciences naturelles, en ce sens que la tendance est très répandue qui consiste, pour les admirateurs des sciences naturelles, à supposer qu'il n'existe pas de réalité autre que celle des choses étudiées au moyen des méthodes utilisées par les sciences naturelles. Ceci est de toute évidence une supposition irrationnelle qu'il est permis de réfuter sur des bases des plus rationnelles, néanmoins c'est la supposition que font beaucoup de gens qui adoptent une vision matérialiste des choses. Une telle attitude peut déterminer, dans la pratique, la manière dont ils vivent, bien qu'ils ne rejettent pas formellement la croyance en Dieu.

Par conséquent dans ces trois domaines — l'expansion de la technologie moderne, les bouleversements sociaux qui en résultent et la propagation d'une vision matérialiste des choses — il existe des facteurs généraux qui affectent la vie des Musulmans ainsi que celle des Musulmans potentiels à travers l'Afrique toute entière et qui leur créent ainsi des problèmes. Le reste de la présente communication portera sur la manière d'aborder ces problèmes. Cependant, elle ne portera pas sur des points de détail ni sur des mesures politiques actuellement en vigueur, mais se limitera à des considérations d'ordre intellectuel sur deux principes généraux : comment peut-il y avoir un nouvel ordre social reposant sur des fondements islamiques ? Et comment peut-on défendre la croyance en Dieu et en la révélation dans le monde moderne ?

Lorsqu'on parle d'un nouvel ordre social reposant sur les fondements de l'Islam, on fait naturellement allusion à la " chari'â " ; je suis, il est vrai, pleinement conscient du fait que je ne peux en parler qu'en profane. J'espère cependant pouvoir apporter quelque chose qui soit de quelque utilité en ce qui concerne la situation des Musulmans ; et cet espoir est fondé sur le fait que les Chrétiens et les adeptes d'autres religions aient à faire face à des problèmes tout à fait analogues dans leur tentative d'instauration d'un nouvel ordre social plus équitable fondé sur le principe de la croyance en Dieu.

Le point de départ doit être le suivant : c'est que la " chari'â " appartient à Dieu et ne peut en aucun cas être changée. D'une manière quelque peu similaire, des adeptes d'autres religions diraient que les valeurs morales et spirituelles sont le fait de Dieu. Cependant c'est seulement en ce qui concerne son essence même ou ses principes généraux, que la " chari'â " ne peut-être soumise à un changement quelconque ; les points de détail ou les préceptes détaillés, doivent être interprêtés par les hommes et peuvent varier selon les différentes situations. Ainsi le principe général veut qu'au cours de la " Salât " celui qui fait la prière doit s'orienter vers la Mecque ; mais dans n'importe quelle ville prise isolément, les hommes doivent découvrir eux-mêmes la direction de la Mecque, en utilisant des méthodes rationnelles ; dans certains endroits ils s'orienteront vers l'Est, dans d'autres, ils s'orienteront vers l'Ouest etc...

De la même manière, dans les endroits où il n'y a pas d'eau, les ablutions précédent la " Salât " peuvent être faites à l'aide de sable. Un autre exemple encore plus significatif serait celui d'un Musulman qui passerait plusieurs mois d'été au Pôle Sud, en supposant que le " Ramadhan " ait lieu au milieu de cette période. Il lui serait impossible de respecter le " Ramadhan " normalement puisque l'on sait que le soleil ne se lève ni ne se couche jamais pendant

duits à partir de ce qui est déjà connu. Tout ceci est inclus dans la propagation des produits de la science et de la technologie modernes.

Le second facteur parmi les trois facteurs généraux consiste en la nécessité d'établir un nouvel ordre social plus équitable. Ce besoin varie d'un pays à un autre selon les conditions propres à chaque pays ; mais c'est essentiellement un besoin nouveau, car partout, il est possible de discerner derrière les problèmes spécifiques à chaque pays, les bouleversements sociaux, pour ne pas dire la désagrégation sociale, causés par la propagation des produits de la technologie moderne. Les anciennes activités artisanales sont devenues non rémunératrices et les artisans ont disparu pour laisser place à d'autres hommes utilisant un nouveau savoir faire et de nouvelles techniques. La célérité des moyens de communication moderne a facilité l'administration efficace de vastes territoires. A travers ces bouleversements sociaux et de tant d'autres encore, des changements sont survenus quant à la richesse ou à la pauvreté relatives de catégories sociales différentes.

Une poignée d'hommes riches qui n'ont pas réussi à comprendre comment les choses se passent dans le monde moderne, ont continué à mener la vie qu'ils menaient auparavant et se sont relativement appauvris. Mais la plupart des riches ont réussi à adapter leurs activités aux conditions de vie modernes et se sont relativement enrichis. Des hommes pauvres, ou de conditions modestes, qui ont acquis quelques unes des connaissances nécessaires au fonctionnement de leur pays en tant qu'Etat moderne, se sont enrichis de manière appréciable, tandis que quelques-uns d'entre eux se retrouvent avec des situations qui leur confèrent un grand pouvoir et une grande richesse. De tels bouleversements sociaux peuvent être considérés, en partie, comme des conséquences du colonialisme, puisque c'est le colonialisme qui a favorisé la propagation des produits de la technologie

Quelque soit l'origine du malaise social d'un pays donné, il existe en tout cas trois points sur lesquels un nouvel ordre social devra essayer de donner satisfaction. En premier lieu, les formes les plus abjectes de la pauvreté devront être éliminées dans le pays en question. En second lieu, des tentatives devront être faites en vue de parvenir à une plus grande égalité économique, étant donné que les conditions de vie modernes, l'existence de disparités importantes entre les gens très riches et les gens très pauvres crée un sentiment d'injustice sociale. En troisième lieu, tout le monde doit participer, d'une manière ou d'une autre, à la prise de décisions. Comment ces exigences peuvent-elles être satisfaites dans le cadre d'un nouvel ordre social ? C'est ce que nous allons voir dans ce qui suit.

Le troisième des trois facteurs généraux c'est le fait que soit répandue chez beaucoup de gens une vision matérialiste des choses. Par ceci j'entends non pas une adhésion formelle à une forme quelconque de matérialisme philosophique, mais une habitude de l'esprit, du fait de laquelle l'homme devient tellement préoccupé par la richesse et la possession matérielle qu'il finit par ne plus penser aux choses spirituelles ni à l'avenir du monde de demain. Ceci est, par exemple, une habitude de l'esprit que l'on a remarqué chez les riches négociants de la Mecque à l'époque du Prophète et qui a été créée par la jouissance de biens et de la possession matérielle.

Il est possible d'établir ici un parallèle étroit entre ce genre d'attitude et la vision matérialiste d'aujourd'hui qui est également liée à l'abondance de biens

Malgré ces complexités, je pense qu'il est possible de faire quelques remarques d'ordre général concernant tout particulièrement les situations dans lesquelles se trouvent les Musulmans africains dans leur majorité. D'une certaine manière, tous sont affectés par les mêmes facteurs généraux, même si ces derniers empiètent sur leur vie à des degrés divers, selon le degré d'islamisation de chaque pays et de la politique adoptée par ses dirigeants. Le chapitre suivant de la présente communication consistera par conséquent en une analyse de ces divers facteurs généraux ainsi que des problèmes qu'ils engendrent. A ce stade, je dois peut être préciser que ma sympathie va particulièrement à ceux qui œuvrent actuellement pour l'établissement d'un ordre social nouveau plus équitable, et c'est précisément à ces personnes que s'adressent essentiellement mes remarques.

Parmi les trois facteurs qui devront faire l'objet de débats, le premier et le plus fondamental d'entre eux est celui de la propagation, à travers le monde, des produits de la science et de la technologie modernes. Nous avons tendance à parler de la " propagation des produits " ou de la " propagation de la technologie " comme si c'était quelque chose que les produits ou la technologie faisaient d'eux-mêmes ; il est évident que ce n'est là qu'une façon de parler. Ce à quoi nous faisons allusion en fait, c'est à un processus complexe, au sein duquel l'on peut distinguer plusieurs niveaux ; et des êtres humains sont concernés à chacun de ces niveaux.

Le premier niveau c'est celui auquel une personne donnée propose de vendre un tissu de nylon ou une automobile ou un avion à réaction à une autre personne ; il ne peut rien se passer à moins que la seconde personne veuille faire l'acquisition de ce que la première lui a proposé et qu'elle ait d'une manière ou d'une autre la possibilité de la payer. Il apparaît donc clairement à présent, que tous les êtres humains de par le monde veulent s'approprier un grand nombre de produits de la technologie moderne.

Le grand leader de l'Inde, Ghandi, voulait que ses disciples ainsi que l'ensemble du peuple indien se passent de tissus fabriqués dans les usines modernes et qu'ils se remettent à utiliser le rouet ; cependant malgré sa grande popularité il n'a pas réussi à persuader les gens de renoncer à l'usage des produits de la technologie moderne. Partout dans le monde où il existe des objets qui rendent la vie plus facile, plus confortable et plus luxueuse, les gens décident d'en faire l'acquisition.

Cependant ceci n'est que le premier niveau. Il vous est facile d'acheter une automobile japonaise, mais si elle a un ennui quelconque vous ne pouvez pas l'envoyer au Japon pour réparation ; vous-même devez ou quelqu'un d'autre dans votre pays doit apprendre à réparer les voitures japonaises. En d'autres termes il s'avère nécessaire pour vous d'acquérir quelques connaissances pratiques de la science et de la technologie modernes. A ce second niveau qui est celui de l'acquisition de connaissances pratiques, il existe des degrés divers. Finalement la plupart des pays voudront fabriquer des produits modernes pour eux-mêmes et réduire ainsi leur dépendance à l'égard des pays étrangers. Puis il existe un niveau encore plus élevé, celui de la participation aux travaux de recherche scientifique et technologique en cours, qui inclut à la fois la réalisation de nouvelles découvertes dans le domaine de la science et l'invention de nouveaux pro-

LES PROBLEMES QU'AFFRONTENT L'ISLAM EN AFRIQUE DE NOS JOURS

par le docteur
William Montgomery Watt
Professeur au département des Etudes Arabes et Islamiques
Université d'Edimbourg
(Grande Bretagne)

Il est presque impossible de parler d'un sujet aussi vaste que celui qui fait l'objet de la présente communication. Contrairement à certains intellectuels occidentaux, je soutiens fermement que l'Islam est essentiellement unique et indivisible à travers ses diverses manifestations en Afrique et ailleurs. Néanmoins, il existe une certaine complexité dans l'Isalm africain qui rend difficile d'établir des généralisations.

Dans certains pays, l'Islam est établi depuis des siècles et la population y est musulmane dans sa majorité. Parmi ces pays figurent les pays d'Afrique du Nord et du Maghrib. Puis il existe des pays tels que certains pays d'Afrique Occidentale et Orientale, où les Musulmans constituent une faible, quoique distincte minorité ; et dans la plupart de ces pays la communauté musulmane est en train de s'accroître, comparativement aux autres communautés religieuses. Entre ces deux catégories, il exîste des pays tels que le Nigéria, le Soudan et la Tanzanie, où l'Islam est solidement établi dans une région du pays, mais où dans d'autres régions il n'existe presque pas de Musulmans. Et enfin il faut mentionner les pays où il existe peu de Musulmans, mais où les anciennes religions africaines sont en régression, de telle sorte qu'il existe actuellement une espèce de vide religieux que l'Islam pourrait peut-être combler. Car ceci également est un problème auquel l'Islam doit faire face.

Cette complexité est d'autant plus grande qu'il existe différentes attitudes chez les Musulmans. Il y a ceux qui œuvrent actuellement pour l'instauration d'un ordre social nouveau et plus équitable qui reposerait sur les fondements de l'Islam. Il y a ceux qui souhaiteraient revenir à un respect plus strict de l'Islam traditionnel, ceci avec différents degrés d'adaptation à la situation contemporaine. Et il semble qu'il y ait ceux qui, du fait de la puissance solidement établie des conservateurs et des traditionnalistes, ont désespéré à jamais de pouvoir réformer l'Islam de l'intérieur, et pensent que le nouvel ordre social pour lequel ils luttent doit être la copie d'un modèle non islamique.

— l'unité des peuples du Maghrib sous la bannière d'un seul Maghrib.

— L'unité politico-géographique, non dans ses frontières, mais dans sa population, sa langue et sa religion.

Les walis de Tahert, de Cirta à Zouila, des Monts Nefoussa au Chott Djérid, ainsi que dans le Maghrib Central tout entier, ne représentaient pas les Rostomides, mais leurs sujets à Tahert, ces sujets qui n'avaient pas la possibilité de faire seuls leur histoire. Ils avaient encore besoin de quelqu'un qui fasse éclater leur énergie, orienter leur comportement, approfondir leurs connaissances, développer leurs dons, unifier leurs sentiments et définir leurs opinions. Telle est la responsabilité historique grave qui échut aux Rostomides dans le temps ; nous continuons encore à assumer leur message pour la réalisation de l'unité du Maghrib des peuples.

dateur de l'Etat rostomide a vécu une vie arabe et est apparu en Irak avec ses parents avant son départ pour le Maghrib avec sa mère et son beau-père (sa mère s'étant mariée avec un hadj maghribin rencontré en pélerinage).

Les orientalistes qui se sont concentrés sur cet aspect, avaient un besoin urgent d'appuyer sur l'idée que les Rostomides n'étaient pas des Maghribins et donc, ils ne sont Arabes que de langue. Certaines versions exagèrent encore davantage en écrivant que certains traducteurs d'origine perse, se chargeraient de traduire aux imams rostomides de la langue berbère en arabe ou des deux langues en perse. Comment l'Imam Aflah Ibn Abdelwahab a-t-il besoin que Abou Salah El-Farissi lui traduise, étant donné qu'il connaissait parfaitement le berbère puisqu'il écrit 12 volumes en vers en langue berbère. La tromperie est visible et claire.

Et afin d'atteindre leurs objectifs, certains orientalistes se mirent à attaquer les premiers conquérants Musulmans, à travers les révoltes que fomentèrent les Magribins sous les walis Arabes ; ils présentent les conquérants sous l'image de mercenaires ; la résistance est vue sous l'aspect d'un combat contre une invasion étrangère faite sous le couvert de l'Islam, alors que tous les historiens sont d'accord pour dire que les Berbères ne se sont révoltés contre l'autorité des khalifes que quand ils eurent la certitude que les agissements des walis étaient ordonnés par le khalife lui-même.

L'attitude de la délégation maghribine qui fut envoyée à Hicham montre le souci des peuples du Maghrib de conserver l'unité de la communauté musulmane et le khalifat avant l'unité des Maghribins eux-mêmes. Quand les Maghribins furent convaincus que le khalifat était incapable de solutionner ses problèmes économiques et sociaux, le Maghrib des peuples s'est réfugié à un autre genre d'unité : l'unité des objectifs, des principes démocratiques et l'accès au pouvoir aux plus capables sous le règne d'un Etat issu de la volonté du peuple et dont les principes et objectifs vont avec le caractère du Maghrib des peuples. C'est ce que les historiens ont négligé et n'en ont pas parlé ; les chercheurs européens l'ont exploité dans leurs écrits.

Pour cela, nous ne pouvons imaginer qu'il existât une vie spéciale et secrète des Rostomides. L'apparition des Saqâlibas en tant que gardiens des marchés de Tahert, se ramène à l'apparition des Maghribins et Maghribines sunnites dans les cours des Abbassides avec ce qu'il y a toute la différence qu'il y a dans la moralité ici, et l'objectif là-bas.

La force rostomide résidait dans l'autorité spirituelle que les pays du Maghrib des peuples ont partagée ; il n'y avait point d'armée, ni de soldats ; c'est la réflexion politique claire, face aux sujets et aux visions, qui a donné la stabilité et l'unité dans les sentiments et les pensées. Et s'il nous est donné d'étudier l'histoire des Rostomides à travers leurs écrits et leur comportement, nous verrons que la culture est, chez eux, leur comportement social, c'est-à-dire qu'ils ont traduit la culture en réalité sociale palpable, sans qu'ils aient à développer le sentiment sectaire de leurs sujets. Ils ne furent pas sectaristes mais Maghribins et Musulmans avec comme objectif :

Puisqu'ils ont adopté une attitude défensive teintée de subjectivisme, nous avons alors trouvé devant nous des livres et documents qui ressemblent dans leur méthodologie et leur subjectivisme, à ceux de la première école, même s'ils se différencient au point de vue forme et contenu comme ce fut le cas des historiens chi'ites par réaction aux attaques adverses.

Mais qui a profité de ces livres ?

Mais qui a profité de cette anomalie dans la réflexion historique chez les Musulmans en général ?

Seuls ceux de la troisième école en ont profité.

L'école des orientalistes et des Européens : Pour qu'il n'y ait pas de confusion, je voudrais expliquer ce que j'entends par profiter, non pas dans son sens éthymologique, mais je vise par là le fait que ces gens-là, quand ils se mirent à étudier les Rostomides, leurs adeptes et les peuples qu'ils ont gouverné dans cette région, ils se basèrent sur les livres d'histoire générale de l'Islam, ont étudié profondément les écrits des Ibadites ; ils surent ensuite comment diriger leur méthodologie dans l'étude de l'histoire de ces peuples, atteignant ainsi le plus haut sommet du colonialisme spirituel, politique et économique. Qu'on ne s'étonne pas alors, de trouver les historiens israéliens à l'université de Tel-Aviv, appuyer leur droit historique sur la terre promise avec des écrits de l'histoire musulmane. Qu'on ne s'étonne également pas d'un fait plus grave encore : toute thèse universitaire qui traite des Rostomides ou de quelqu'autre sujet relatif aux peuples du monde musulman, ira, secrètement, à l'université de Tel-Aviv. Si j'ai donné cet exemple c'est parce qu'il est plus frappant que d'autres. Si nous apprenons aussi que quelque manuscrit a rejoint le Vatican, c'est parce que les gens de l'Eglise étaient plus actifs dans la réalisation de leurs objectifs.

Les études orientalistes et européennes sur les Rostomides ont pris divers aspects et diverses orientations. Quelques-uns ont recherché la relation qu'il y avait entre l'origine perse des Rostomides et celle des Berbères Amazigh pour construire leur théorie sur la base de la race et de l'éthnie et éloigner du Maghrib des peuples toute valeur et toute qualité alors les qualités les plus importantes de ces peuples sont les suivantes :

— La clarté de la personnalité spécifique.

— L'amour de la terre, la fierté de l'homme et l'attachement aux principes.

— La profondeur de vue et celle de la réflexion vont de pair avec la maîtrise de soi aux moments les plus pénibles ; une connaissance parfaite du devoir, la prise de décisions saines qui dénotent une haute mâturité. Le Maghrib musulman n'a-t-il pas envoyé une délégation politique au Khalife Hicham à Damas pour lui proposer des solutions rapides et l'aider efficacement à sauver le khalifat omeyyade de la situation financière et sociale dans laquelle il se trouvait ?

Et partant de ces valeurs caractéristiques des peuples du Maghrib sous les Rostomides ou même avant eux, je dirai qu'il serait très dangereux d'adopter cette orientation qui considère les imams rostomides d'origine sassanide ; et tant que nous n'aurons pas de preuves formelles qu'Abderrahmane Ibn Rostom est d'origine perse, il ne faudrait pas l'accepter. Et même si nous l'acceptions, le fon-

ment des Etats. Afin de flatter les détenteurs du pouvoir, ces historiens ont créé des raisons pour justifier les guerres, l'expansion et la réalisation des ambitions, décimant tout peuple qui refuserait de se soumettre tantôt de rebelles, tantôt d'anarchistes ou de séparatistes ou encore de hors-la-loi comme ce fut le cas pour les martyrs de la révolution de 1954 dans l'histoire contemporaine. C'est pour ces trois raisons que se sont multipliées les théories des historiens, au sujet des Rostomides et que l'étude de l'histoire de cette région du Maghrib musulman s'est divisée en trois écoles :

La première école : Les historiens de cette école ne se sont pas contentés d'assembler les événements et de les présenter consciemment ou par peur, mais ils ont exagéré la dénaturation des faits. Même Ibn Khaldoun, qui a relevé les fautes des historiens, n'en est pas exempt. En parlant des Rostomides et des œuvres illustrés de leurs savants, il n'est pas sérieux dans ses propos. Ainsi à propos de l'histoire et de l'origine des Idrissides au Maroc, il les place dans la lignée de Mohammed et refuse aux Rostomides toute parenté même relative à cette lignée. C'est un exemple parmi des dizaines d'autres qui ont dénaturé l'histoire et perdu la vérité historique. C'est pour cela que j'estime que le devoir sacré de tout historien engagé qui a foi dans les problèmes de ses peuples, c'est de revoir de nouveau tout ce qui a été écrit par les historiens au sujet de l'histoire générale de l'Islam. Je n'exagérerai pas en disant qu'il faudrait réécrire l'histoire maghribine à partir de zéro, en prenant en considération la formation caractérielle de toutes les sociétés musulmanes en commençant par l'histoire économique, sociologique et même culturelle des peuples non pas suivant le déroulement des événements et des familles régnantes mais selon l'unité fonctionnelle des sujets ; car les crises sociales qui se produisent ici et là avait pour raison principale, le vide qu'accusait le trésor public et l'obligation qui était faite aux masses populaires de le remplir à la sueur de leur front, en attendant de se faire conduire à la guerre ou en cas de refus de faire l'objet de répressions et avec leur propre argent.

Les historiens ne tarderont d'ailleurs pas d'accuser ces mêmes peuples de rebelles et de dissidents, alors qu'en réalité, ils devraient d'abord relater l'histoire des peuples en premier lieu, pour ensuite parler d'histoire politique. A ce moment seulement, nous pourrons donner un jugement ; si l'histoire politique relève de la volonté des peuples sans déviation aucune, alors nous pourrons dire que c'est leur histoire ; si par contre elle lui est imposée, on ne pourrait dire qu'elle est à leur avantage et pour eux.

La deuxième école : La seconde école qui s'est penchée sur l'histoire des Rostomides, rejoint la première dans son orientation et ses objectifs ; ce sont les écrivains et historiens rostomides ibadites eux-mêmes. Les imams rostomides et leurs savants furent connus pour leur science et leur savoir. Les bibliothèques d'Europe et leurs archives témoignent de l'importance de ce patrimoine. Mais lorsqu'ils se mirent à écrire, particulièrement après la disparition de l'Etat rostomide, c'était pour défendre une position et faire connaître le peuple des deux maghrib : le proche et le central.

On dirait, qu'ayant désespéré de pouvoir installer l'imamat rostomide à Ouargla, ils ont acéré leurs plumes pour s'attaquer à la déformation de l'histoire.

ROLE DES ROSTOMIDES DANS L'UNITE DU MAGHRIB DES PEUPLES

par le docteur Ibrahim Fekkhar
professeur d'histoire
à l'Institut des Sciences Sociales
Université d'Oran (Algérie)

Parmi les sujets importants et obscurs dans l'histoire musulmane du Moyen-Age figure celui des Rostomides ; il a subjugué nombre de chercheurs et spécialistes et ne cesse de dérouter beaucoup d'historiens et d'étudiants.

Et si le sujet a subjugué de nombreux écrivains et politiciens ou chercheurs dans l'histoire des nations et des peuples, c'est parce qu'ils n'ont pas seulement étudié les Rostomides en tant que famille régnante qui a hérité le pouvoir de père en fils, mais parce qu'ils ont rattaché l'histoire des Rostomides au Maghrib, à leurs principes et théories pour ensuite voir les relations des peuples du Maghrib en général avec les gouvernants de Tahert et leur rôle dans l'unité du Maghrib des peuples.

Je ne pense pas être pressé dans mon jugement si je disais que toute étude qui se baserait sur la connaissance du caractère des peuples, faciliterait aux chercheurs la connaissance de l'identité des gouvernants et leurs relations avec leurs peuples. On se baserait ici, sur les peuples et non les gouvernants, ou plus exactement, les peuples avant leurs gouvernants ; car l'autorité politique n'aurait pas le cachet de légitimité si elle ne se basait pas sur la volonté des peuples.

Quant au fait que le sujet sur les Rostomides ne cesse de dérouter la plupart des historiens et les passionnés de l'histoire, relèverait à mon avis de :

1°) La confusion qui englobe, non du côté de l'orientation politique claire, mais plutôt du côté de l'orientation idéologique et les circonstances caractérielles et sociologiques par lesquelles les peuples du Maghrib ont accueilli Abderrahmane Ibn Rostom.

2°) La stérilité qui a touché la mentalité historique dans le domaine de l'écriture de l'histoire générale de l'Islam. Nous avons ainsi hérité d'une image fidèle du mal qui a atteint les âmes à travers l'inertie des rites et la désunion des Musulmans. L'histoire a ainsi éloigné les Musulmans de connaître leur réalité et approfondi l'écart qui séparent les peuples d'un même pays, alors qu'il n'y a qu'un Dieu, qu'un Coran et qu'un Prophète.

3°) Les historiens ne se sont pas donnés la peine de chercher sérieusement dans l'histoire des peuples, leur civilisation et le rôle historique dans l'avène-

courant à la découverte du désert encore inconnu, a exercé une influence, claire sur le mouvement scientifique en le poussant vers des horizons plus larges et plus tolérants, que ce soit dans les disciplines auxquelles s'intéressaient les savants de Ouargla et qui comprenait la philosophie et l'astronomie, disciplines non encouragées par les milieux ibadites conservateurs habituellement ou dans les méthodes de recherche qui sont sorties du cadre de l'étude d'une seule doctrine pour englober toute la pensée islamique comme cela apparaît dans les écrits d'Al-Warglani, d'Ibn Khalfoune, de Abou Ammar et de bien d'autres, ou encore dans l'établissement de liens avec d'autres centres d'études et instituts islamiques hors du pays ibadite avec Cordoue en Andalousie par exemple, avec Tunis et Kairouan, comme ce fut le cas pour Abou Abdillah Mohamed Ibn Bakr et Abou Yacoub Ammar Abdalkafi.

Pour conclure, ce ne sont là que quelques traits parmi beaucoup d'autres. Si, j'ai réussi à vous donner une idée d'ensemble de ce mouvement, qui s'est poursuivi et se poursuit encore, j'espère que de jeunes chercheurs algériens ou autres continueront à découvrir ces trésors, à en répandre les bienfaits afin que l'univers tout entier sache que chaque poignée de la terre d'Islam a été imprégnée, depuis qu'à l'horizon a été lancé cet appel " Il n'y a de Dieu qu'un seul Dieu et Mohamed est son Envoyé ", du sang des martyrs et de l'encre des savants en même temps. J'espère aussi que cette communauté qui a montré la voie à l'humanité dans le passé, se préparera à jouer le même rôle de nouveau. Nous souhaitons que l'Algérie y soit pour beaucoup.

Que le salut, la clémence et les bénédictions de Dieu, vous accompagnent.

Le Grara, (chez Djahlane Ahmed à Nawadir)
Le 5 Janvier 1966

" Nous avons posé pied dans une vallée prospère et généreuse à Hat Wata en plein désert hostile.

Que Dieu récompense Ouargla pour nous car, il n'y a pas de meilleur pays.

C'est un paradis terrestre, une porte ouverte sur la Mecque et, sur l'or du Ghana ".

Il passa ensuite à l'évocation de l'origine et de la fin du monde et termina sur un très beau serment

Il y a plusieurs manuscrits dans les bibliothèques de Djerba et du M'Zab.

Il rapporte que Abou Yacoub a écrit un livre d'histoire (54) mais je ne me suis pas assuré du fait, il se peut qu'en cherchant bien, on finisse par le retrouver. Cependant Abou Yacoub, le range dans ses écrits parmi les personnalités qui ont porté haut l'étendard du savoir.

Je dois signaler que dans ce bref exposé, j'ai fait exprès de ne citer que les plus célèbres parmi les savants de ce pays durant la période définie dans le titre. Il y en a beaucoup d'autres qui les valent sur les plans religieux et scientifique. En dépit du manque de temps, il faut en citer au moins deux qui ont eu le mérite de sauvegarder ces œuvres, de les diffuser en écrivant les biographies de ces savants, je veux citer Abou Zakaria Yahya, Al-Warglani l'auteur du Siyar (55), le cheikh Aboul 'Abbas Ahmed Ibn Saïd Al-Warglani l'auteur de Tabaqat (56). Le premier est originaire de Ouargla où il a grandi le second, quoique de Hama du sud de la Tunisie, a étudié à Ouargla ainsi que son père et son grand-père, il appartient donc à ce mouvement scientifique.

Voici quelques remarques pour terminer :

— Ouargla et ses environs, en tant que grand centre commercial et comme étape vitale pour les caravanes qui y viennent de partout, la sécurité relative dont elle jouit en on fait un refuge pour les savants ibadites à la recherche d'une situation stable, d'un centre pour le déploiement de leurs activités et pour leur tentative de faire revivre et diffuser la science.

— Malgré quelques indices rapportés par les livres de biographie disant que Ouargla n'était pas toute accueillante et ne prenait pas ses responsabilités, il n'y a pas une période, dans la région comme à Ouargla même sans savants et où le mouvement scientifique n'a pas été favorisé et soutenu financièrement.

— Ouargla était à l'origine d'un rayonnement scientifique qui parvint jusqu'au Ghana, au Djebel Nafoussa, aux montagnes des Beni Mosaab ; on trouve cela dans les épitus et les réponses qui parvenaient aux savants de Ouargla lesquels leurs répondaient en écrivant sur les mêmes épitres ; l'histoire nous a conservé un certain nombre de ces épitres et responsa et œuvres.

— Ouargla, cependant en sa qualité de centre commercial important ouvert à toutes les transactions, accueillant tous les aventuriers cherchant fortune et

(54) Bakli Abderrahmane : préface aux TABAQAT, page ya, idem. Biographie de Abou Lyaqdane Ibrahim (manuscrit).

(55) Cf. sa biographie des TABAQAT de Ad-Darguini, p. 448 et suivantes et Ach-Chammakhi.

(56) Cf. sa biographie dans la préface du cheikh Bakli Abderrahmane, p. ya à N.

plir la prière (49). Darguini rapporte : " Un pieux homme m'a raconté : j'ai trouvé chez nous à Kastilia, au Souf, à Aria et à Ouargla, sept ou huit manuscrits du "Kitab al 'adl wal insaf" (le livre de l'équité) tous écrits de sa propre main" (50).

Quant aux ouvrages, il a composé un sur l'exégèse, respectable mais hélas perdu. Al-Barari en a parlé dans des termes élogieux. Il dit en effet : C'est un ouvrage extraordinaire, j'ai vu un exemplaire de cet ouvrage et je n'en ai jamais vu d'aussi grand, à vue d'œil il faisait plus de 700 feuillets, on y trouve le commentaire de la Fatiha (la liminaire), la famille de Imrane — il devait y avoir 8 volumes analogues pour commentaire du Coran. Jamais je n'ai vu plus éloquant, plus satisfaisant sur le plan de la langue, de la clarté dans le jugement de la lecture, du hapax, de l'abrogeant et de l'abrogé dans toutes les sciences en un mot. Al-Barari rapporte : " Il y avait de nombreuses sciences " (51).

En science du hadith, il refit le musnad, celui de Rabia Ibn Itabib, selon un agencement, qui est en usage aujourd'hui. Il écrivit le traité pour faire connaître les hommes du mesnad, mais ce traité a été perdu.

Il a écrit également un ouvrage estimable, sur les fondements du droit intitulé " Kitab al 'adl wal insaf " en 3 volumes. Je viens d'achever d'en préparer l'édition critique. C'est un des meilleurs livres en la matière non seulement parmi les livres ibadites, mais de l'Islam.

Il a écrit aussi le " Kitab ad dallil li ahli al 'ouqoul " (la preuve pour des gens doués de raison) traitant de fondements de la religion, de théologie, de logique et de philosophie, en 3 volumes. Lithographié en Egypte, on en a plusieurs manuscrits, certains des contemporains s'y sont intéressés et en ont traduit des chapitres.

Il a laissé beaucoup de responsa dans diverses disciplines. Ach-Chammakhi a dit : " Je n'arrive pas à faire le bilan de ses responsa tellement il y en a " (52).

Il a laissé aussi un recueil de poèmes (53) dont on connaît aujourd'hui deux, un qui rime en " b " prononcé à la mort de son maitre Ayyoub Ibn Ismaïl et qui se trouve dans les Tabaqat de Darguini, un deuxième qui commence ainsi :

" O excusez-moi auprès des belles voilées, aux grands yeux noirs.

Aux lèvres douces, auprès des belles naives innocentes aux tresses noires ".

C'est un long poème qui compte autant de vers qu'il y a de jours dans l'année, il l'avait commencé par un délicat prélude amoureux puis évoqué son départ de Ouargla :

" Nous avons quitté le territoire de Ouargla en direction de la Mecque en compagnie de jeunes sincères, dignes représentants de leurs tribus ".

Il a décrit son itinéraire, étape par étape, jusqu'à l'arrivée, parlé du rituel pélerinage et de même pour le retour jusqu'à l'arrivée à Ouargla. Il dit notamment :

(49) Opus : 492.
(50) Opus : 2, 492.
(51) D'après Al lama al mardiya.
(52) Ach-Chammakhi : Suyar : Biographie de A. Yakoub. p. 443 et suivantes.
(53) Ad-Darguini : 2, 460.

Aïssa Ibn Ahmed a rapporté que Abou Abderrahmane al Karthi a écrit aux professeurs de Ouargla pour leur demander conseil, seul Abou Ammar se sentit de taille à répondre à toutes ses questions. Darguini a rapporté les questions et les réponses de Abou Ammar dans les Tabaqat (45).

Un dénommé Abdelouahab Ibn Mohamed Ibn Ghalib Ibn Noumeyr Al Ansari lui a écrit du Ghana pour lui poser des questions au sujet de la théologie dogmatique mais, il mourut entre temps et ce fut Abou Yacoub qui répondit. Cette réponse est incluse dans le " Kitab ad-dallil wal bourhane (47) (les preuves).

3°) Abou Yacoub Youssouf Ibn Khalfoune Al-Mizati, c'était un homme très versé dans la connaissance des principes fondamentaux et des principes secondaires de la religion, dans les questions concernant les points d'accord et de désaccord en matière religieuse, il a enseigné et laissé des ouvrages dont deux existent encore et portent l'un sur le droit comparé, un excellent traité dans lequel il a répondu d'une manière détaillée sur les points de désaccord. Il y a rapporté les différentes doctrines soutenues par les savants des différentes métropoles et par les différents imams évoquant leurs arguments d'une manière qui témoigne de son vaste savoir et de la sûreté de sa méthode. Ce traité a paru dans une édition critique en 1972.

L'autre traité comporte des sermons et des avertissements juridiques importants qu'il a envoyés au Djebel Nafoussa ; mais ce traité a été perdu hélas !

Son ouverture d'esprit à la science, ses nombreuses lectures dans le domaine des divergences lui a attiré beaucoup de difficultés auprès de ses contemporains, mais la voie qu'il a adopté méritait d'être connue et adoptée parce qu'elle dépassait les formes traditionnelles figées, touchait les principes premiers, ne s'en tenait pas aux principes abstraits mais discutait des arguments développés dans les sources premières. C'est cet aspect de tolérence qui fut suivi par la suite, par les savants ibadites, au Maghrib qui ont écrit sur ces questions.

4°) Mais c'est Abou Yacoub Youssouf Ibn Brahim Ibn Mennad Ad-Drarni (mort en 570 de l'Hégire) qui est la personnalité la plus éminente. Etudie à Ouargla, d'abord auprès de son maitre Abou Ismaïl Ayyoubi Ibn Ismaïl et de ceux de sa génération, il voyage à Cordoue, en Andalousie alors qu'elle était au sommet de son expansion scientifique. Darguini rapporte à son sujet : " Il toucha à tout il avait son mot à dire en science coranique, en rhétorique, en traditions, en histoire, en biographies, dans les disciplines spéculatives et théologiques, en sciences religieuses (rituelles et statuts), il connaissait des règles de successions et n'ïgnorait pas les sciences des anciens ". Mieux que ça, dit-il, " il connaissait un bout en astronomie tout en respectant la tradition (48). Il fit de nombreux voyages et eut des aventures dans les coins ignorés d'Afrique, il en parle dans ses ouvrages dans le " Kitab ad-dallil wal bourhane ".

Abou Yacoub, se fixa à Ouargla où il se consacra à l'enseignement et à la composition d'ouvrages. On rapporte qu'il y resta sept ans durant lesquels il ne quitta sa demeure, occupé qu'il était à recopier et à composer, que pour accom

(45) Idem 2, 488, 489.
(46) Al-Wagalani, ad dalil wal bourhane — manuscrit — bibliothèque du cheikh Bebanou à Beni Izgène pages 23 à 30.
(47) Ech-Chemmakhi : Suyar 443, Ad-Darguini TABAKAT. 2 : 491.
(48) Ad-Darguini : 2, 491.

Le poème, fort long a été rapporté entièrement dans le Tabaqat (39).

J'arriverais à consacrer cette dernière partie aux quatres personnalités qui se sont illustrés à Ouargla et dans ses environs :

1°) Abou Amr 'Othmane Ibn Khalifa Al-Mirghani As-Soufi qui, quoique originaire du Souf, a fait ses études à Ouargla et du Souf a participé à son mouvement scientifique. Ach-Chammakhi rapporte : " C'était un imam surtout en science " (40). Il a rapporté aussi : " Entre autres ouvrages il a écrit un, intéressant sous forme de questions dans lesquels il a montré de quoi il était capable (41).

Ach-Chammakhi rapporte quelques autres remarques au sujet de ce livre qui donne une idée de ce que les gens de cette époque écrivaient dans ces régions ; en voici un à titre d'exemple : " C'est Abou Moussa Aïssa Ibn Aïssa An-Nafoussi qui a écrit le kitab as-soualât qu'on a rapporté d'après Abou Amr 'Othmane Ibn Khalifa, sous la dictée du Cheikh Abou Yacoub Youssouf Ibn Mohamed, le livre a été exposé devant le Cheikh Abou Salih Nouh Ibn Cheikh Brahim et le Cheikh Al-Moïzz Ibn Guenad (un des maîtres de la théologie de la langue et du droit) " (42).

Ce livre fait partie des recherches théologiques et linguistiques ; c'est un ouvrage très fouillé dont il existe de nombreux manuscrits au Djebel Nafoussa, à Djerba, et au M'Zab. Il a été commenté par la suite. Ach-Chammakhi rapporte aussi : " Il a laissé d'autres ouvrages " faisant allusion au kitab as-souàlât, dont un bref traité sur les actes ibadites imprimé en Algérie, parmi d'autres traités ne portant pas de date.

2°) Abou Ammar Al-Kafi Ibn Abi Yacoub Al Qanawati qui a étudié à Ouargla, puis est allé à Tunis où il a séjourné plusieurs années, étudiant la langue, la logique, et n'en revint que rassasié de science. Il s'installa entre Ouargla et les montagnes des Beni Mesaab, il a rédigé des réponses, écrit des lettres et des ouvrages importants dont un condensé " Kitab al-Moudjazi fi maqalât al Islamiyine wa Ghayrihim "; en deux tomes un ouvrage intitulé " Charh al djahâlat " bien composé, c'est une recherche dans laquelle il a expliqué certaines questions de théologie négligées par le Cheikh Tabghourine Ibn Aïssa, fi kitab al djahalât. Un autre résumé sur les problèmes des successions, c'est enfin lui qui a établi la chaîne des garanties à la manière ibadite, en les classant par génération de cinquante années jusqu'au départ du Prophète (que le salut de Dieu soit sur lui), de la Mecque.

Le cheikh Darguini l'a inclus au début du premier tome des Tabaqat (43). Abou Ammar était (que Dieu ait son âme) généreux, il s'était entièrement consacré à la science et à ses ouvrages et comme le dit de lui Darguini il était à l'origine du mouvement et dont il prit la tête à Ouargla par son enseignement ses réponses aux consultations juridiques et les solutions qu'il apporta aux difficultés qu'on lui présentait (44).

---

(39) Tabaqat : 2, p. 262 à 269.
(40) Ech-Chammakhi : suyar 40.
(41) Opus : 441.
(42) Opus cité : 524 ; 529.
(43) Tabaqat (éd. de Talloy Ibrahim) I, 6 à 10.
(44) Tabaqat - Ad-Darguini, 2, 485.

Le Cheikh Abou Souleimane Daoud Ibn Abi Youssouf y a laissé (à Ouargla) un groupe de disciples qui ont assuré la relève scientifique et Ouargla put ainsi reprendre sa place. Darguini rapporte que Abou Rabia Souleimane Ibn Ikhlef a dit : " Les gens ont plus perdue de vue les questions concernant ce qui est licite et ce qui ne l'est pas que celles traitant de théologie et de polémique. Je ne connais personne aujourd'hui qui soit en mesure d'enseigner les questions secondaires en dehors des élèves de Abou Souleimane Daoud Ibn Abi Youssouf ils sont tout un groupe à Ouargla (38).

Par la suite il y eut un grand savant à Ouargla, grâce à son savoir, sa richesse, sa générosité, cet homme, Abou Ismaïl Ayyoub Ibn Ismaïl a ressuscité ce rôle qu'on a vu joué par Ouargla du temps de Abou Salih Guenoun Ibn Al Meriane. Il enseignait à Ouargla ; les étudiants venaient l'y trouver de partout. Il était très bon envers eux, les prenant en charge et leur consacrait tout son temps.

Parmi les disciples les plus distingués, figurent Abou Saïd Souleimane Ibn Ali Darguini, le grand-père de l'auteur des Tabaqat Abou Amr Othmane Ibn Khalifa As-Soufi, Abou Ammar Abdelkafi Ibn Abi Yacoub At-Tanaouti et Abou Yacoub Youssouf Ibn Ibrahim Ibn Menad Drarati Al-Warglani. Tous ces hommes remarquables appartiennent à une génération de sommité qui n'ont jamais été surpassés. Ils ont tous enrichi la bibliothèque islamique ibadite en particulier.

Quelque soit la contribution de ces hommes remarquables au mouvement scientifique qui a porté Ouargla au premier rang, le mérite revient au premier chef à leur maitre Abou Ismaïl Ayyoub Ibn Ismaïl. Le mouvement s'était épanoui grâce à sa bienveillance, à ses conseils et à ses bontés à l'égard des étudiants.

Les livres de biographie rappellent combien ses étudiants lui étaient attachés, à preuve ce poème de Abou Yacoub de Ouargla prononcé lors de la mort du Cheikh. Ces vers suffiront à le montrer :

1) - Les cieux élevés, les étoiles, le désert et les collines pleurent de tristesse.

2) - Les mosquées, abandonnées se sentent esseulées et les chamelles le regrettent.

3) - Il avait pour devise sincère la piété ; avec les uns il faisait appel à la crainte avec les autres à la séduction.

Il y dit aussi :

" O disparu ! Nos regrets ne sauraient prendre fin ; mais reviendra-t-il jamais ?

O disparu enfui en terre couvert de pierres plates et de briques en pisé. Quand même on ne te voit ni ne t'entend plus, nos cœurs te voient et t'entendent.

Il est temps que tu répondes à celui qui demande et prie. Quelle réponse aurais-tu faite ?

Quel mal aurais-tu de lui répondre ? Alors que tu es si proche ?"

(38) Ad-Darguini : Tabaqat : 2, 459.

tous ses ouvrages excepté un qui était resté en brouillon à Adjlou. Comme les autres maîtres souhaitaient les avoir, à Ifrane village des environs de Ouargla son fils les leur exposa : il s'agit du Cheikh Ismaïl Ouhammou Ibn Moïzz, et de Ayyoub Ibn Ismaïl, de Daoud Ibn Waslane et de Abou Souleimane az-Zawaghi (33).

Il s'intéressait beaucoup à la science et aux livres, et c'est pour cela qu'il est allé au Djebel Nafoussa consulter la bibliothèque de " Wallem " le célèbre palais qui se trouve au sommet d'une haute montagne donnant sur la ville de Chrousse à l'est. Il resta dans la bibloithèque quatre mois durant lesquels il ne dormait qu'entre l'appel à la prière de l'aube jusqu'au lever du soleil. Il raconte : " Durant ce temps-là, j'ai compulsé les livres concernant la doctrine qui y étaient arrivés d'Orient, il y avait au total 33.000 volumes, j'en choisis les plus intéressants et les lus sur le champ " (34).

Parmi les maitres de cette génération qui ont participé au mouvement scientifique Tayfour Ibn Aïssa Al-Malchouti qui était tel que le décrit Achammakhi : " Homme très estimé, d'un très grand savoir et mettant son savoir en pratique " et encore " il a composé des ouvrages sur le creds qui prouvent que c'était un grand homme " (35). Parmi les ouvrages, citons le " Kitab al-djahalat " petit traité de théologie dogmatique commenté par Abou Ammar Abdalkafi en un volume de moyenne grandeur. Dans un autre ouvrage de lui, il a traité des problèmes de creds en discutant les dix principes fondamentaux à savoir l'unicité, le déterminisme, la justice, la position intermédiaire, la mission de celle-ci, l'allégance et l'adversité, le commandement et l'interdiction, les noms et les attributs, les noms et les statuts, il discuta aussi à la suite de ces questions de la vision de l'intercession du sirat, de la balance, de la tourmente dans la tourbe. C'est un excellent ouvrage, bien fait ; les chapitres y sont bien répartis, aisé à lire ; il est muni d'un apparat critique scientifique, traduit en collaboration avec le docteur Trover Le Gassik professeur de littérature moderne à l'université de Michigan et sur le point d'être édité.

Le Cheikh Abdallah As-Slimi, un savant originaire de Oman que Tayfour Ibn Aïssa a écrit un traité sur les " preuves et la démonstration " (al adilla wal bayane) traitant des fondements du droit (36), mais je ne l'ai pas vu ni lu.

Le mouvement scientifique a connu, à cette époque et en ce pays une forme de collaboration qui n'est pas sans rappeler les encyclopédies d'aujourd'hui et dans lesquelles chaque auteur écrit selon sa spécialité. " Le kitab ad diwan " est un exemple du genre écrit par huit maîtres en 25 tomes (37).

Le diwan des maitres écrit par des savants ibadites dans la grotte de Amedjmah à Djerba ressemble au premier.

Tous ces volumes ont été exposés a un comité de 3 maitres : Aboul Abbas Ahmed Ibn Mohamed Ibn Bakr et Abou Rabia et Abou Mohamed Maken Ibn Al-Khayr.

Le Cheikh Maken avait habité Ouargla et y avait séjourné poursuivant les efforts des prédécesseurs à revivifier le mouvement scientifique à Ouargla...

(33) Idem
(34) Ouvrage cité ; 445.
(35) Ach-Chammakhi, as-suyar, 432.
(36) Assalimi : Al lumia al murdiya fi achi'at al ibadia - 85.
(37) Ad-Darguini : 2, 256, Ach-Chammakhi, 431.

grammaire puis ils allaient auprès de Abou Abdillah Ibn Bakr qui leur enseignait les fondements de la religion et du droit, ou les comparait à trois menuisiers : " Le premier savait couper le bois, le deuxième savait le fendre et le scier et le troisième savait monter les planches et les clouer pour en faire un outil utile " (25).

Le Cheikh, au printemps, assurait son cours chez les Béni Mosad qu'il réussit à attirer à son école, depuis ce jour. Les Béni Mosad témoignent de ses efforts fructueux par la sauvegarde des valeurs éternelles de l'Islam. Il répartissait des étudiants sur les différentes régions d'Afrique pour l'enseignement et la direction spirituelle (26). Il voyait de la sorte étendre son mouvement à toutes les cités ibadites entre Djerba et Ouargla et sauvegarder les idéaux de l'Islam grâce à son talent et à son bon sens.

Il encourageait ses étudiants à lire et à écrire les livres ; de ce fait un grand nombre d'entre eux se sont distingués et ont laissé de nombreux ouvrages scientifiques de grande valeur suivant en cela leur maître Abou Abdillah qui avait montré la voie à suivre. Achammakhi rapporte : " Il a laissé de nombreux ouvrages dans toutes les disciplines " (27). Parmi les savants qui ont participé au mouvement du Cheikh Abou Rabia, Souleimane Ibn Yekhlef Al-Mizani mort en 471 de l'hégire (28). Il avait d'abord suivi l'enseignement de Abou Abdillah Mohamed Ibn Abdallah Ibn Bakr, ensuite il est allé à Djerba parachever ses connaissances sous la direction de Abou Mohamed Wyslane Ibn Abou Salih, de Zakaria et de Younous. C'est à Djerba qu'il ouvrit un cours sur les fondements de la religion. De partout les étudiants affluèrent. Il composa un ouvrage très précieux et très utile en deux tomes sur les articles de la foi qu'il intitule "Chefs d'œuvres enfouis et perles bien gardées " dont on a quelques manuscrits (Attuhaf al makhzouna wal djawahir al masouna) (29).

Un autre savant Aboul Abbas Ahmed Ibn Mohamed Ibn Bakr mort en 504 de l'hégire (30), il avait suivit l'enseignement de son père et de Abou Rabia Souleimane Ibn Ikhlef, et écrit sur plus d'un sujet dont un ouvrage intitulé " Al Djamiaâ fil fourou' ". Il était connu sous le nom de Abou Massalah, écrit à la demande de Abou Abdillah Mohamed An-Nafoussi al-Abiyalani, en deux volumes imprimés à Zanzibar, un ouvrage sur le partage " Kitab al quisma " ; un ouvrage en plusieurs volumes intitulé " Ousoul al-aradine " ; un ouvrage intitulé " Tabiyne af'al al'ibad " qui traite d'éthique sur des bases islamiques pures ; en trois volumes un ouvrage intitulé " Massa al attawhid " bref traité sur le minimum de connaissances à avoir (sur le point d'être édité).

Un ouvrage intitulé " Kitab ad dima " ; ou ouvrage intitulé " Kitab al alouah ", tous ces ouvrages se trouvent parmi les manuscrits en Egypte, à Nafoussa, à Djerba et dans le M'Zab (31). Darguini rapporte que lorsqu'il sentit sa fin prochaine approchait, il confia sa science aux livres, il en composa vingt cinq, le vingt sixième était resté en brouillon (32). Selon d'autres versions il aurait exposé

---

(25) Al-Wasiyani : Suyar (manuscrit) p. 32 ; Ad-Darguini : II, 398 Ach-Chammakhi. As-suyar : 517.
(26) Ad-Darguini : I, 186-187, wasyani : suyar p. 32.
(27) Ach-Chammakhi : Suyar p. 384.
(28) Ad-Darguini : Ouvrage cité : 2, 428.
(29) Cf. la description que nous avions faites des manuscrits ibadites.
(30) Ad-Darguini : 2, p. 446, sa biographic pages 442-446.
(31) Cf. notre article qui décrit ces manuscrits
(32) Ad-Darguini : Tabaqat : 2, 444.

Le Cheikh Abou Abdillah Mohamed Ibn Abdillah Ibn Bakr est né vers 345 de l'hégire d'après le cheikh Bakli Abderrahmane (19), il est mort en 440 de la même ère, toutes les sources sont d'accord là-dessus (20). A Baïtine Ibsilah (Bouleydat Amar, maintenant) où il fut enterré, le Cheikh est originaire de Farsata, dans la montagne de Nafoussa en Lybie. Il fit plusieurs voyages à travers le pays ibadite entre la Lybie et le Maghrib, suivit l'enseignement de nombreux maîtres, les plus importants sans doute furent Abou Nouh Saïd, Ibn Zenghil et Abou Zakaria Ibn Abou Sour. Darguini rapporte que : " L'un et l'autre prenait soin de lui et avaient bonne opinion de lui " (21). Il alla à Kairouan où il demeura un certain temps pour étudier la langue et la grammaire.

Après avoir bien étudié la situation dans les différents endroits qu'il a connus sur ordre et recommandation de son maître il décida de s'établir à Maghrawat Righ (Waglana aujourd'hui). Il dit : " Il y a ici des gens sensibles, j'espère que l'Islam trouvera place parmi eux est qu'ils accepteront notre enseignement et qu'ils seront dignes des biens qu'il leur apporte " (22). Il organisa un cercle d'enseignement à Ariche en 409 puis à Tinili où il fixa définitivement les règles du célibat. Le cheikh Bakli Abderrahmane rapporte que Abou Abdillah Mohamed Ibn Bakr n'est pas le premier à avoir organisé ce système, il a mis en forme et, en a rédigé les règles. C'est pourquoi, on le lui attribue. En fait ce fut le résultat de beaucoup de discussions entre lui et son maître Abou Zakaria Ibn Abi Sour.

Ces propos sont confirmés par Darguini dans ses Tabaqat : " La tenue du cercle béni fut le résultat de la collaboration la plus généreuse entre les deux branches, celle de Massoura et de Bakr, collaboration qui prit la forme de questions et de réponses et qui a donné de si brillants résultats " (23).

Nous pouvons affirmer que la réalisation la plus importante dans le cadre du mouvement scientifique dans ces régions et à ce moment-là fin du IV^e^ siècle, début du V^e^ siècle, fut la mise en place de ce plan d'organisation de la Halka, la fixation de ces principes moraux et de sa discipline dans les sociétés ibadites qui ont conduit au renforcement du mouvement scientifique sur des bases solides et ordonnées.

J'aurais voulu trouver plus de place pour évoquer ici quelques uns de ces principes et de ces règles touchant le système d'études, la vie religieuse du cercle, sa conduite. Qu'il me suffise de dire ici qu'elle comprenait l'enseignement, la formation, l'étude, la direction spirituelle etc... les détails de ce système sont rapportés par les tabaqat de Darguini. On les trouve également dans "Al Djawahir" d'Al-Barari ; des contemporains l'ont étudiés dans le détail (24).

Trois maîtres s'occupaient de l'enseignement, de la préparation des étudiants dans cette phase : Abou Yacoub, un maître de Nafoussa recevait les débutants auxquels il enseignait la vie exemplaire des saints ; ils allaient ensuite auprès de Mohamed Ibn Sour qui leur enseignait la lecture coranique, la langue et la

(19) D'après les notes prises chez lui le 30-12-1976.
(20) Abou Rabia Al-Wasiyani : Suyar (manuscrit page 32 et ad-Darguini.
(21) Ad-Darguini : Tabaqat : I, p. 161.
(22) Ad-Darguini : Tabaqat : I. p. 161.
(23) Ad-Darguini : I, 170.
(24) Cf : Article Halka in Encyclopédie de l'Islam, 2ème édition.

participaient aux débats portant sur ses affaires de ce monde et de l'autre, on cherchait à s'emparer de ses vertus à lui ". Ad-Darguini rapporte : " Abou Nouh est resté ainsi à Ouargla longtemps ".

Il semble que l'on doivent beaucoup à la personnalité de Abou Salih dans l'épanouissement du mouvement scientifique, dans l'organisation de la vie religieuse et dans la doctrine morale à Ouargla ; car il avait beaucoup d'influence, était prodigue de son argent pour la science, les maîtres et les étudiants, il y eut d'autres personnes riches et gens de mérite tel le Cheikh Abou Amr Al-Kanawati (16). Mais à la mort de Abou Salih, un des principaux piliers de ce mouvement a été ébranlé. On vit des exigences sur le plan religieux, dont les principes ont été pris à la légère et dont les maîtres et les imams ont été attaqués. Témoin Abou Nouh Saïd Ibn Zenghil qui après s'être absenté de Ouargla et avoir parcouru un certain nombre de pays africains, revient à Ouargla l'imaginant accueillante telle qu'il l'avait laissée, est surpris de "retrouver une ville économique et différente de ce qu'elle était du temps d'Abou Salih Guenoun " (17).

Abou Nouh a résumé ces principaux griefs :

1°) Extention de la prostitution.

2°) " Il en est parmi vous qui répudient leurs escalves et qui ne subviennent plus à leurs besoins ceux-ci mettent à chaparder. C'est comme si l'un d'entre vous était voleur, alors qu'il est une prière ".

3°) " Il s'est manifesté parmi vous des divisions de luttes partisanes certains disent cette mosquée est à nous, celle-là à vous, d'autres disent ce citadin est de chez nous, celui-là de chez vous ; ce juif à nous, celui-là à vous " (18).

Abou Nouh comprit telle situation n'était pas propice aux activités scientifiques religieuses strictes. Après avoir fait tant de serment en pure perte ,il finit par quitter Ouargla définitivement.

Et c'est ainsi que, pour une courte période, Ouargla n'a pas réussi à entretenir l'activité scientifique ibadite dont le flambeau alla se fixer ailleurs. Un des grands savants du IV^e^ siècle Abou Abdillah Mohamed Ibn Abdillah Ibn Bakr Al-Fourstat assura la transition entre les deux étapes de la pensée scientifique ibadite maghribine. En effet, si les efforts de ceux qui l'ont précédé ont été d'ordre militaire, politique, et tendant à la reconstitution de l'Etat ibadite après la ruine de l'Etat obeidite comme le furent ceux de Abou Yazid Makhlad Ibn Kayd et à sa suite ceux de Abou Khazar Yaghla Ibn Zoltane et de son compagnon et disciple Abou Nouh Ibn Zenghil. Abou Abdillah Mohamed Ibn Bakr lui, s'est consacré tout entier à la formation d'un mouvement scientifique et pédagogique très bien organisé, afin de sauvegarder la structure sociale religieuse et scientifique des sociétés ibadites après avoir constaté le destin tragique des tentations politiques antérieures.

(15) Opus cité : I, 145.
(16) Opus cité : I, 145.
(17) Ad-Darguini : I, 154.
(18) Opus cité : I, 155.

Al-Maryame est allé accompagné d'un grand nombre d'habitants de Ouargla, au devant de lui et de ses compagnons. Ils l'honorèrent et s'occupèrent bien de lui.

Cependant si les conditions pour l'institution d'un nouvel Etat n'étaient pas réunies après l'arrivée du Cheikh Abou Youssouf Yacoub Ibn Aflah Ibn Abdelwahab sa contribution scientifique fut par contre importante. Abou Youssouf fut un grand savant comme le furent les membres de sa famille. Ad-Darguini rapporte : " Yacoub connaissait toutes sortes de sciences on dit que quelqu'un lui avait demandé un jour : connais-tu le Coran par cœur ? Et qu'il avait répondu : Dieu me garde d'ignorer quoique que ce soit de ce qui a été révélé à Moïse et à Jésus (que le salut de Dieu soit sur eux) ! Que dire alors du livre révélé à notre Prophète Mohammed (que la prière et le salut de Dieu soient sur lui) " (11).

Abou Yacoub séjourna à Ouargla jusqu'à ce que Dieu l'ait rappelé à lui. Son fils Souleimane se fit remarquer après lui mais il adopta sur un certain nombre de questions des positions différentes de celles qui étaient connues. Les autres maîtres firent objections puis se détournèrent de lui, ce qui l'empêche d'avoir une réelle influence dans le mouvement scientifique (12).

La deuxième personnalité après Yacoub Ibn Aflah fut Cheikh Abou Nour Saïd Ibn Zenghil qui prit la tête du mouvement scientifique ibadite. Il avait prit part à la révolte contre le sultan obeydite et lorsque Abou Tamim décida de s'installer en Egypte, il emmena avec lui Abou Khazar Yafla Ibn Zoltan afin qu'aucune sédition ne se produise derrière lui, il demanda la même chose à Abou Nouh qui fit semblant d'être malade et resta à l'arrière puis se sauva discrétement en direction de Ouargla avec les siens de peur d'être ammener en Egypte.

Quand la nouvelle de son arrivée aux portes de Ouargla parvint et qu'on apporta à Abou Salih Guenoun, il lui fit porter ce message : " Ne crains rien, tu as échappé à ces hommes injustes ". Quand il arriva à Ouargla le Cheikh l'installa confortablement à Ouargla ainsi que les siens ; ils se montrèrent même très respectueux à son égard et l'honorèrent tout le long de son séjour (13).

C'est cette atmosphère d'hospitalité généreuse et paisible à Ouargla qui attira l'attention de ces savants et de ses chefs qui les y fixa et qui y encouragea le mouvement scientifique.

Abou Salih Guenoun fit un accueil chaleureux au Cheikh Abou Nouh Saïd Ibn Zenghil, lui alloua beaucoup de biens, lui fournit tout l'argent dont il avait besoin, et lui fit porter chaque jour un repas le midi et un autre le soir. En un mot, il fit tout pour qu'il se fixe à Ouargla et en fasse un nouveau centre pour son activité scientifique (14).

Le Cheikh Abou Nouh assura ses cours à la mosquée du Cheikh Guenoun : " L'assemblée des gens de Ouargla se retrouvait à la mosquée du Cheikh Guenoun; certains tiraient profit de son savoir, d'autres de ses bénédictions, d'autres encore

(11) Ad-Darguini : Opus cité - 105.
(12) Cf. les détails à ce sujet dans TABAGAT ad-Darguini I, 108
(13) Opus cité : I, 144.
(14) Opus cité : I, 145.

feront à ma place lors de ce séminaire. Mon intention est d'évoquer le rôle de Ouargla et de ses environs dans la poursuite de cette activité scientifique après la chute des Rostomides car de fait c'est elle qui a repris le flambeau après le déclin de Tahert.

La prospérité de Ouargla comme important centre commercial, et comme étape pour les caravanes se dirigeant vers le Sud, l'Est, l'Ouest et le Nord et aussi à cause de la sécurité relative que son importance, son isolement, la puissance de ses habitants, cependant, l'étendue des agglomérations environnantes rendaient nécessaires. Tous ces éléments faisaient d'elle un endroit idéal digne de remplacer Tahert.

L'auteur du " Ghosne al-ban fi tarikh Ouarjalane " (le rameau du pin, histoire de Ouargla) rapporte : " J'ai trouvé dans de vieilles feuilles sur l'histoire de Ouargla qu'entre Hassi Baghla, Ifrane, Ouargla, la montagne d'Al-Ubbad et Sadrata cent vingt cinq villages tous habités par les Ibadites " (5).

Idrissi déclare : " C'est (Ouargla) une ville habitée par les tribus aisées et des commerçants riches qui vont jusqu'au Soudan, au Ghana et au Nikara Hagara d'où ils extraient de l'or pour leur monnaie qu'ils frappent au nom de leur pays, ce sont des Ibadites et Wahabites.

Ce qui prouve que Ouargla était puissante c'est le fait qu'ils aient proposé à Yacoub Ibn Aflah quand il s'est réfugié chez eux de la porter au pouvoir et, de prendre en charge l'imamat et de fonder un nouvel Etat à Ouargla celui-ci s'était excusé sachant que les conditions requises n'étaient pas toutes réunies malgré les dispositions des habitants de Ouargla. En apparence le fait que Yacoub Ibn Aflah se soit fixé à Ouargla (6) marque la date de l'essor du mouvement scientifique mais n'en est pas l'origine car cette région grouillait de savants.

Une des principales figures de Ouargla, le cheikh Abou Youssouf Yacoub Ibn Youssouf Ibn Souleïmane As-Sadrati, connu sous le nom de Tarfi. Il avait étudié auprès des imams à Tahert (7). Ad-Darguini l'a décrit en ces termes : " C'est l'homme des deux djihad le grand et le petit et des deux efforts, la prière et l'étude " (8). Quant à Chammakhe, il a dit : " C'était un juge et une sommité dans le domaine des consultations juridiques à Ouargla " (9).

Il est l'origine d'un mouvement scientifique non négligeable à Ouargla. On compte parmi ses plus brillants élèves et disciples le Cheikh Abou Salih Guenoun Ibn Al-Maryame (10) qui prit la relève. C'était un savant plein de scrupules, bon et énergique, le plus illustre à Ouargla. C'est auprès de lui que se sont réfugiés les chefs ibadites en provenance de la région de Tahert et de Hamma. Il les prit en charge et leur offrit de telles conditions de stabilité. et d'études que le mouvement scientifique y devint prospère. Ceci s'était produit lors de l'arrivée d'Abou Youssouf Yacoub Ibn Aflah au début quand Al-Hidjani l'obligea à se réfugier à Ouargla. Une fois arrivé, Abou Salih Guenoun Ibn

---

(5) Extrait du livre cité par le cheikh Salim Yaâkoub Al Bjabri.
(6) Ach Chammakhi : Suyar - 365.
(7) Al Wasyani : as suyar p. 47-48 - ad-Darguini, Tabaqat (labagat tallay) ; 331 Ach-Chammakhi : as suyar 228.
(8) Ad Darguini : Opus cité. 331.
(9) Ach-Chammakhi : Opus cité. 289.
(10) Cf. sa biographie dans

Ouargla a relancé ce mouvement sous une forme nouvelle et lui a imprévu un élan vigoureux lui permettant de sauvegarder sa pureté et sa vitalité. C'est de Ouargla et de son mouvement que la civilisation et les activités scientifiques sont parties chez les Béni-Mos'ad donnant naissance aux Ksours du M'Zab qui ont sauvegardé à leur tour ce vestige laissé par la civilisation et la science de l'Etat rostomide d'abord, maintenu par la suite et pour une longue période par la splendide capitale du désert, Ouargla.

La doctrine ibadite est née, comme les autres doctrines islamiques sous forme de mouvement scientifique et pédagogique à Bassora au sud de l'Irak. La personnalité la plus remarquable de ce mouvement fût le célèbre successeur Abou Chaâtha Djabir Ibn Zayd mort en 93 de l'Hégire, après lui ce fut Mouslim Ibn Abi Karima Abou Ubayda mort sous le règne du calif abbasside Abou Djaâfar Al-Mansour. C'est du temps de Abou Ubayda que le mouvement pris une forme très organisée, celle de cénacles scientifiques se réunissant autour de savants connus et attirant toutes sortes de gens aussi bien des étudiants, des personnes en quête de piètè que des savants éminents qui étudiaient les problèmes posés à la communauté et discutaient de questions scientifiques et des affaires de la communauté dans son ensemble (1). Abderrahmane Ibn Rostom, le fondateur de l'Etat rostomide avait suivi les cénacles instituées par les Ibadites dans les différents centres urbains situés entre Basra et Kairouan. Il avait été l'un des disciples directs de Abou Mouslim. Ces disciples avaient transférés un système de cénacles scientifiques au Maghrib, du Fezzane à Gabès et d'El-Djabal à Tahert où ils organisèrent leurs cénacles et études. Qu' a dit Tahert devient prospère et que la situation y devient stable un des aspects les plus frappants de sa civilisation fût le rôle scientifique où la mission duquel elle tenait. Les étudiants y venaient de partout soit pour apprendre soit pour enseigner établissant ainsi un lien entre l'Orient et l'Occident, le Nord et le Sud. L'histoire rapporte que Abdelouahab Ibn Abderrahmane Ibn Rostom avait envoyé 1000 dinars à ses amis à Basra, afin qu'ils lui achètent des livres et que ces derniers lui en avaient envoyé la charge de quarante chameaux (2).

Abou Ghanim Bachir Ibn Abi Ghanim quitta Basra pour Tahert où il exposa sa célèbre Moudauwana devant l'imam Abdelouahab qui la transmit après lui. La capitale rostomide Tahert, était le siège d'un grand mouvement scientifique où les Imams en personne intervenaient. L'histoire rapporte que les Cheikhs venaient suivre l'enseignement des Imams à Tahert. Les sources bibliographiques citent un commentaire de Abderrahmane Ibn Rostom connu jusqu'à la fin du IVe siècle de l'hégire.

L'Imam Abdelouahab a rédigé quelques réponses dans le domaine du droit qui existent encore. L'Imam Aflah Ibn Abdelouahab en a fait autant. La plupart de leurs écrits portèrent sur des questions de détail (3). L'Imam Abou Eyaqdhan est célèbre par ses contributions en théologie dogmatique. Il a rédigé sur la seule question de la " capacité " quarante traités d'après les biographes (4). Je ne voudrais pas m'étendre sur ce sujet espérant que d'autres le

(1) Cf. au sujet de ces céréales : Ach-Chammakhi : Suyar.

(2) Assalimi : al lamha hmaidia fi achiat al abadia, dans un ensemble, page 75.

(3) Cf notre article « description of new Ibadi M from North. Africa : Journal of scientic studies vol. : 15, n° 1, 1970 pages 69-71.

(4) Ach Chammakhi : Biographies.

APERÇU DU MOUVEMENT SCIENTIFIQUE A OUARADJLANE ET DANS SES ENVIRONS, DEPUIS L'EXTINCTION DE LA DYNASTIE ROSTOMIDE JUSQU'A LA FIN DU VI^e SIECLE HEGIRIEN

par le docteur
Amar Khalifa en-Nâmi
Professeur de Littérature
et des Etudes Islamiques
à l'Université d'Al-Fatih
Tripoli (*Libye*)
et professeur associé à
l'Université du Michigan (*U.S.A.*)

Au Nom de Dieu Clément et Miséricordieux.

Louanges à Dieu seul.

Prière et salut à notre Seigneur Mohamed, à sa famille et ses Compagnons.

Messieurs, frères et amis, je vous salue en tant que Musulman et vous dis puissent la faire, la clémence et les bénédictions de Dieu être sur vous.

Avant d'aborder ce bref exposé, je voudrais remercier le frère Mouloud Kassim Naït Belkacem, qui m'a offert l'occasion de participer à cet imposant séminaire. Je voudrais également remercier ceux qui m'ont facilité la préparation de ce propos en m'ouvrant leurs portes, et leurs bibliothèques et en m'aidant de leurs remarques et de leurs conseils, en particulier Monsieur Bakli Abderrahmane ben Omar, le professeur Souleïmane El-Hadj Daoud, le Cheikh Mohamed ben Youcef Babanou, le frère Mokhtar Hammou, Moumen ben El-Hadj Yanni, le frère Djablane Ahmed. Tous ces messieurs ont fait en sorte que ce résumé soit écrit dans le bref délai imparti par le séminaire. Je leur suis redevable pour tout cela et aussi pour leur générosité et leur bonne aide. Que Dieu les en récompense.

J'ai choisi ce titre parce qu'il convient bien à cette rencontre et que mon but est de faire ressortir la contribution de Ouargla et de ses environs à la pensée islamique qui s'est perpétuée après la disparition de l'Etat rostomide en Afrique du Nord. Le rôle joué par Ouargla est l'expression de l'influence profonde de la pensée et de la civilisation rostomide dont l'impact scientifique et intellectuel s'est perpétué des siècles durant, bien après sa disparition totale de la scène politique

de tirer parti des autres ressources telles que l'agriculture, surnommée par certains à juste titre l'or vert, ou bien le commerce et l'industrie ?

Aussi sommes-nous fondés à nous demander si les richesses du sous-sol sont un bienfait ou une malédiction. Il s'agit pour nous d'une simple interrogation qui nous intéresse en premier lieu et, à notre avis, au niveau de ce qui est l'ensemble du tiers-monde. C'est pourquoi nous avons invité à en débattre un certain nombre de spécialistes, mais certains se sont récusés après promesses et ferme engagement, tandis que d'autres parmi les présents se sont excusés en prétextant la complexité d'un pareil sujet du fait même de sa simplicité et de son évidence, ce qui se traduit par le fait que seuls quatre conférenciers le traiteront au cours de ce séminaire, alors que le sujet de la femme s'est accaparé de la part de la lionne, et ce ne serait pas fastidieux que de répéter qu'il s'est arrogé à lui seul vingt et une conférences sur trente neuf qui constituent la totalité de l'ordre du jour.

Mesdames et Messieurs,

Tels sont les points soumis à votre examen et à propos desquels nous souhaiterions, grâce aux conférences, et surtout aux débats auxquels ils donneront lieu, arriver à des éclairages susceptibles de mieux les cerner, d'inciter à les approfondir davantage et, en fin de compte, d'y apporter des réponses décisives de sorte que même si nous n'arrivons pas à leur dégager les solutions adéquates, nous aurons du moins contribué à nous en rapprocher et à hâter leur réalisation.

Encore une fois je souhaite la bienvenue et un excellent séjour aux hôtes de l'Algérie et à nos travaux à tous le plein succès.

Le problème vous est posé et à vous d'en débattre.

Quoi qu'il en soit et s'agissant de notre position en Algérie à cet égard, nous soulignerons que la Charte Nationale, tout en renforçant les droits légitimes de la femme et en l'encourageant à la participation agissante dans les différents domaines de l'activité nationale, en plus de sa vocation première consistant à veiller à la sauvegarde de la famille et à forger les générations, insiste dans le même temps, et avec force, sur la nécessité de respecter notre entité et de préserver notre immunité, en dénonçant l'imitation servile et aveugle, notamment de tout ce qui jure avec nos valeurs et nos principes moraux les plus élevés, avec les composantes de notre personnalité, de notre identité et de notre authenticité.

4°) Nous en arrivons maintenant au point quatre et dernier de notre ordre du jour, lequel s'intitule : " *Les ressources du sous-sol sont-elles un bienfait ou une malédiction ?* ". Nous avions promis l'an dernier à Annaba d'aborder ce thème pour la raison que notre séminaire se tient au voisinage des sources d'énergie et des centres de son extraction et de son exploitation.

Pareille interrogation peut apparaître quelque peu paradoxale. En réalité, elle est parfaitement claire à notre sens et elle se résume à ceci que les ressources minières, ou, si l'on veut, les trésors du sous-sol, tels que le pétrole, le gaz, les phosphates et autres, dépendent, pour la nature de leurs effets, de la façon dont ils sont utilisés, à l'instar de toute chose dans cette vie. Leur utilité ou leur nuisance réside dans le sens où est orientée leur production. Est-ce que toutes les possibilités potentielles de l'énergie, ou du moins la plupart d'entre-elles, ont été exploitées ? C'est là une interrogation qui n'est pas purement rhétorique.

J'ai été étonné d'apprendre, en lisant un article publié par la Société Shell dans le journal allemand Frankfurter Allgemeine Zeitung dans son édition du 5 octobre 1976 à propos des dérivés du pétrole uniquement, qu'il existe plus d'une vingtaine de produits industriels et synthétiques divers, y compris des produits alimentaires et de l'eau de boisson extraite de l'eau de mer grâce à un composant que l'on trouve seulement dans le pétrole !

Les pays pétroliers du tiers-monde ont-ils extraits de leurs mers de pétrole un seul de ces produits ? Est-ce que l'exploitation de ces richesses par les fils même de ces pays, au bénéfice de leurs peuples à qui elles appartiennent de droit, dans une indépendance complète à l'égard de toute influence étrangère, signifie la même chose que leur exploitation de la part d'un tiers, à son profit et à celui d'une classe restreinte de gouvernants et de leur entourage ?

Ce dernier état de fait n'est-il pas de nature à aggraver la misère des masses populaires, la dissolution des mœurs engendrée par l'opulence des classes riches, ceci sans compter la menace permanente que font peser contre la souveraineté nationale les Etats étrangers qui exploitent ces richesses en maîtres et en dominateurs ?

Est-ce que cette dépendance totale ne conditionne pas en fin de compte l'ensemble de l'économie d'un pays, en y ancrant l'habitude de compter uniquement sur les miettes laissées par ces Etats, et par dessus tout en négligeant

et nous avons invité à cet effet un nombre appréciable d'éminentes personnalités féminines appartenant aussi bien à la tendance favorable qu'à la tendance opposée à ce qu'on l'on est convenu d'appeler " le mouvement de libération de la femme " (MLF) et de défense de ses droits, ceci aux fins d'instaurer un débat ouvert et enrichissant et de dégager une approche du problème éloignée de tout extrémisme !

Afin de souligner d'emblée le parfait accord entre l'importance qui s'attache à cette brûlante question et la place élargie qu'elle occupe dans l'ordre du jour, puisqu'aussi bien elle mobilise à elle seule vingt et une conférences sur un total de trente neuf, presque toutes dûes au libre choix de MM. les conférenciers ou de Mmes les conférencières qui en sont les auteurs, je voudrais, à mon tour, m'y étendre quelque peu dans cette entrée en matière que, d'habitude, j'ai toujours voulue la plus courte possible.

La femme est-elle bien de nos jours cet être sans défense, brimé, lésé, digne de compassion, résigné, soumis parfois jusqu'à la dévotion, laissé pour compte, n'ayant pas encore reçu ses droits, ni occupé la place qui lui revient, comme le proclament Simone de Beauvoir et de nombreux bons apôtres des deux sexes qui l'invitent à se révolter, à se rebeller, à détruire les " chaînes " et les " entraves ", à franchir les " barrages " et les " limites ", à brandir les drapeaux, à rejeter, en dépit de grand-mère et grand-père, tout ce qui n'est pas sa liberté intégrale, à ne plus se contenter des "lamentations" et des "plaintes" et à répondre à toute remarque et à tout conseil par les répliques et les arguments les plus extravagants ?

Est-elle, au contraire, la rebelle despotique jamais à court de malices et d'expédients anciens et nouveaux, l'audacieuse toujours à l'affût et prête à l'agression, l'orgueilleuse avec démesure, l'envoûtant personnage dont les sortilèges surpassent ceux de Harout et Marout (1), comme le soutiennent de nombreux autres penseurs, également des deux sexes, et parmi lesquels nous citerons à titre d'exemple le célèbre écrivain allemand Mme Esther Vilar, qui a consacré à ce thème un certain nombre de ses ouvrages et plus particulièrement le dernier en date dont la sortie sera fêtée après demain mardi à Munich et dans lequel elle convie l'homme à se départir de sa soumission et de sa dévotion au sexe dit faible, à prendre conscience de la mystification et de l'humiliation où le tient la femme, à se réveiller et à lever la tête, à ne pas creuser sa tombe de ses propres mains, à recouvrer ses attributs d'homme et sa dignité et à élever son honneur à son faîte, ainsi que cela est résumé dans le titre principal de l'ouvrage : " La fin du dressage " (2) et explicité dans le sous-titre : " Modèle pour une virilité nouvelle " (3) ?

Ou bien la femme aujourd'hui n'est-elle ni celle-là ni celle-ci, mais plutôt celle qui jouit de ses droits mais respecte cependant ses devoirs et qui n'oublie pas, tout en s'adonnant à une activité au dehors, sa mission originelle ? Est-il à ce propos beaucoup de femmes à adopter la règle de conduite de la jeune reine du Danemark qui déclarait dès son mariage qu'elle serait " la première dans l'Etat, mais la seconde à la maison " ? (4).

---

(1) Parabole coranique dans un contexte de sorcellerie.

(2) Das Ende der Dressur.

(3) Modell fuer eine neue Maennlichkeit.

(4) Le Monde, 19 - 20 décembre 1976.

à l'ouest jusqu'à Winéba, la deuxième par ordre d'importance des villes du Ghana, et au nord jusqu'à Cordoue, tandis que son rayonnement spirituel avait, pour un temps, pu atteindre aux confins de la Mer d'Oman, à l'est, et à Zanzibar, au sud.

Et ce n'est certes pas le moindre mérite de la glorieuse dynastie rostomide que d'avoir donné à la pensée des hommes de l'envergure d'El-Ouaradjlâni, après avoir été contrainte au départ de Tihert (1) où Abderrahman (2) avait prodigué les trésors de sa bonté et de son industrie, où Aflah (3) réussit comme par miracle tout ce qu'il entreprenait pour le bien de son peuple et où l'Imam (4) méritait bien son titre !

Mais les dynasties se succèdent en vertu de l'immuable loi du destin, et nous voudrions, quant à nous, et comme à chacun de nos séminaires, jeter un regard critique sur les aspects positifs ou négatifs de leur legs, examiner le processus de leur formation, de leur épanouissement et de leur déclin, tant il est vrai que chaque œuvre, pour aussi parfaite qu'elle soit, comporte nécessairement des lacunes, conformément au dessein de Dieu à l'égard de ceux qui passent.

2°) Le second s'intitule : " *L'Islam en Afrique aujourd'hui* ". Comment pourrions-nous, en effet, alors que nous sommes les hôtes du Sud, passer sous silence la situation actuelle de l'Islam en Afrique soudanaise, pour reprendre la terminologie d'Ibn Khaldoun, voire dans l'ensemble du continent, exposé qu'il est aux manœuvres et aux complots, aux tentatives de pénétration, aux prétentions qui ambitionnent d'y perpétuer coûte que coûte une certaine influence et une certaine présence rêvant d'hégémonie, et qui — pour ce faire — s'emploient à le circonvenir et à l'encercler ?

3°) Le troisième point a comme titre : " *La femme après l'Année de la Femme* ". Devant le flot impétueux des livres, revues, films, colloques et congrès consacrés à la femme aux quatre coins du monde depuis l'Année de la Femme ; pour répondre en même temps au désir de nombre de nos étudiantes ayant participé à nos précédents séminaires de voir le thème de la femme traité au cours de l'une de ces assises ; persuadés au surplus qu'il s'agit là, à l'évidence, de l'un des problèmes de l'heure, à en juger par les vagues, l'agitation, les clivages et les prises de position qui se répandent à travers le monde ; ayant présent à l'esprit que la femme — thème de réflexion éternel s'il en fut — a toujours constitué la préoccupation première et le souci majeur dans la vie de l'humanité, tout au long des âges et des civilisations, et qu'en sus de son rôle naturel de pilier de la famille et de fondement de la société, voilà qu'elle est devenue aujourd'hui la condition du sauvetage de la civilisation ou, au contraire, le signe de sa désintégration et de son déclin ; devant tous ces impératifs et considérations, il nous a semblé donc judicieux et opportun d'inclure un pareil sujet d'actualité dans l'ordre du jour du présent séminaire

(1) Tihert, l'ancien nom de Tiaret, signifierait « la lionne » en Amazigh zenète.

(2) Abderrahman Ibn Rostom, fondateur de la dynastie, dont le prénom est dérivé de rahma : bonté de Dieu, sa miséricorde, sa clémence.

(3) Dont le prénom est tiré du falah, qui signifie la réussite dans le Bien.

(4) Imam dans la doctrine 'ibadite est le chef d'Etat (et guide) élu susceptible à tout moment d'être relevé de ses fonctions si le peuple remettait en question son vote et motivait sa décision.

ALLOCUTION

prononcée par Monsieur Mouloud Kassim NAIT BELKACEM
ministre de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses,
à l'occasion de l'ouverture des travaux du XI[e] Séminaire
sur la Pensée Islamique tenu à Ouargla - Sadrata
du 17 au 26 Safar 1397 (6 - 15 février 1977)

Au nom de Dieu le Clément, le Miséricordieux.

Que le Salut et la Bénédiction de Dieu soient sur l'ultime de ses Envoyés.

Excellence, docteur Amadou Karim Gaye, secrétaire général de la Conférence des Etats islamiques ;

Monsieur Mahmoud Mansour, représentant de la Ligue des Etats arabes ;

Monsieur Salem Azzam, secrétaire général du Conseil Islamique en Europe,

Messieurs les distingués professeurs,

Mesdames et Messieurs,

Frères étudiants, Soeurs étudiantes.

Permettez-moi de ne pas déroger à la règle devenue désormais une tradition en la circonstance et d'inaugurer ainsi mon allocution d'ouverture du XI[e] Séminaire sur la Pensée Islamique à Ouaradjlâne par les propos-mêmes avec lesquels j'ai conclu celle du X[e] Séminaire à Annaba, en vous disant : " Soyez les bienvenus, tous et toutes, dans la cité des puits et des forages qui rappelle son passé au distrait et à l'oublieux, la source du pétrole et du gaz qui fut l'isthme et le trait d'union entre le nord et le centre du continent, le foyer de la science et de l'énergie qui libèrent de l'ignorance et de la misère le peuple qui les détient, là où repose El-Ouaradjlâni qui rivalisait avec les Sahnoun, In Batouta et El-Ouartilani, dans la cité de la lumière et de déglet nour, dans l'historique et glorieuse : Ouargla ! ".

Mesdames et Messieurs,

L'ordre du jour de nos travaux comprend quatre points :

1°) " *L'apport des Rostomides à la pensée et à la civilisation islamiques* ", et il se fait que nous nous trouvons présentement dans leur seconde capitale, Ouaradjlâne-Sadrata, dont l'autorité temporelle s'étendit à un moment donné

SOMMAIRE